

## إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

### الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع عشر من القرآن الكريم (الأنفال "41-75" والتوبة "1-33")

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه  
حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو  
بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

#### DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the  
researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any  
other degree or qualification

Student's name:

اسم الطالب/ة: منال عوني عاشور

Signature:

التوقيع: 

Date:

التاريخ: 2016 / 01 / 03



الجامعة الإسلامية - غزة

عمادة الدراسات العليا

كلية أصول الدين

قسم التفسير وعلوم القرآن

# الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع عشر من القرآن الكريم (الأنفال "٤١-٧٥" والتوبة "١-٣٣")

The analytical study of the purposes and objectives of the party of  
the nineteenth of the Quran (Anfal: 41-75) and (Twba: 1-33)

إعداد الطالبة

منال عوني عاشور

إشراف الأستاذ الدكتور

عصام العبد زهد

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

1436هـ - 2015م



## نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ منال عوني حسين عاشور لنيل درجة الماجستير في كلية أصول الدين / قسم التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

### الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع عشر من القرآن الكريم الأنفال (41-75) والتوبة (1-33)

وبعد المناقشة العنيفة التي تمت اليوم الثلاثاء 26 شوال 1436هـ، الموافق 2015/08/11 الساعة الحادية عشرة صباحاً بمبنى اللحيان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. عصام العبد زهد	مشرفاً و رئيساً	أ.د. .....
د. عبد الكريم حمدي الدهشان	مناقشاً داخلياً	د. .....
د. سامي محمود أحمد	مناقشاً خارجياً	د. .....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في كلية أصول الدين / قسم التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

د. فؤاد علي العاجز



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ ... الآية ﴾

[التوبة: ١١١] .

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ

وَالْمُنَافِقِينَ وَاعْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ

الْمَصِيرُ ﴾ [التَّحْرِيم: ٩] .

## الإهداء

إلى الرسول الأعظم ... إلى النبي الأكرم ... سراج الأمة  
المُعَلِّم الأول للقرآن الكريم نبي السلام ورسول الأنام  
ونور العالمين الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة محمد ﷺ  
إلى روح أُمِّي الطاهرة ... الغالية ... التي ما جفَّ دمعي على فراقها  
والتي عجز قلبي من الكتابة بسبب فراقها ... حبيبة قلبي رمز الحب والعطاء  
إلى روح أبي الغالي الذي طالما انتظر هذه اللحظة ... المربي الفاضل ...  
مُحِب العلم والعلماء ... رمز الجد والنقاء  
إلى رفيق دربي وعنوان نجاحي وسعادتي ... زوجي الغالي محمود سكيك  
إلى شمعات ضيائي ... وحببيات قلبي ... بناتي ... نور وريما  
إلى الكرام رمز الفخر والمحبة ... إخوتي وأخواتي وأزواجهم وأبناءهم وأحفادهم  
إلى أهل التقدير والعرفان ... والدة زوجي وإخوته وأخواته  
وأزواجهم وعموم آل سكيك الكرام  
إلى الأعمام والأخوال والخالات الكرام وعموم آل عاشور الكرام  
إلى رمز فرحتي وسعادتي ... عنوان الوفاء والإخلاص ... إلى صديقتي الغوالي  
إلى الصرح العلمي الشامخ ... جامعتي الغراء ... وأساتذتي الأفاضل وعلى رأسهم  
أستاذي الفاضل ومشرقي أ.د. عصام العبد زهد ...  
إلى زملائي في العمل الطاقم التعليمي والإداري بمدرسة الرمال الإعدادية للبنات  
إلى روح الشيخ المجاهد ... الذي أحيا أمة ... الشيخ أحمد ياسين ... وروح الشهداء جميعاً الذين رووا  
بدمائهم الزكية تراب هذا الوطن فلسطين الغالية  
إلى كل المجاهدين والأسرى والمرابطين على ثغور الوطن الذين تتلمذوا في جامعة الأنفال والتوبة ...  
أهدي هذا العمل سائلة المولى ﷻ أن يتقبله مني وأن يجعله في ميزان أعماله يوم لقائه، وأن ينفعني  
بها علمني ويزيدني علماً

منال عوني حسين عاشور

## شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على هادي الأمة ومعلم الناس الخير إلى يوم الدين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

فالشكر أولاً وأخيراً لله ﷻ الذي وفقني بإتمام هذا العمل الذي يخدم كتابه العزيز، أقدس وأعظم وأجل كتاب على وجه الخليقة فله سبحانه الفضل والثناء والتعظيم جل شأنه، وتقدّست أسماؤه.

وامثالاً لأخلاق النبي ﷺ الذي علمنا أن نشكر الناس تقديراً لمجهوداتهم الكريمة، أتوجه بالشكر والتقدير والعرفان لفضيلة الأستاذ الدكتور: عصام العبد زهد حفظه الله ورعا، وجعله ذخراً للإسلام والمسلمين، حيث قدم لي إرشاداته النيرة وتوجيهاته وآرائه السديدة، وأرجو الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء، وأن ينفع به العلم والعلماء، وأن يكون هذا رصيلاً له في ميزان حسناته يوم القيامة.

الشكر موصول لفضيلة الدكتور / عبد الكريم حمدي الدهشان حفظه الله  
وفضيلة الدكتور/ سامي محمود أحمد حفظه الله

أصحاب المكانة الرفيعة وأسأل الله تعالى أن يكون كل ما يقدموه لي من نصح وإفادة تزيد البحث علماً وجمالاً ورونقاً أن يجعله الله في موازين أعمالهم.

كما وأتقدم بالشكر والتقدير لزوجي الغالي محمود عبد الكريم سكيك، فله كل الحب والعرفان والفضل بعد توفيق الله ﷻ، ورضا الوالدين - رحمهما الله - فكم قدم لي العون والمساعدة، والدعم والتشجيع على إكمال مسيرتي العلمية إلى أن وصلت إلى تحقيق هدفي، فله كل الشكر والتقدير والعرفان.

وكما وأشكر بناتي نور وربيا عزيزات قلبي، على ما قدمته كل منهما من مساندة لي خلال رحلتي العلمية.

والشكر موصول إلى الجامعة الإسلامية، صرح العلم الشامخ، وخاصة إلى كلية أصول الدين قسم الدراسات العليا بأساتذتها، وعلمائها الأفاضل، الذين تتلمذنا على أيديهم، فلهم عظيم الشكر والامتنان، كما وأشكر كل من قدم لي العون والنصح والإرشاد، وخاصة أخواتي صديقات درب العلم والتعلم فكل الحب والتقدير للجميع.

وأسأل الله التوفيق والسداد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله الذي أنار قلوب عباده المتقين بنور كتابه المبين، وجعل القرآن شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي العربي الأمين، الذي فتح الله به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غُلفاً، وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور.

فلا يزال هذا الكتاب العظيم بحراً زاخراً بأنواع العلوم والمعارف، ولا يزال يتحدى أساطين البلغاء، وكبار العلماء فهو الكتاب المعجز بألفاظه ومعانيه وبيانه فهو يبهر العقول ويحير الألباب بما فيه من الإشراقات الإلهية، والنفحات النورانية، الذي سيظل يمنح الإنسانية من علومه ومعارفه وأسراره وحكمه ما يزيدهم إيماناً بهذا الكتاب المجيد، والحبل المتين لما فيه من تشريع وتهذيب لا تحريف فيه ولا تبديل، فكان هذا القرآن العظيم لخير أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فكانت من المفلحين، تتعم بهدى القرآن الحكيم، حيث يسر الله ذكره فقال في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ٢٢]، وأمر بتدبره وفهمه فقال جلّ وعلا: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، فجعل برحمته هدى للناس عموماً، وللمتقين خصوصاً، وأنزله شفاء للصدور من أمراض الشبهات والشهوات فهو محط العلوم والأسرار أنزله بلسان عربي لنقله وبتفهيمه فهو تبصرة وتذكرة، وبشرى فقال عزّ من قائل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] لذا أحببت أن أكون خادمة لهذا الكتاب الجليل أكتشف أسرارته بالتنقيب عن آياته.

فكان بحثي في تحليل واستنباط المقاصد والأهداف للحزب التاسع عشر من القرآن الكريم حيث يتناول [الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٤١) إلى آية (٧٥) وسورة التوبة من (١) - (٣٣)].

فأسأل الله التوفيق والسداد في هذا العمل المتواضع، فعلم التفسير لا يزال بحراً عميقاً لجنباً يحتاج من يغوص في أعماقه لاستخراج كنوزه الثمينة واستنباط روائعه الدفينة، فما أرجو بهذا العمل إلا نيل رضا الله راجية أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وذخراً يوم الدين يا رب العالمين.



## أولاً: أهمية الموضوع:

- ١- هذا الموضوع يتعلق بأشرف وأقدس وأطهر كتاب وهو القرآن الكريم فالاشتغال بهذا العلم المتعلق بأعظم كتاب شرف عظيم من عظم هذا الكتاب.
- ٢- يبحث هذا الموضوع في مقاصد وأهداف موضوعات سورتي الأنفال والتوبة في الحزب التاسع عشر من القرآن.
- ٣- تبين آيات سورة الأنفال الجانب التشريعي الذي يتعلق بالغزوات والجهاد في سبيل الله
- ٤- سورة التوبة بينت الجانب التشريعي الذي يتناول قضايا وأحكام غزوة تبوك ووضع قانون إسلامي يبين كيفية التعامل مع المشركين والمنافقون وأهل الكتاب.
- ٥- اعتبار هذه الدراسة معاصرة وتعالج قضايا تشريعية واقعية يحياها واقعا الآن عجزت المناهج الوضعية عن إيجاد حلول لها.

## ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

- ١- إرضاءً لله تعالى بتفكر وتدبر قرآنه واستنباط أسراره وفوائده ومقاصده عملاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].
- ٢- رغبتني الشديدة للاشتغال بكتاب الله ﷻ تفسيراً وتحليلاً لمقاصد السور وربطها بموضوع واحد خدمة لهذا الدين العظيم والكتاب الجليل.
- ٣- إبراز أهداف ومقاصد الحزب التاسع عشر من القرآن الكريم والعمل على الربط بين موضوعاته وربطها بالواقع المعاصر الذي يعالج قضايا هامة تفيد المجتمع.
- ٤- العمل على إثراء المكتبة الإسلامية بدراسات تحليلية لأهداف ومقاصد سور القرآن الكريم.
- ٥- إبراز الإعجاز البياني في القرآن الكريم من خلال ارتباط مقصد كل آية بالهدف العام للسورة، وكذلك بيان الإعجاز القرآني في تناول الأهداف والمقاصد القرآنية.
- ٦- تشجيع أستاذي الفاضل ومشرفي أ.د. عصام زهد حفظه الله ورعاه على البحث في هذا الموضوع لما له من أهمية كبيرة في خدمة هذا الدين العظيم.

## ثالثاً: الدراسات السابقة:

- ١- بعد البحث في مكتبة الجامعة الإسلامية والاطلاع على عدد من المكتبات تبين أن الموضوع جديد بالبحث والتقيب على الساحة العلمية، فلم أقف على بحث أو رسالة علمية بعنوان

"دراسة تحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع عشر من القرآن الكريم وسوف يكون بإذن الله أحد الأبحاث المهمة الجديدة على المكتبة الإسلامية.

٢- وفتت على رسالة علمية لمقاصد سورة التوبة في قسم التفسير بالجامعة الإسلامية، ولكنها لم تتناول ربط المقاصد بالواقع، ولم تتناول الدراسة المنطق عليها في علم التفسير.

٣- يُعد هذا البحث جديد؛ لأنه ضمن خطة وسلسلة علمية جديدة قامت بها كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية قسم التفسير وعلوم القرآن.

#### رابعاً: منهج الباحثة:

١- المنهج التحليلي، وكذلك المنهج الموضوعي للسورة واستخلاص المقاصد والأهداف من خلال استقراء الآيات القرآنية.

٢- بيان المحور الأساسي للسورة لتظهر الوحدة الموضوعية بين قضايا السورة ومقاطعها ووضع عنوان لكل مقطع منها.

٣- تقسيم الحزب إلى فقرات أو مقاطع حتى تستوعب جميع آيات الحزب التاسع عشر من القرآن الكريم.

٤- عزو الآيات القرآنية المستشهد بها إلى سورها، بذكر اسم السورة ورقم الآية بوضعها في متن البحث لا في هوامش الصفحات.

٥- شرح المفردات الغريبة من كتب المعاجم واللغة والاستعانة من كتب التفسير.

٦- ربط الموضوع بقضايا العصر التي تفيد الأمة في الحاضر والمستقبل.

٧- تخريج الأحاديث النبوية الواردة في البحث تخريجاً علمياً حسب الأصول مبينة حكم العلماء عليها إن وُجد.

٨- الترجمة للأسماء المغمورة والمبهمة، ولبعض أسماء الصحابة الكرام.

٩- ترتيب المصادر والمراجع مفهومة على حسب الحروف الأبجدية لأسماء الكتب والمراجع وتوثيق المعلومات عن أصحابها ونسبتها إليهم.

#### خامساً: خطة البحث:

وضعت هذه الخطة لتحقيق أهداف البحث السابقة الذكر بإذن الله تعالى، وتتكون من

المقدمة: وتشتمل على:

١- أهمية الموضوع. ٢- أسباب اختيار الموضوع. ٣- الدراسات السابقة.

٤- منهج الباحثة. ٥- خطة البحث.

كما وتشتمل الخطة على تمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس.

## أولاً: التمهيد

ويشتمل على أربعة مباحث:

### المبحث الأول

تعريف المقاصد والأهداف والفرق بينهما وبيان أهميتهما

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: الفرق بين المقصد والهدف.

المطلب الرابع: أهمية بيان المقاصد والأهداف من السور والآيات القرآنية.

المطلب الخامس: طرق معرفة مقاصد السور والآيات وأهم المصنفات في هذا العلم.

### المبحث الثاني

تعريف الدراسة التحليلية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: معرفة متطلبات الدراسة التحليلية.

### المبحث الثالث

التعريف بسورة الأنفال ومناسبتها مع غيرها ومحورها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بسورة الأنفال من حيث بيان أسمائها وعدد آياتها ومكان وزمان نزولها، وفضلها.

المطلب الثاني: المناسبات في سورة الأنفال من حيث بيان مناسبة السورة بما قبلها وبما بعدها، ومناسبة أولها وآخرها.

المطلب الثالث: محور وأهداف سورة الأنفال.

## المبحث الرابع

التعريف بسورة التوبة وأسمائها ومناسبتها مع غيرها ومحورها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بسورة التوبة من حيث بيان أسمائها، وعدد آياتها، وزمان ومكان نزولها، وفضائلها.

المطلب الثاني: المناسبات في سورة التوبة من حيث ربط مناسبة السورة بما قبلها وبما بعدها.

المطلب الثالث: محور وأهداف سورة التوبة.

## الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف النصف الأول

من الحزب التاسع عشر الأنفال من الآية (٤١-٧٥)

ويشمل سبعة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٤١-٤٤).

(حكم الغنائم في الإسلام)

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: كيفية توزيع الغنائم من خلال أحداث غزوة بدر الكبرى.

المطلب الثاني: رؤى الأنبياء حق.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٤٥-٤٩).

(عوامل النصر الحقيقية في بدر الكبرى)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الثبات والدعاء سبب للنصر والرياء سبب للهزيمة.

المطلب الثاني: تزيين الشيطان للمشركين أعمالهم وخذلانه لهم.

المطلب الثالث: المنافقون ومواقفهم من النصر.

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٥٠-٥٤).

(التدخل الإلهي في المعركة)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مشاركة الملائكة في بدر الكبرى.

المطلب الثاني: سنة الله في إهلاك الطغاة.

المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٥٥-٦٤).

(قواعد التعامل مع المعسكرات المتنوعة للتنظيم الداخلي للمجتمع المسلم في السلم والحرب)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: شر الدواب الذين لا يسمعون كلام الله.

المطلب الثاني: حكم خائن العهد والميثاق.

المطلب الثالث: إعداد العدة لإرهاب أعداء الله.

المطلب الرابع: جواز عقد الهدنة مع غير المسلمين.

المبحث الخامس: مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٦٥-٦٦).

(الأمر بتحريض المؤمنين على القتال بثقة ويقين أن النصر لهم بإرادة الله)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فريضة الجهاد على المسلمين.

المطلب الثاني: قوة المؤمنين في ميزان الله.

المبحث السادس: مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٦٧-٧١).

(حكم الأسرى في الإسلام)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأسر بعد الإثخان في الأرض.

المطلب الثاني: دور الإيمان والمغفرة في فداء الأسرى.

المطلب الثالث: تحذير الأسرى من خيانة الرسول ﷺ.

المبحث السابع: مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٧٢-٧٥).

(طبيعة العلاقات في المجتمع المسلم والمجتمعات الأخرى)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: آصرة العقيدة بين المؤمنين.

المطلب الثاني: الولاية للمؤمنين في الإسلام.

المطلب الثالث: حكم التوارث على أساس الهجرة والقربة.

### الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف النصف الثاني من الحزب التاسع عشر من القرآن

(التوبة من الآية ١-٣٣)

ويشتمل على سبعة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (١-٦).

(الأحكام النهائية بين المسلمين والمشركين في الجزيرة العربية عامة)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: البراءة من المشركين وعهودهم.

المطلب الثاني: الوفاء بالعهد لمن لم ينقضوا عهودهم.

المطلب الثالث: قتال المشركين بعد الأشهر الحرم.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (٧-١٢).

(الأحكام الشرعية بعد إنهاء مبدأ التعاقد مع المشركين)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: لا عهد للمشركين عند الله ورسوله.

المطلب الثاني: كيفية التعامل مع غدر الكفار.

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (١٣-١٦).  
(استنكار مبدأ العهد للمشركين عند الله ورسوله)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قتال المشركين كافة.

المطلب الثاني: تمييز صفوف المسلمين بالشدائد والمحن.

المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (١٧-٢٢).  
(الإنكار على المشركين دخول بيت الله الحرام)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عمارة بيت الله تقوم على قاعدة توحيد الله.

المطلب الثاني: فضل المؤمنين المهاجرين المجاهدين.

المبحث الخامس: مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (٢٣-٢٤).  
(الولاء لا يكون إلا لله تعالى)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الولاء لأولي القربي الكفار شرك بالله.

المطلب الثاني: الموازنة بين اختيار العقيدة أو المطامع الدنيوية.

المبحث السادس: مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (٢٥-٢٨).  
(استعراض لأحداث غزوة حنين)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: النصر والعزة بالدين والعقيدة لا بالعدة والعتاد.

المطلب الثاني: حكم الله في المشركين إلى يوم الدين.

المبحث السابع: مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (٢٩-٣٣).

(الأحكام النهائية في العلاقات بين المجتمع المسلم وأهل الكتاب)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأمر بقتال أهل الكتاب المنحرفين عن الدين حتى يدفعوا الجزية.

المطلب الثاني: عقائد أهل الكتاب المنحرفة.

المطلب الثالث: موقف أهل الكتاب من الإسلام.

الخاتمة: وتشمل على: النتائج والتوصيات.

\*الفهارس: وتحتوي على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.



## التمهيد

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المقاصد والأهداف والفرق بينهما  
وبيان أهميتهما.

المبحث الثاني: تعريف الدراسة التحليلية.

المبحث الثالث: التعريف بسورة الأنفال ومناسبتها مع غيرها  
ومحورها.

المبحث الرابع: التعريف بسورة التوبة وأسمائها ومناسبتها مع  
غيرها ومحورها.

## المبحث الأول

### تعريف المقاصد والأهداف

### والفرق بينهما وبيان أهميتهما

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المقاصد لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الأهداف لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثالث: الفرق بين المقصد والهدف.

المطلب الرابع: أهمية بيان المقاصد والأهداف من السور والآيات القرآنية.

المطلب الخامس: طرق معرفة مقاصد السور والآيات وأهم المصنفات في هذا العلم.

## المطلب الأول

### تعريف المقاصد لغةً واصطلاحاً

تعريف المقاصد لغةً: المقاصد جمع مقصد وترجع إلى "قصد" وقصدتُ الشيء أي طلبته بعينه، وإليه مقصدي وقصدي<sup>(١)</sup>، وقصد يقصدُ قاصداً، وطريق قاصد سهل مستقيم، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩]، وطريق قاصد سهل قريب وجاء في التنزيل العزيز ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْعُوكَ﴾ [التوبة: ٤٢]، أي غير شاق والقصدُ قصدك وقصدك أي اتجاهك، والقصد في المعيشة أن لا يسرف ولا يُقتر، مقتصد في النفقة<sup>(٢)</sup>.

والقصدُ استقامة الطريق، والقصدُ ضد الإفراط<sup>(٣)</sup>.

والقصدُ الغرض والهدف يُقال فهم غرضه، أي قصده والغرض هو الهدف الذي يُرمى إليه<sup>(٤)</sup>، وقصدَ الشيء وأمه وأتى إليه، واكتنزه، واعتمده وهذه من معاني قصد كأن نقول قصد الحجاج البيت الحرام أي أموا تلك الجهة واعتمدها<sup>(٥)</sup>.

ومن معاني القصد التوسط والاعتدال قصد قاصداً فهو قاصد، والقصد في المعيشة ألا يسرف ولا يقتر<sup>(٦)</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

### تعريف المقاصد اصطلاحاً:

إن الوقوف على مقاصد الشريعة ومعرفة عللها وأحكامها، والتي هي جزء من المقاصد القرآنية يجعل النفس مطمئنً بمباشرة اليقين والاستبصار بعيداً عن أي ظن، لأن مصدرها من الله العليم الخبير، حيث بيّن المقصد من خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

(١) المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، (م ٢، ص ٥٠٤).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، (م ٣، ص ٤٥٣).

(٣) القاموس المحيط، للفيروز أبادي، (م ١، ص ٤٥٤).

(٤) مختار الصحاح، زين الدين بن أبي بكر الرازي، (م ١، ص ٢٢٦).

(٥) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (ص ٨٩١).

(٦) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الهروي، (م ٨، ص ٢٧٤).

وقد اتضح من خلال تعريفات العلماء أن المقاصد لها عدة معاني، ولم يُحدد تعريفاً جامعاً مانعاً للمقاصد رغم استعمالها في كتبهم ومؤلفاتهم بكثرة، وبألفاظ مختلفة مقاصد الشارع ومقاصد الشريعة، والمقاصد الشرعية كلها عبارات تستعمل بمعنى واحد<sup>(١)</sup>.

وفيما يلي بعض التعريفات لمصطلح المقاصد عند بعض العلماء:

١- أبو حامد الغزالي: عرفها بأنها: جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالههم وهو ما تضمن حفظ الأصول الخمسة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة<sup>(٢)</sup>.

٢- العز بن عبد السلام: "جلب المصالح والشريعة كلها مصالح ودرء المفساد"<sup>(٣)</sup>.

٣- شيخ الإسلام ابن تيمية: "الغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته سبحانه وهي ما تنتهي إليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة التي تدل على حكمته البالغة لمصلحة العباد"<sup>(٤)</sup>.

٤- الإمام الشاطبي<sup>(٥)</sup>: "هي كل المعاني المصلحية المقصودة من شرع الأحكام، والمعاني الدلالية المقصودة من الخطاب التي تترتب على تحقيق امتثال المُكَلَّف لأوامر ونواهي الشريعة"<sup>(٦)</sup>.

وعرفها بعض العلماء المعاصرين منهم:

١- العلامة الشيخ يوسف القرضاوي: مقاصد الشريعة إنما هي جلب المصالح للناس ودرء المضار والمفاسد عنهم<sup>(٧)</sup>.

---

(١) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، (ص ٥).

(٢) المستصفي، أبو حامد الغزالي، (م ١، ص ١٧٤).

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام، (م ١، ص ١٠، ١١).

(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (م ٣، ص ١٩).

(٥) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، ومن مؤلفاته: الموافقات في أصول الفقه، والاتفاق على علم الاشتقاق في أصول النحو، توفي سنة ٧٩٠هـ، ينظر: الأعلام للزركلي، (م ١، ص ٧٥).

(٦) نظرية المقاصد عند ابن عاشور، إسماعيل الحسني، (م ٨، ص ١١٥).

(٧) فقه الزكاة، يوسف القرضاوي، (م ١، ص ٣٩).

٢- محمد الطاهر بن عاشور<sup>(١)</sup>: هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة<sup>(٢)</sup>.

٣- علال الفاسي<sup>(٣)</sup>: مقاصد الشريعة هي الغاية والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها<sup>(٤)</sup>.

٤- أحمد الريسوني<sup>(٥)</sup>: هي الغايات التي وضعتها الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد<sup>(٦)</sup>.

وبعد ذكر تعريفات العلماء المتعددة لمفهوم المقاصد في الشريعة، نجد أن بينها اتفاق على المضمون لمعنى المقاصد بأنها الغايات التي وضعتها الشريعة لأجل تحقيق مصالح العباد وأنها المعاني والحكم الجلية، والأهداف النبيلة، والنتائج والمعاني السامية التي أتت بها الشريعة وأثبتتها في كل زمان ومكان من خلال النصوص النقلية، والأحكام الشرعية.

والتعريف الذي أخلص إليه والذي استنبطه من خلال التعريفات السابقة بأن تعريف مقاصد السور القرآنية: هي النتائج المقصودة والمستنبطة من خلال تفسير آيات السورة، وبيان المعاني التي تهدف إلى تقريرها.

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، ولد وتوفي ودرس بها، عُين عام ١٩٣٢م شيخاً للإسلام، مالكي المذهب، وهو من أعضاء المجمعين العَرَبِيِّين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة، منها: "مقاصد الشريعة الإسلامية"، و"التحرير والتنوير في تفسير القرآن". ينظر: الأعلام، للزركلي، (م٦، ص١٧٤).

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر ابن عاشور، (ص٥١).

(٣) محمد علال بن عبد الواحد بن عبد السلام بن علال بن عبد الله بن المجذوب الفاسي، الفهري، زعيم وطني، من كبار العلماء في المغرب، ولد بفاس سنة ١٣٢٦هـ، تعلم بالقرويين، عارض الاستعمار الفرنسي، تولى وزارة الشؤون الإسلامية في الدولة، ودرس في كلية الحقوق، وله كتب منها: هنا القاهرة، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، دفاع عن الشريعة، توفي سنة ١٣٩٤ هـ، ينظر: الأعلام، للزركلي، (م٤، ص٢٤٦، ٢٤٧).

(٤) مقاصد الشريعة ومكارمها، علال الفاسي، (ص٧).

(٥) أحمد الريسوني: عضو مؤسس للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ولد سنة ١٩٥٣هـ، وعضو سابق بمجلس أمنائه ورئيس لحركة التوحيد والإصلاح بالمغرب، ومدير ومسؤول جريدة التجديد اليومية وعمل بوزارة العدل وأستاذاً بالتعليم الثانوي، ودرس علم أصول الفقه ومقاصد الشريعة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة محمد الخامس، ودار الحديث، ومن مؤلفاته: "نظرية المقاصد عند الشاطبي"، "من أعلام الفكر المقاصدي"، "ومدخل إلى مقاصد الشريعة" (<http://av.wikiedia.org/wiki>).

(٦) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، (ص٧).

## المطلب الثاني

### تعريف الأهداف لغةً واصطلاحاً

**الأهداف لغةً:** الأهداف جمع مفرد لها هدف وهو كل شيء مرتفع من بناء أو كتيب رمل أو جبل ومنه سُمي الغرض هدفاً، وبه شُبه الرجل العظيم، جسمه طويل العنق عريض المنكبين، وهدف من أهدفت ودنوت منك، يُقال أهدف لي الشيء، وأهدف القوم أي قَرَّبوا فهو مستهدف<sup>(١)</sup>، هَدَفَ هَدَفًا: دعاء للنعجة إلى الحلب، والهادفة الجماعة، والهدفة بالكسر: القطعة من الناس والبيوت يقيمون في مواضعهم<sup>(٢)</sup>.

هدف والجمع أهداف ومنها سُمي الغرض هدفاً، وهو ما وُضع في الهدف ليُرْمَى كالسهم<sup>(٣)</sup>.

### الأهداف اصطلاحاً:

الأهداف مفهوم واسع، وله عدة تعريفات اصطلاحية عديدة حسب كل تخصص ومجال من مجالات العلم والتعلم، وحسب أهدافه المنوطة به، ولكن نحن بصدد الحديث عن الأهداف من الناحية التربوية الإسلامية، ومن وجهة نظر الإسلام، الذي يهدف إلى تربية الإنسان الصالح، وإعداد المسلم صاحب الشخصية الكاملة المتكاملة في شتى مجالات وجوانب حياته سواء الجانب العقدي أو العقلي أو الأخلاقي أو المجتمعي أو السياسي أو الاقتصادي، لأن بناء الإنسان المسلم هو الهدف الذي يركز عليه المنهج الإسلامي، كما جاء في تعاليم وأحكام القرآن الكريم وكما علمنا إياه المعلم الأول محمد ﷺ.

وفيما يلي بعض التعريفات الاصطلاحية لمفهوم الأهداف:

- ١- هي الأهداف التي شرعت الأحكام لتحقيقها، وأهداف الشرع هي المصالح التي تعود على العباد في دنياهم وآخرتهم، سواء كان تحصيلها عن طريق جلب المصالح أو درء المفسد<sup>(٤)</sup>.
- ٢- هي الغايات والرغبات التي نسعى لتحقيقها، منذ البداية لأي منهج، أو مخطط سواء كانت هذه الأهداف عاجلة أم آجلة، واضحة أم خفية، معلومة أم مجهولة<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (م٩، ص٣٤٥، ٣٤٦).

(٢) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (م١، ص٨٦١).

(٣) تاج العروس، للمرئضي الزبيدي، (م١، ص٦١٧٤).

(٤) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. يوسف حامد العالم، (ص٧٩).

(٥) الأهداف السلوكية، د. مهدي محمود سالم، (ص١٤).

٣- وعرفها الكيلاني<sup>(١)</sup>: هي التغيرات التي يُراد حصولها في سلوك الإنسان الفرد، وفي ممارسات المجتمع الإنسانية وهذه الأهداف هي الثمرات النهائية للعملية التربوية<sup>(٢)</sup>.

والذي تراه الباحثة أن الأهداف محصورة في عموم السلوكيات البشرية التي تتناسب والقدرات الشخصية المكونة من الأبعاد العقلية والوجدانية والسلوكية والأخلاقية والاجتماعية، بحيث تتجاوب مع الأهداف القرآنية ولا تتحقق إلا من خلال الالتزام بشرع الله ﷻ فالإسلام ينظر أن هذا هو المحور الأساسي لتحقيق الأهداف القرآنية التي تسعى للسمو أخلاقياً وفكرياً وإيمانياً<sup>(٣)</sup>.

### المطلب الثالث

#### الفرق بين المقصد والهدف

المقاصد القرآنية لا يمكن تحديدها وإثباتها إلا من خلال الدقة والتدبر باستخدام الأدلة النقلية المأثورة، وكذلك باستخدام العقل والفطرة والتجربة وحسن الدراية وذلك لإيجاد تصور جديد ومبدع للمقاصد بتحديد أنواعها فقد قسم علماء الأصول المقاصد إلى ضرورية، وحاجية، وتكميلية؛ لتحقيق المنهج القرآني في قضية جلب المصالح ودرء المفاسد.

وقسم العلماء المقاصد إلى ثلاثة أقسام المقاصد العامة وتتمثل في هدف الشريعة العام والذي يؤخذ ويستنبط من النصوص التشريعية، والمقاصد الخاصة وهي هدف الشريعة لتحقيق في باب أو أبواب معينة، والمقاصد الجزئية وهي ما يقصده كل حكم شرعي تكليفي وأسراره التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها<sup>(٤)</sup>.

ولكن الأهداف تختلف في وسائلها وطرقها عن المقاصد رغم وجود علاقة مترابطة وقوية بين الأهداف والمقاصد، فالأهداف تعتبر نقطة البداية لأي عمل في إطار تعبدية أو تربوية قبل وضع الخطط، وتعنتي بصياغة القيم والاتجاهات، وتقوم على فلسفة المجتمع التربوية، فالأهداف هي التي تنظم سلوك الإنسان وتعطي شكلاً لمجموعة من المقاصد التفصيلية في المستقبل القريب

---

(١) ماجد عرسان الكيلاني، مواليد الأردن، مفكر ومؤرخ وتربوي أردني، ماجستير في التاريخ الإسلامي من الجامعة الأمريكية ببيروت، وماجستير في التربية من الجامعة الأردنية، دكتوراه في التربية من جامعة بتسبرغ -بنتسلفانيا- الولايات المتحدة، مهتم بالتربية، والنهضة، والإصلاح، مفكر وأديب، ومؤلفاته "هكذا عاد صلاح الدين وهكذا عادت القدس"، "أهداف التربية الإسلامية"، "التربية والمستقبل في المجتمعات الإسلامية"، "والخطر الصهيوني على العالم"، <http://ar.wikipedia.org/wiki>.

(٢) أهداف التربية الإسلامية، د. ماجد عرسان الكيلاني، (ص ٢٧).

(٣) المرجع السابق.

(٤) مقاصد الشريعة، لابن عاشور، (ص ١٧٧).

أو البعيد (١).

والمقاصد تتميز عن الأهداف بأنها هي الحكمة المقصودة والمبادئ والنتائج العليا لسور القرآن الكريم تمثل القيم التي استخلف الإنسان من أجلها على الأرض وهي التوحيد والتزكية والعمران (٢).

ولا بد لكل دارس منا أن ينحى منحى آخر جديد ويضع قواعد أخرى للمقاصد مما يجعلنا نفكر ونتدبر ونبحث عن أهداف ومقاصد جديدة نتناولها بالبحث والدراسة وهذا ما سيتضح من خلال سلسلة البحث في أهداف ومقاصد جديدة للسور والآيات القرآنية وربطها بالواقع الذي نحياه، والذي تبني فكرة هذه السلسلة الرائعة قسم تفسير القرآن الكريم وعلومه بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة، والذي يُعد بحثي هذا ضمن هذه السلسلة التي تتناول مقاصد وأهداف أحزاب القرآن الكريم كاملاً بإذن الله تعالى.

## المطلب الرابع

### أهمية بيان المقاصد والأهداف من السور والآيات القرآنية

لقد أنزل الله ﷻ القرآن الكريم هدايةً للبشرية جمعاء ليرشداهم إلى الطريق القويم، المستقيم، وهذه الهداية لا تتحقق إلا بالتأمل والتفكير الدقيق في نصوص القرآن الكريم، ومن هنا يأتي مدى أهمية علم مقاصد وأهداف السور القرآنية، فهذا العلم، علم عظيم الصلة بالقرآن الكريم الذي هو أول مصدر من مصادر التشريع الإسلامي وأساس الأحكام، والحكم، وهذا العلم يُراد منه الوقوف على الأغراض والمعاني والموضوعات الرئيسية التي تدور عليها السور أو الآيات، من خلال حسن التدبر وإعمال العقل والفكر.

وتبرز أهمية بيان هذا العلم فيما يلي:

١- علم مقاصد السور راجع إلى تحقيق المقصد من إنزال القرآن الكريم وهو تدبر آياته والتمعن والتفكير فيها ثم العمل بمقتضاها، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، فإن كل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التفقه في العبارة وإنما التفقه في المعبر عنه والمراد به (٣).

(١) الأهداف السلوكية، مهدي محمود سالم، (ص ١٤).

(٢) مقاصد الشريعة، مجموعة من المؤلفين، حوار مع د. طه جابر العلواني، (ص ٨٢).

(٣) الموافقات في أصول الفقه، للإمام الشاطبي، (م ٤، ص ٢٦٢).



٢- إن علم المقاصد يبرز مدى إعجاز القرآن وبلاغته وبيانه، فإن السورة في وحدة بنائها وتناسقها وترابطها هو قمة الإعجاز والبيان والبلاغة، لذلك تحدى الله ﷻ العرب بأن يأتوا بسورة من مثله، فالقرآن من أوله إلى آخره محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي المعاني والاتصال من ألفه إلى يائه كأنه عقد فريد يأخذ بالأبصار<sup>(١)</sup>.

٣- ببيان مقصد السورة، تنتظم آياتها وتظهر المناسبات بين آياتها فتكون لُحمة واحدة يجمعها معنى واحد، ومن عرف المراد من اسم السور عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها، عرف تناسب آياتها، وقصصها، وجميع أجزائها<sup>(٢)</sup>.

والذي أراه كباحثة في هذا العلم العظيم، أنه يبعث في النفس رسوخ الإيمان واليقين بمدى قوة وعظمة الله تبارك وتعالى في نصرته هذا الدين العظيم في كل زمان ومكان، فيستتير القلب وتقر العين بما يتضح لها من حكم ومقاصد جلية، وأسرار جديدة يتم اكتشافها من آيات القرآن الكريم، تلك التي تمثل روح القرآن الكريم وأسراره العظيمة الذي لا نجدُه في غير هذا الكتاب الذي يُعد دستور الأمة، ومصدر عزتها وقوتها.

## المطلب الخامس

### طرق معرفة مقاصد السور والآيات وأهم المصنفات في هذا العلم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والتنبيه على مقاصد الشريعة وما فيها من إخلاص الدين لله ﷻ وعبادته وحده لا شريك له وما سدته من الذريعة إلى الشرك فإن هذا هو أصل الدين وحقيقة المرسلين وتوحيد رب العالمين"<sup>(٣)</sup>.

فكان هذا الكلام جامعاً مانعاً، لأن الله تعالى أمرنا بالتدبر في آياته حتى نفهم هذا الدين العظيم وأهدافه ومقاصده، ومن هنا نستطيع أن نتعرف على مقاصد السور والآيات وان نستكشف دلائلها من عدة أسس كالتالي:

#### أولاً: القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو المصدر الأول، والمرشد الأسرع لمعرفة مقاصد وأهداف السور والآيات، قال الشاطبي: "تصوص الشارع مفهومة لمقاصده، بل هي أول ما يتلقى منه فهم المقاصد

(١) الأساس في التفسير، سعيد حوى، (م١، ص٢٥).

(٢) مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر البقاعي، (م١، ص١٤٩).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، (م٢، ص٣٨٥).

الشرعية" (١).

وقال ابن عاشور: "في القرآن الكريم أدلة على مقاصد الشريعة" (٢).

ومن أمثلة المقاصد والأهداف التي ذكرها القرآن الكريم:

١- وضح القرآن الكريم الهدف والمقصد من الصلاة فقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

٢- بين القرآن الكريم المقصد من الزكاة فقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] ، وكذلك فرضية الصيام بين الهدف والمقصد منها في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وهكذا في جميع الأحكام والتشريعات والفرائض بين ﷺ الحكمة والغاية والهدف والمقصد من مشروعية كل منها وهذا إنما يدل على أن القرآن الكريم هو المصدر الأول لمراعاة الشريعة للمقاصد والأهداف التي تُعد مصلحة للأمة، فهي تُصلح شئون العباد والبلاد.

ثانياً: السنة النبوية:

تعد السنة النبوية المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم ونجد أن النبي ﷺ له بعض الأقوال والآثار الواردة في فضائل السور والآيات والذي يؤكد على الحكم والمقاصد والأهداف من هذه السور الكريمة.

ومن أمثلة ذلك:

١- بيّن الرسول ﷺ المقصد العظيم من تلاوة سورة البقرة بأنها حرز من الشيطان فعن أبي هريرة قال: قال ﷺ: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة) (٣)، فأخذها بركة وتركها حسرة.

(١) الموافقات، للإمام الشاطبي، (م٣، ص١٢٥).

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر ابن عاشور، (ص١٨٩).

(٣) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، (م١، ص٥٣٩)، كتاب المسافرين وقصرها للصلاة، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، (ح٧٨٠).

٢- بيّن الرسول ﷺ مقاصد سورة الملك بأنها المانعة من عذاب القبر، وفيها شفاعة ورحمة لمن قرأها، وتستغفر لصاحبها، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إن سورة في القرآن ثلاثون آية تستغفر لصاحبها حتى يغفر له ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [المك:١])<sup>(١)</sup>.

٣- وضحت السنة النبوية الشريفة المقصد والغاية العظيمة من تلاوة سورة الفاتحة حيث أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد بن المعلى ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: (ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟ فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله، إنك قلت: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن، قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢])<sup>(٢)</sup>.

٤- وأخرج الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لكل شيء سناماً وسنام القرآن سورة البقرة)<sup>(٣)</sup>.

وهذا الحديث الشريف يبين مدى عظم هذه السورة العظيمة بآياتها ومعانيها، كما لُقبت هي وآل عمران بالزهرابين كما ورد في الحديث عن أبي أمامة الباهلي<sup>(٤)</sup> قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين وآل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرعوا البقرة، فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة)<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (باب في عدد الآي) (١٤٠٠)، والترمذي في أبواب ثواب القرآن (باب ما جاء في فضل سورة الملك) (٢٨٩٣) وقال: حديث حسن.

(٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب فضائل القرآن الكريم، باب فاتحة الكتاب، وفي أول كتاب التفسير، (م٨، ص١١٩)، (١٢٠).

(٣) المستدرک على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن حمدوية النيسابوري (م١، ص٧٤٨)، كتاب فضائل القرآن، باب أخبار في فضل سورة البقرة (م١، ص٧٤٨)، (ح ٢٠٥٨)، والحديث صحيح.

(٤) أبي أمامة الباهلي: هو صدي بن عجلان بن الحارث، وقيل عجلان بن وهب، أبو أمامة الباهلي، أكثر في روايته عن النبي ﷺ، سكن حمص من الشام، وتوفي سنة ٨١هـ، وكان يُصفر لحبته، هو آخر من مات بالشام من الصحابة، يُنظر: أسد الغابة، (م٣، ص١٥).

(٥) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (م٦، ص١٨٨)، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة (ح٥٠٠٩)، وصحيح مسلم، ١٩٧/٢، كتاب فضائل القرآن، باب فضل قراءة البقرة وآل عمران، (ح٢٠٩٥).

وكذلك سورة الكهف ورد في فضائلها أحاديث صحيحة بينت المقصد والحكم من تلاوة هذه السورة الكريمة حيث أخرج مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء<sup>(١)</sup> أن النبي ﷺ قال: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من فتنة الدجال)<sup>(٢)</sup>، وهكذا بينت هذه السنة النبوية العظيمة الكثير من المقاصد والحكم والغايات لكثير من السور والآيات الكريمة.

### ثالثاً: الآثار الواردة عن السلف:

وهذا يُعين على معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات، وذلك يتضح من خلال التعبير عن السورة باسم أو وصف أو غرض يُبين مقصودها، ومن أمثلة ذلك:

١- سورة التوبة أو براءة وتسمى كذلك "الفاضة"، لأنها كشفت المنافقين وفضحتهم، ويقول ابن عاشور في حديثه عن سورة التوبة أن لهذه السورة أسماء أخرى وقعت في كلام السلف، من الصحابة والتابعين، فرُوِيَ عن ابن عمر وابن عباس: كنا ندعو سورة براءة "المقشقة" من قشقة إذا أبراه من المرض وكان هذا الاسم لأنها تخلص من آمن بها من النفاق والشرك لأنها وصفت أحوال النفاق والمنافقين<sup>(٣)</sup>، وعن سعيد بن جبير<sup>(٤)</sup>، قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة، قال: بل هي الفاضحة ما زالت تنزل فيهم حتى ظنوا أن لا يبقى منا أحد إلا ذكر فيها<sup>(٥)</sup>، فجاء الوصف لهذه السورة من خلال مقصودها حيث تناولت المنافقين وكشفت أوصافهم التي فضحت أمرهم وكيدهم وعداءهم للإسلام والمسلمين.

٢- سورة مَحَمَّد سميت سورة القتال؛ لأنها تناولت أحكام الجهاد في سبيل الله وتحدثت عن الغزوات التي خاضها النبي ﷺ ضد كفار قريش حيث ورد عن قتادة قال: في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

(١) عويمر بن عامر (أبو الدرداء)، الأنصاري الخزرجي، تأخر إسلامه قليلاً، فكان آخر أهل داره إسلاماً، وحسن إسلامه، وكان فقيهاً عالمياً حكيماً قال عنه ﷺ: (عويمر حكيم أمّتي) شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلما بعد أحد، وولى قضاء دمشق في خلافة عثمان، توفي سنة ٣٢هـ، وله في كتب الحديث ١٧٩ حديثاً، يُنظر: الأعلام للزركلي (١٥٧/٣)، ونزهة المتقين شرح رياض الصالحين، محيي الدين يحيى النووي (٢م، ص ٥٢٦).

(٢) صحيح مسلم، (٢م، ص ١٩٩)، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الكهف، (ح ٢٠٩٨).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، (١٠م، ص ٩٥).

(٤) سعيد بن جبير الأسدي، الكوفي، أبو عبد الله من كبار التابعين وأعلمهم، ولد سنة ٤٥هـ، حبشي الأصل، من بني أسد، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر، قُتل على يد الحجاج، قال الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه، توفي سنة ٩٥هـ، ينظر: الأعلام، للزركلي، (٣م، ص ٩٣).

(٥) صحيح مسلم، (٤م، ص ٢٣٢٢)، كتاب التفسير، باب في سورة براءة...، (ح ٣٠٣١).

قَتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿محمد: ٤﴾ [محمد: ٤] أنها نزلت يوم أُحد (١).

٣- سورة النحل تسمى بهذا الاسم بالمصحف، ولكن ورد عن قتادة (٢)، في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُيَسِّرُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١]، "هذه السورة تسمى سورة النعم" (٣)، وذلك لما عدد الله فيها من النعم على عباده (٤).

٤- سورة الأنفال تسمى بسورة بدر فقد ورد عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس "سورة الأنفال" قال: "تلك سورة بدر" وذلك لأنه اتفق على أنها نزلت في غزوة بدر (٥).

رابعاً: أهم المصنفات في هذا العلم:

هذا العلم الرائع وصل إلى ذروته في هذا العصر الحديث، وشغل العلماء بالاهتمام به وإفراده مؤلفات خاصة به حيث أصبح علماً قائماً بذاته لما له من أهمية عظيمة أكد عليها القرآن الكريم منذ بدء نزول الوحي على النبي محمد ﷺ حيث كان يُبين عليه الصلاة والسلام المقاصد والغايات والحكم من الآيات والصور التي تنتزل عليه، وسار على النهج علماؤنا الأجلاء أمثال الإمام الجويني (٦)، والإمام الغزالي وسلطان العلماء العز بن عبد السلام، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وسار على نهج هؤلاء العظماء، العلماء المعاصرين الذين كتبوا مؤلفات في هذا العلم ومن خلال الإطلاع والبحث دونت بعض أسمائهم كما يلي:

١- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية/ للدكتور يوسف العالم رحمه الله.

٢- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي/ للدكتور أحمد الريسوني.

(١) التفسير الوجيز ومعجم معاني القرآن العزيز، وهبة الزحيلي، (ص ٩٠٨).

(٢) قتادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث السدوسي البصري ولد أكمه، سنة ٦١هـ، كان من علماء القرآن والفقه، ومن حفاظ زمانه، قال عن نفسه ما قلت لمحدث قط أعد علي، وما سمعت أذناي شيئاً إلا وعاه قلبي وقال أحمد بن حنبل: كان قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان على مبلغ عظيم من العلم والمعرفة واشتهر بتفسير كتاب الله، توفي عن عمر ٥٥ سنة، ينظر: تهذيب التهذيب، (م ٨، ص ٣٥١-٣٥٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، (م ٤، ص ٥٩١).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ١٤، ص ٩٣).

(٥) المرجع السابق، (م ٩، ص ٢٤٥).

(٦) الإمام الجويني: أبو المعالي عبد الملك ابن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية، الجويني، الفقيه، المعروف بإمام الحرمين، أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي على الإطلاق، المُجتمَع على إمامته المتفق على غزارة مادته وتفننه في العلوم من الأصول والفروع والأدب، ومن تصانيفه: الشامل في أصول الدين، والبرهان في أصول الفقه، وتلخيص القريب، ولد سنة ٤١٩ وتوفي سنة ٤٧٨، ينظر: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان، (م ٣، ص ١٦٧-١٦٩).

٣- نظرية المقاصد عن الإمام محمد الطاهر ابن عاشور/ للدكتور إسماعيل الحسني.

٤- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور/ للإمام البقاعي.

٥- مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير/ للشيخ صالح آل الشيخ.

٦- نظم الماس والدرر في معرفة مقاصد السور/ عدنان عبد القادر.

ومن المفسرين المعاصرين الذين برزوا في بيان المقاصد والأهداف من الآيات والسور

بشكل واسع ورائع:

١- المفسر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير.

٢- الإمام والمفسر الجليل سيد قطب في تفسيره في ظلال القرآن الكريم.

٣- المفسر الجليل سعيد حوى في تفسيره الأساس في التفسير.

٤- المفسر الجليل برهان الدين البقاعي في تفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

ونجد بعض العلماء المفسرين من كان له اهتمام وعناية بذكر مقاصد السور والآيات بل

واتخذ ذلك منهجاً في تفسيره ومؤلفاته، كالفيروز أبادي في كتابه "بصائر ذوي التمييز" في لطائف

الكتاب العزيز، وكذلك نجد الإمام السيوطي، يذكر وجوه إعجاز العلم بالمقاصد وتناسب الآيات

والسور<sup>(١)</sup>.

وقد اهتم ابن القيم بالمقاصد فقال: "إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد

في المعاش والمعاد وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، وإن خرجت عن

ذلك فليست من الشريعة"<sup>(٢)</sup>.

---

(١) يُنظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (م٢، ص١٥٦).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية، (م٣، ص١١).

## المبحث الثاني

### تعريف الدراسة التحليلية

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: معرفة متطلبات الدراسة التحليلية.

## المطلب الأول

### تعريف الدراسة التحليلية لغةً واصطلاحاً

أولاً: المقصود بالدراسة التحليلية:

إذا نظرنا إلى هذا المصطلح نجد أنه مصطلح مركب من لفظين، فكان من الواجب علينا أن نُعرّف هذا المصطلح أولاً بصورته المنفردة ثم بصورته المركبة.  
الدراسة لغةً:

إذا نظرنا إلى كتب معاجم اللغة نجد أن كلمة الدراسة من الفعل "درس" جاءت بعدة معاني لكن ما يفيدنا ما كان مناسباً لدراستنا التحليلية القرآنية.  
"الدَّرَاسَةُ" الرياضة والممارسة، "والمُدْرَاسُ" الموضع الذي يُدرس فيه كتاب الله، و"المدرسة" مكان الدَّرس والتعليم<sup>(١)</sup>.

و"دارست الكتب ودارستها": أي درستها، وندارسوا القرآن، أي أقرأوه وتهودوه لئلا تتسوه، وأصل الدراسة: الرياضة والتعهد للشيء<sup>(٢)</sup>.

والدرس: درس الكتاب للحفظ، ودرس دراسة، ودارست فلاناً كتباً لكي أحفظ<sup>(٣)</sup>.

التحليلية لغةً: مصدر من الفعل "حَلَّلَ" تقول "حلَّلت العقدة أحلها حلاً إذا فتحتها فانحلت<sup>(٤)</sup>.

"وحلَّل" "العقدة حلها، والشيء رجعه إلى عناصره، يقال: حلَّلَ الدم، ويقال: وحل نفسية فلان درسها لكشف خباياها"<sup>(٥)</sup>.

والتحليل عملية تقسيم الكل إلى أجزائه، ورد الشيء إلى عناصره، وتحليل الجملة: بيان أجزائها ووظيفة كل منها<sup>(٦)</sup>.

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى، (م١، ص٢٨٠)، ومعجم اللغة العربية

المعاصرة، أحمد مختار، (ص١٢٢٧)، وتحفة الأريب، أبو حيان، (ص١٢٧).

(٢) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور، (م٦، ص٨٠).

(٣) انظر: العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، (م٧، ص٢٢٧).

(٤) انظر: العين، للفراهيدي، (م٣، ص٢٧).

(٥) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، (م١، ص١٩٤).

(٦) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، (م١، ص٥٥٠).



## تعريف الدراسة التحليلية:

بعد البحث والتتقيب لم نجد لهذا المصطلح تعريفاً عند العلماء السابقين، وتختلف الدراسة التحليلية في تعريفها حسب نوع البحث والدراسة المرجوة منه، ونحن في هذه الدراسة نُعنيها الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف القرآن الكريم، حسب الدراسة موضوع البحث، وهي دراسة تحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع عشر من القرآن الكريم.

إن هذه الدراسة تركز بالدرجة الأولى على بيان المقاصد والأهداف من الآيات من خلال تحليلها، ودراستها دراسة تحليلية بالتفسير التحليلي، وذلك ببيان معنى مفردات الآية وما تحويه من مناسبة وأسباب نزول وعلوم قرآن، وأحكام شرعية، إضافة إلى وجوه الإعراب والبلاغة وقراءات قرآنية وما فيها من استنباطات دعوية وفكرية وحركية، وحكم وفوائد لها علاقة وثيقة بالمقاصد والأهداف، ويقول أبو المعالي الجويني <sup>(١)</sup> في كتابه: "من لم يَنْقُطْ لوقوع المقاصد في الأوامر والنواهي فليس على بصيرة في وضع الشريعة" <sup>(٢)</sup>.

لذلك أستطيع أن أُعرِّف الدراسة التحليلية: بأنها دراسة مُتعمِّقة بتفكير وتدبر للآية القرآنية واستنباط مقاصد وأهداف الآية من حكم وأسرار وفوائد وقيم وشرائع.

## المطلب الثاني

### معرفة متطلبات الدراسة التحليلية

إن الدراسة التحليلية للسور والآيات تركز على عدة أسس حتى تخرج هذه الدراسة دراسة كاملة متكاملة، تكون قد أدت دورها ورسالتها، معتمدة على "البحث العلمي النزيه، أساس المعرفة الحقة، في التفسير خاصة من أهم ما يجب الاعتناء به، والتعرف على شروطه وآدابه، حتى يصفو مشربه، ويحفظ روعة الوحي وجلاله" <sup>(٣)</sup>، ومن هذه الأمور التي تركز عليها الدراسة التحليلية:

---

(١) الإمام الجويني: أبو المعالي عبد الملك ابن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه، الجويني، الفقيه، المعروف بإمام الحرمين؛ أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي على الإطلاق، مُجمع على إمامته، متفق على غزارة مادته، وتفننه في العلوم من الأصول والفروع والأدب، ومن تصانيفه: "الشامل في أصول الدين، والبرهان في أصول الفقه، وتلخيص التقريب، ولد سنة ٤١٩هـ وتوفي سنة ٤٧٨هـ، ينظر: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان، (م٣، ص١٦٧، ١٦٩).

(٢) البرهان في أصول الفقه، أبو المعالي الجويني، (م١، ص١٠١).

(٣) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، (ص٣٤٠).

## أولاً: التفسير بالمأثور:

وهو تفسير القرآن بالقرآن، بالسنة النبوية، وأقوال الصحابة، والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

## ثانياً: التفسير بالرأي المحمود:

هذا التفسير الذي يعتمد على الاجتهاد والعقل في فهم آيات القرآن واستنباط الأحكام والحكم دون أن يتعارض مع التفسير بالمأثور<sup>(١)</sup>.

## ثالثاً: الاعتماد على علوم القرآن:

علوم القرآن لها عظيم الأثر في هذه الدراسة والوصول بها إلى الأهداف المنشودة، فالناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمكي والمدني، والقراءات، والمحكم والمتشابه، كل هذه الموضوعات وغيرها لها عظيم الأثر في نجاح هذه الدراسة، ومرجع هذه الموضوعات إلى كتب علوم القرآن وكتب التفسير، فيستنبط الباحث المفاهيم والمصطلحات والحقائق والمفردات والتراكيب، والمبادئ، والأحكام الشرعية، والأفكار الرئيسية، والقيم والاتجاهات<sup>(٢)</sup>.

## رابعاً: كتب الحديث، والسيرة، والعقيدة، والفقه، والنحو والبلاغة والتاريخ:

كل ذلك من متطلبات واحتياجات الدراسة التحليلية، حيث لا يمكن الاستغناء عنها في هذه الدراسة<sup>(٣)</sup>.

## خامساً: ربط الآيات بواقع الأمة المعاصر:

الدراسة يتم فيها ربط الآيات بواقع الأمة المعاصر، الأليم الذي يسوده الضعف والانزهاج، فيتم تفسير الآيات تفسيراً معاصراً، وكأن القرآن نزل في هذا الزمان، ليعالج المشكلات والأزمات والقضايا التي يُعاني منها المسلمون، فالقرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة إلى قيام الساعة.

إن الدراسة التحليلية تتطلب من الباحث الدراسة المستنبطة الفاحصة بحيث يتفاعل مع الآيات والنصوص، ويعيش معها، ويستنبط من خلالها المقاصد والأهداف التي تهدف إليها، وهنا هو المقصد المطلوب من الباحث لكي يصل بالفرد والأسرة والمجتمع إلى قمة سامية في عالم الأخلاق والقيم والمثل العليا النبيلة، وبناء الأمن والسلام، والاستقرار في المجتمع الإسلامي، بل في الأمم والشعوب.

(١) التفسير والمفسرون، محمد السيد حسين الذهبي، (م ١، ص ٢٠٢).

(٢) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، (ص ٣٤٠، ٣٤١).

(٣) المرجع السابق، (ص ٣٤١).

## المبحث الثالث

**التعريف بسورة الأنفال ومناسبتها مع غيرها ومحورها**

وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول: التعريف بسورة الأنفال من حيث بين أسمائها وعدد آياتها ومكان وزمان نزولها، وفضائلها.**

**المطلب الثاني: المناسبات في سورة الأنفال من حيث بيان مناسبة السورة بما قبلها وبما بعدها ومناسبة أولها بآخرها.**

**المطلب الثالث: محور وأهداف سورة الأنفال.**

## المبحث الثالث

### التعريف بسورة الأنفال ومناسبتها مع غيرها ومحورها

تعريف السورة لغَةً: المنزلة والشرف والرفعة والفضل والجمع سور ومنه سميت سورة القرآن (١)، والسورة من البناء ما طال وحسن، والسورة من القرآن قطعة من القرآن (٢).  
واصطلاحاً: طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع (٣).

تعريف الأنفال لغَةً: النفل ما نفعه الله ﷻ من فيء المشركين، والنافلة الزيادة على الواجب، وهو التطوع، والغنيمة نافلة لأنها زيادة فيما أحل الله لهذه الأمة مما كان محرماً على غيرها (٤)، والنفل الغنيمة لأنها فضل من الله وهي ما كان زيادة على الأصل لذا سميت الغنائم أنفالاً (٥).  
الأنفال اصطلاحاً: ما ينفعه الغازي أي يعطاه زائداً على سهمه من المغنم (٦).

## المطلب الأول

### التعريف بسورة الأنفال من حيث بيان أسمائها وعدد آياتها

#### ومكان وزمان نزولها وفضائلها

#### ١- أسماء السورة:

الأنفال: أخرج البخاري عن سعيد بن جبیر (٧) قال: قلت لابن عباس سورة الأنفال قال: نزلت في بدر، باسم الأنفال وعرفت بين المسلمين وبه كتبت تسميتها سورة الأنفال وافتتحت بآية فيها "اسم

(١) انظر: لسان العرب، (م ٦، ص ٤٢٧).

(٢) انظر: المعجم الوسيط، (م ١، ص ٤٦٢).

(٣) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، (م ١، ص ٣٥٠)، ومعنى مطلع ومقطع: أي ذو فاتحة وخاتمة، كلام منزل مبين أوله وآخره وأقله ثلاث آيات.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م ٤، ص ٣٢٤)، لسان العرب، (م ١١، ص ٦٧٠).

(٥) انظر: لسان العرب، (م ١١، ص ٦٧٠).

(٦) انظر: الكشاف، للزمخشري، (م ٢، ص ١٨٣).

(٧) سعيد بن جبیر الأسدي، الكوفي، أبو عبد الله من كبار التابعين وأعلمهم، ولد سنة ٤٥هـ، حبشي الأصل، من بني أسد، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر، قُتل على يد الحجاج، قال الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مقتدر إلى علمه، توفي سنة ٩٥هـ، ينظر: الأعلام، للزركلي، (م ٣، ص ٩٣).

الأنفال" لورود وحكم الأنفال فيها (١).

• بدر: تسمى أيضاً سورة بدر فعن ابن عباس قال: سورة الأنفال تلك سورة بدر لأنها نزلت في غزوة بدر (٢).

• الجهاد: وتسمى أيضاً سورة الجهاد لأنها تتحدث عن موضوع الجهاد في سبيل الله (٣).

## ٢- عدد آياتها:

• آياتها سبعون وخمس آيات، كلماتها ألف كلمة وستمائة كلمة وإحدى وثلاثون كلمة، وحروفها خمسة آلاف ومائتان وأربعة وتسعون حرفاً (٤).

بإجماع العلماء أن القرآن مائة وأربع عشرة سورة وقيل مائة وثلاث عشرة من يجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة والأرجح عن مجاهد (٥) وغيره أنهما سورتان (٦).

## ٣- مكان وزمان نزولها وترتيبها في المصحف:

صرح كثير من المفسرين أنها مدنية ولم يستثنوا منها شيئاً، نزلت بالمدينة، قال القرطبي: قال ابن عباس هي مدنية إلا سبع آيات من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ [الأنفال: ٣٠]، إلى آخر سبع آيات (٧).

وقال الزرقاني: فاتحة سورة الأنفال نزلت في بدر فهي مدنية لا مكية (٨).

---

(١) التحرير والتوير، لابن عاشور، (م٤، ص٢٤٥)، والكتاب أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن

(٦٥)، ح (٤٦٤٥)، باب قوله: يسألونك عن الأنفال، قل الأنفال لله والرسول...، (ج٦، ص٦١).

(٢) التحرير والتوير، لابن عاشور، (م٤، ص٢٤٦)، وصفوة التفسير، للصابوني، (م١، ص٤٥٥).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (م٨، ص٢١٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (م٢، ص٤٤٧).

(٥) مجاهد: مجاهد بن جبر، مولى بني مخزوم، تابعي، ولد سنة ٢١هـ، مفسر من أهل مكة، قال عنه الذهبي:

شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأل عنها، تنقل

في الأسفار، واستقر بالكوفة، يقال أنه مات وهو ساجد، وكان ذلك في سنة ١٠٤هـ. ينظر: الأعلام، للزركلي،

(م٥، ص٢٧٨).

(٦) الإتيان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، (م١، ص١٨٣).

(٧) الجامع لأحكام القرآن، (ج٧، ص٣٦)، والحديث أخرجه الترمذي في سننه، (٤٤)، كتاب: أبواب التفسير للقرآن

(١٠)، باب: ومن سورة التوبة (ج٥، ص١٢٣)، ح (٣٠٨٦)..

(٨) مناهل العرفان، للزرقاني، (م١، ص١٥٩).

سورة الأنفال مدنية مع أنها نزلت بمكة في جوف الكعبة عام الفتح الأعظم وهذا ما يدل على المفهوم المشهور للمدني من القرآن وهو ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة<sup>(١)</sup>.

#### ترتيب نزول الأنفال في المصحف الشريف:

نزلت هذه السورة بعد سورة البقرة، ثم قيل هي الثانية نزولاً بالمدينة، وقيل نزلت البقرة ثم آل عمران ثم الأنفال والأصح أنها ثانياً السور بالمدينة نزولاً بعد البقرة، وقد عدت السورة التاسعة والثمانين في عداد نزول سور القرآن، وقيل أن وضع سورة الأنفال وبراءة ليس بتوقيف من الرسول ﷺ والصحابة، كما هو الراجح في سائر السور، بل اجتهاد من عثمان رضي الله عنه وقد استشكل ذلك على حبر الأمة ابن عباس حيث أخرج أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: "قلت لعثمان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المثين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتوها في السبع الطوال؟ فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل (بالمدينة)، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً وكانتا متشابهتين بقصتهما فقبض رسول الله ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرن بينهما ووضعت في السبع الطوال ولكن هذا وهم لأن ترتيب السبع الطوال يدفع هذا الوهم وجعلت الأنفال قبل براءة مع قصرها لكونها مشتملة على البسمة، فقدمها لتكون قطعة منها لذلك قال جماعة من السلف أنهما سورتان لا واحدة<sup>(٢)</sup>، وسورة الأنفال هي الثامنة في ترتيب المصحف<sup>(٣)</sup>.

#### ٤- فضائل السورة:

كان النبي ﷺ يقرأ بها في صلاة المغرب كما أخرجه الطبراني بسند صحيح عن أبي أيوب وأخرجه أيضاً عن زيد بن ثابت<sup>(٤)</sup> عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ في الركعتين من المغرب بسورة

(١) مناهل العرفان، للزرقاني، (م ١، ص ١٥٩).

(٢) أسرار ترتيب القرآن، جلال الدين السيوطي، (ص ٨٨، ٩٠).

(٣) القرآن الكريم، عبد الله شحاته، (م ٩، ص ١٧٠٠)، والحديث أخرجه الإمام أحمد (١/٥٧)، وأبو داود (٧٨٦)، والنسائي كتاب تفسير القرآن باب (٣٢)، وابن حبان في صحيحه (٤٣)، والحاكم في مستدركه، (٢/٢٢١)(٣٣٠)، وقال صحيح الإسناد.

(٤) زيد بن ثابت: زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لؤذان بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، كان عمره لما قدم النبي ﷺ المدينة إحدى عشرة سنة، استصغره النبي ﷺ =

الأنفال<sup>(١)</sup>.

- وقيل في فضل الآية رقم (٢) منها وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، متى تعرف أنه استجيب دعائك قيل: إذا اقشعر جلدي ووجل قلبي وفاضت عيناى بالدموع<sup>(٢)</sup>.
- فعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله)<sup>(٣)</sup>.

## المطلب الثاني

### المناسبات في سورة الأنفال

#### ١ - مناسبة السورة بما قبلها: (الأعراف)

جاءت الأنفال بعد سورة الأعراف المكية هذا وفق ترتيب المصحف لا وفق ترتيب النزول<sup>(٤)</sup>.

والمناسبة بين سورتي الأعراف والأنفال مناسبة عظيمة حيث تتحدث سورة الأعراف عن أحوال الرسل مع أقوامهم وسورة الأنفال تتحدث عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه. ويقول البقاعي عن مناسبة أول الأنفال لآخر الأعراف أن آخر الأعراف تتحدث عن موسى عليه السلام وفي سورة الأنفال اقتضى أن يأتي سؤالاً عن حال المخاطب عنهم فأجيب بقوله

---

= يوم بدر فرده، وشهد أحداً، وقيل شهد الخندق، ولم يشهد أحداً، وكان ينقل التراب مع المسلمين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه نعم الغلام" وحمل الراية يوم تبوك، وهو من كتبة الوحي، وكان أعلم الصحابة بالفرائض، كتب القرآن في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، روى عنه الكثير من الصحابة، توفي سنة خمس وأربعين، وقيل خمس وخمسين، ولما توفي قال أبو هريرة: اليوم مات خير هذه الأمة، وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير أبي الحسن الجزري، (٢م، ص ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨)، وينظر: معرفة الصحابة، أبي نعيم الأصبهاني، (٢م، ص ٣٣١).

(١) فتح القدير، للشوكاني، (١م، ص ٦٦٦)، والحديث في المعجم الكبير، باب ما روي عن زيد بن ثابت، رقم الحديث (٤٨٢٤)، (ج ٥، ص ١٢٥).

(٢) أيسر التفاسير، لأبي بكر الجزائري، ص ٤٤١.

(٣) رواه الترمذي في سننه (١٦٣٩)، وقال حديث حسن غريب وصححه الشيخ الألباني، في صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث (٤١١٣)، وقال الألباني: حديث صحيح.

(٤) تفسير المراغي، (٩م، ص ١٦١).

"يسألونك" أي الذين هزموا الكفار المستحقين للأنفال (١).

وقد يظهر في بادئ الرأي أن المناسب إيلاء الأعراف بيونس وهود لاشتراك الكل في اشتغالهم على قصص الأنبياء وأنها مكية النزول، ولكن وضعت الأنفال بعد الأعراف حسب ما جاء من الوحي للرسول ﷺ (٢).

## ٢- مناسبة السورة بما بعدها: (التوبة)

جاءت سورة براءة متممة لسورة الأنفال في معظم ما فيها من أصول الدين وفروعه والأحكام والتشريع وأحكام القتال وأحكام المعاهدات والمواثيق وأحكام الولاية في الحرب وغيرها بين المؤمنين بعضهم مع بعض والكافرين بعضهم مع بعض، وتحدثت عن المنافقين فما بدأ به في الأنفال أتمه في التوبة.

### ومن الأمثلة على الترابط والمناسبة بين السورتين ما يأتي:

- ١- ذكر بيان وفاء العهود في سورة الأنفال، وافتتحت سورة التوبة بتفصيل الكلام عن بيان نبذها.
- ٢- تفصيل الكلام في قتال المشركين وأهل الكتاب في كل منهما (٣).
- ٣- ذكر في الأنفال الترغيب في إنفاق المال في سبيل الله وجاء هذا الترغيب بأبلغ منه في سورة التوبة كما جاء في الأنفال مصارف الغنائم وفي التوبة مصارف الصدقات (٤).
- ٤- ورد ذكر المنافقين في الأنفال في آية واحدة وفصل عنهم في سورة التوبة فلقبت باسم آخر المنافقون (٥).
- ٥- ذكر في الأنفال صفات المؤمنين الكاملين وبعض صفات المنافقين وحكم الولاية بين كل من الفريقين وجاء أيضاً الحديث عن هذا في سورة التوبة (٦).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (م ١، ص ١٧٠).

(٢) أسرار ترتيب القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي، (ص ٨٨).

(٣) التفسير المنير، لوهبة الزحيلي، (م ١٠، ص ٩٢).

(٤) انظر: والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (م ٢، ص ٢٤١)، وتفسير المراغي، (م ١٠، ص ٥١)،

وتفسير المنار، محمد رشيد رضا، (م ١٠، ص ١٣٣).

(٥) التفسير المنير، لوهبة الزحيلي، (م ١٠، ص ٩٣).

(٦) المرجع السابق، (م ١٠، ص ٩٣).



٦- تحدثت سورة الأنفال عن جهاد المسلمين في بدر (أول غزوة) وتحدثت سورة التوبة عن جهاد المسلمين في غزوة تبوك (آخر غزوة) (١).

### المطلب الثالث

#### محور وأهداف سورة الأنفال

- سورة الأنفال عُنِيَتْ بجانب التشريع وخاصة فيما يتعلق بالغزوات والجهاد في سبيل الله فقد عالجت النواحي الحربية التي ظهرت عقب بعض الغزوات، وتضمنت كثيراً من التشريعات الحربية، والإرشادات الإلهية التي يجب على المؤمنين اتباعها في قتالهم لأعداء الله وقد تناولت جانب السلم والحرب، وأحكام الأسر والغنائم (٢).
- وابتدأت السورة ببيان أحكام الأنفال وهي الغنائم وقسمتها ومصارفها والأمر بتقوى الله في ذلك وغيره، والطاعة لله والرسول، وأمرت السورة المسلمين بإصلاح ذات بينهم وذلك من مقومات معنى الإيمان الكامل، وذكرت الخروج لغزوة بدر وما فيها من نصر وتأييد من الله للمؤمنين وكما جاء فيها الأمر باجتماع الكلمة والنهي عن التنازع حتى يستعدوا لحرب الأعداء، كما وحذرت من المنافقين، وبيّنت أحكام العهد بين المسلمين والكفار وما يترتب على نقضهم للعهد، كما وتناولت أحكام الأسرى، وأحكام المسلمين الذين تخلفوا في مكة بعد الهجرة وولايتهم وما يترتب على تلك الولاية (٣).
- وتناولت السورة حماية دار الإسلام حماية للعقيدة والمنهج والمجتمع الذي يسود فيه المجتمع، وعدم خيانة الله ورسوله، وتحمل الأمانة والثبات والصبر والإخلاص على مشاق الدعوة وتحمل أعبائها، وتثبيت هذا الدين العظيم في الأرض حيث نزلت هذه السورة في غزوة بدر وهي المواجهة العسكرية الأولى بين الحق والباطل الذي أنشأ التصور الاعتقادي وجعله المحرك الأول للنشاط الإنساني وهذه هي سمة المنهج القرآني في عرض الأحداث وتوجيهها وبيان سنة الله في الأرض نصره لأوليائه ولدينه (٤).

(١) انظر: التفسير المنير، لوهبة الزحيلي، (م ١٠، ص ٩٢).

(٢) انظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٥٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٤، ص ٢٤٧).

(٤) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، (م ٣، ص ١٤٤١).

## المبحث الرابع

التعريف بسورة التوبة وأسمائها

ومناسبتها مع غيرها ومحورها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بسورة التوبة من حيث بيان أسمائها، وعدد آياتها، وزمن ومكان نزولها وفضائلها.

المطلب الثاني: المناسبات في سورة التوبة من حيث ربط مناسبة السورة بما قبلها وما بعدها.

المطلب الثالث: محور وأهداف سورة التوبة.

## المطلب الأول

### التعريف بسورة التوبة من حيث أسمائها وعدد آياتها

#### وزمن ومكان نزولها وفضائلها

##### ١ - أسمائها:

التوبة لغةً: يقول ابن منظور (توب) وتاب توباً ومتاباً وتاب إلى الله أي رجع فالتوبة الرجوع إلى الله من الذنب والندم على ما فات من الذنوب (١).

والتوبة اصطلاحاً: الندم على فعل الذنب، وعقد العزم على عدم العودة إليه والتوجه إلى الله طلباً للمغفرة، والتوبة في حق الآدميين: وفاء ما في الذمة من حقوقهم (٢).

وسميت بالتوبة: لأن فيها التوبة على المؤمنين، وتام رضوانه على المؤمنين الصادقين، وعلى الثلاثة الذين تخلفوا عن الجهاد وهم: مرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وكعب بن مالك، وسميت بأسماء عديدة أوصلها بعض المفسرين لأربعة عشر اسماً كما يلي:

قال الزمخشري: لهذه السورة عدة أسماء منها:

١ - براءة: لأن الله ورسوله تبرءا من المشركين وأفعالهم، والبراء مشتق من برأ يبرأ براءة وبراء، ويقال: إني بريء، وهما بريئان، وبريء إذا تخلص وتنزّه، وتباعد وبريء إذا أعذر وأندر (٣).

٢ - الفاضحة: لأنها فضحت المنافقين وكشفت أسرارهم، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "إنها الفاضحة ما زالت تنزل فيهم وتنال منهم، حتى خشينا ألا ندع أحداً (٤).

٣ - المخزية: لكونها أخزت المنافقين من كفر ومكر (٥).

٤ - المدممة: لأنها تدمم عليهم (٦).

٥ - المبعثرة: والبعثرة لأنها تبعثر عن أسرار المنافقين.

(١) لسان العرب، لابن منظور، (م١، ص٢٣٣).

(٢) ينظر: تفسير القرآن الكريم - الأجزاء العشرة الأولى، للإمام محمود شلتوت، (ص٦٠١).

(٣) لسان العرب، لابن منظور، (م١، ص٣٢).

(٤) ينظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي، (م١٠، ص٩١)، وتفسير القرآن الكريم، عبد الله شحاته، (م٩، ص١٧٩٨)، والرواية سبق تخريجها (ص١٢).

(٥) صفوة التفاسير، للصابوني، (ج١٤٨٣)، والكشاف، للزمخشري، (م٢، ص٢٤١).

(٦) فتح القدير، للشوكاني، (م٢، ص٣٧٨)، وتفسير المراغي، (م١٠، ص٥٠).

٦- **المقشقة:** لأنها نقشش من النفاق أي تبرئ منه <sup>(١)</sup>.

٧- **المثيرة:** لكونها تثير أخبار المنافقين.

٨- **الحافرة:** لكونها تحفر عن قلوب المنافقين.

٩- **المنكلة:** لكونها تتكل بالمنافقين وأفعالهم <sup>(٢)</sup>.

١٠- **المهلكة:** لكونها أهلكت المنافقين وشردت بهم.

١١- **المشردة:** لأنها شردت المنافقين نتيجة كفرهم ومكرهم.

١٢- **البحوث:** لأنها تبحث أسرار المنافقين وتفضحهم.

١٣- **العذاب:** لأن فيها التوبة على المؤمنين <sup>(٣)</sup>.

٢- **عدد آياتها وكلماتها حروفها:**

• عدد آياتها مائة وتسع وعشرون عند الكوفيين وثلاثون عند الباقيين.

• وعدد كلماتها ألفان وأربعمائة وسبع وتسعون كلمة، وعدد حروفها عشرة آلاف وسبعمائة وسبع وثمانون حرفاً <sup>(٤)</sup>.

٣- **مكان نزولها:**

اختلف العلماء في تحديد مكان نزول سورة التوبة، هل هي مكية أم مدنية على قولين

كالتالي:

**القول الأول:** نزلت سورة التوبة بالمدينة، وقال القرطبي: مدنية باتفاق <sup>(٥)</sup>.

**القول الثاني:** سورة التوبة مدنية إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان <sup>(٦)</sup>.

---

(١) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (م ١٠، ص ٩١).

(٢) ينظر: فتح القدير، للشوكاني، (م ٢، ص ٣٧٨)، والتفسير المنير، وهبة الزحيلي، (م ١٠، ص ٩١).

(٣) في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، (م ٢، ص ١٥١٠)، والتفسير المنير، للزحيلي، (م ١٠، ص ٩١)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (م ٤، ص ٣٩).

(٤) نفس المرجع السابق، (م ٢، ص ١٥١٠).

(٥) تفسير القرطبي، (م ٨، ص ٦١)، وأيسر التفاسير، للجزائري، (م ٢، ص ٢٣٥).

(٦) الكشاف، للزمخشري، (م ٢، ص ٢٤١)، وزهرة التفاسير، للإمام محمد أبو زهرة، (م ٦، ص ٣٢١١).

**والقول الراجح:** سورة التوبة مدنية بدليل حديثها عن المنافقين وكشف مكرهم وكيدهم وهذه الظاهرة لم تكن موجودة في مكة، ولكنها تواجدت بشكل واسع وانتشرت في المدينة، وكذلك وجود خصائص القرآن المدني كطول الآيات، والحديث عن الجهاد في سبيل الله (١).

#### ٤ - زمان نزولها:

نزلت أوائل سورة التوبة سنة تسع بعد فتح مكة، وكانت من أواخر ما نزل من القرآن الكريم حيث نزل معظمها بعد غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة وهي آخر غزواته ﷺ (٢)، وفي الحديث عن البراء بن عازب ؓ أن آخر سورة نزلت سورة براءة (٣).

يقول الحافظ ابن كثير: "أول هذه السورة نزلت على رسول الله ﷺ أثناء رجوعه من غزوة تبوك، وبعث أبا بكر الصديق أميراً على الحج تلك السنة ليقيم للناس مناسكهم، فلما قفل أتبعه بعلي ابن أبي طالب ليكون مُبلغاً عن رسول الله ﷺ ما فيها من الأحكام، فقال للحجاج عند جمرة العقبة: يا أيها الناس إني رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكم، فقالوا: بماذا؟ فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية من أوائل سورة التوبة، ثم قال: أمرت بأربع: لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فهو إلى مدته (٤).

وبتلاوة علي ؓ لهذه الآيات، أُعلنت الكلمة النهائية للإسلام في شبه الجزيرة العربية، وتمت التصفية بين الشرك والإيمان، وانتشر هذا الدين العظيم، وازدحمت المدينة بالوفود العربية معلنة إسلامها" (٥).

#### ٥ - جو السورة:

وجو السورة نزلت سورة التوبة زمن العسرة والحر الشديد، وقت غزوة تبوك التي كانت ضد الروم في السنة التاسعة للهجرة، وكانت بمثابة ابتلاء لإيمان المؤمنين، وكشف لمكائد المنافقين (٦).

(١) إتيقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، (م ١، ص ٣٨٣).

(٢) تفسير المراغي، (م ١٠، ص ٥٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة براءة، (م ٥، ص ٢٠٢).

(٤) صحيح سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب سورة التوبة، (ح ٢٤٦٩)، (م ٣، ص ٥٥)، والحديث سنده صحيح.

(٥) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، (م ٢، ص ٣٣١).

(٦) التفسير المنير، للزحيلي، (م ١٠، ص ٩٣).

## ٦ - فضائل سورة التوبة:

أخرج الحاكم في المستدرک عن ابن عباس قال: سمعت أبي يقول سألت علي بن أبي طالب عليه السلام: لِمَ لَمْ تُكْتَبْ في براءة بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان <sup>(١)</sup>، فكانت النداء الأخير للبشرية بالتوبة؛ لأن الله فضح فيها الكفار والمنافقين والمتخاذلين، كما حذر المؤمنين وأعلمهم أن باب التوبة مفتوح قبل فوات الأوان، كما مثلت هذه السورة البيان الختامي للدعوة والرسالة.

### المطلب الثاني

#### المناسبات في سورة التوبة من حيث ربط مناسبة السورة بما قبلها وبما بعدها

##### أولاً: مناسبة السورة لما قبلها:

يوجد تناسب بين سورة التوبة والسورة السابقة لها وهي سورة الأنفال، فإنه أظهر من التناسب بين سائر السور بعضها مع بعض، فهي كالمتمة لسورة الأنفال في معظم ما فيها من أصول الدين وفروعه، والسنن الإلهية والتشريع في أحكام القتال، وكشف أحوال المنافقين ومرضى القلوب، فما بدأ به في الأنفال أتمه في التوبة.

ومن الأمثلة على الترابط والمناسبة بين السورتين ما يأتي:

- ١- أن العهود ذُكرت في الأنفال، وافتتحت بسورة التوبة بتفصيل الكلام فيها، وبيان كيفية التعامل مع من يُبرم عهداً مع المسلمين من غير المسلمين.
- ٢- تفصيل الكلام في قتال المشركين، وأهل الكتاب في كل منهما.
- ٣- ذُكر في الأنفال صد المشركين عن المسجد الحرام وأنهم ليسوا بأوليائه، وفي التوبة جاء الحديث عن المشركين بأنهم نجس لا يقربوا البيت الحرام.
- ٤- ذكر في الأنفال الترغيب في الإنفاق من المال في سبيل الله ﷻ، وجاء مثل هذا الترغيب بأبلغ وأوسع من التوبة مصارف الزكاة والصدقات <sup>(٢)</sup>.

---

(١) المستدرک على الصحيحين، للنيسابوري، (م ٢، ص ٣٦٠).

(٢) ينظر: الكشف للزمخشري، (م ٢، ص ٢٤١)، وتفسير المراغي، (م ١٠، ص ٥١)، وتفسير المنار، محمد رضا،

(م ١٠، ص ١٣٣).

٥- ورد ذكر المنافقين والذين في قلوبهم مرض في الأنفال في آية واحدة، وفُصِّلَ في التوبة أوسع تفصيل حتى كانت أجدر بأن تسمى سورة المنافقون لو كانت التسمية للسور بالرأي<sup>(١)</sup>.

٦- ذكر في أول الأنفال صفات المؤمنين الكاملين، وذكر بعد ذلك بعض صفات الكافرين، ثم ذكر في آخرها حكم الولاية بين المؤمنين والكافرين، وجاء في التوبة الحديث عن هذه المواضيع في مواضع معينة منها<sup>(٢)</sup>.

٧- سورة الأنفال تتحدث عن جهاد المسلمين في غزوة بدر الكبرى، وسورة التوبة تصف جهاد المسلمين في معركة تبوك<sup>(٣)</sup>.

٨- سورتي الأنفال والتوبة رغم الشبه الموضوعي بين السورتين، وأنها تدعيان القرينتين، وأنهما نزلتا بالقتال، فإنهما في الأصح سورتان مستقلتان، فليس براءة جزءاً من الأنفال، بدليل كثرة أسمائها المميزة لها، وفصلها عما سبقها، واستقر على ذلك ترتيب السور والآيات في المصحف عند كتابة ونسخ المصحف في خلافة عثمان رضي الله عنه<sup>(٤)</sup>.

### ثانياً: مناسبة السورة لما بعدها:

وجه مناسبة السورة لما بعدها، وهي سورة يونس عليه السلام أن سورة التوبة خُتِمت بذكر رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وافتتحت بها سورة يونس عليه السلام، وجلّ موضوع التوبة في أحوال المنافقين، وما كانوا يقولونه عند نزول القرآن الكريم، وموضوع سورة يونس في أحوال الكفار، وما كانوا يقولونه في القرآن الكريم<sup>(٥)</sup>.

## المطلب الثالث

### محور وأهداف سورة التوبة

تضمنت سورة التوبة مقاصد وأهداف عظيمة في الإسلام وهي كالتالي:

أولاً: بيان القانون الإسلامي في معاملة المشركين وتحديد العلاقات النهائية بين المسلمين والمشركين وفق ما يلي:

١- تقرير البراءة من المشركين ورفع العصمة عن أموالهم وأنفسهم.

(١) ينظر: تفسير المراغي، (م ١٠، ص ٥١)، وتفسير المنار، (م ١٠، ص ١٣٣).

(٢) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (م ١٠، ص ١٣٣).

(٣) ينظر: تفسير القرآن الكريم، عبد الله شحادة، (م ٩، ص ١٧٩٩).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي لأحكام القرآن، (م ٤، ص ٨، ص ٦٣).

(٥) ينظر: تفسير المراغي، (م ١١، ص ٥٨).

٢- منحهم هدنة مقدارها أربعة شهور حتى يتهيئوا في الدخول في الإسلام أو إعلان الحرب عليهم يوم الحج الأكبر.

٣- إتمام العهد بمن حافظ على العهد مع المشركين، وبيان كيفية معاملة الإسلام لهم بعد انقضاء مدة العهد.

٤- تأمين المستجير حتى يعود إلى الإسلام.

٥- الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، وقطع كل ولاية لغيرهم تؤدي إلى الشرك بالله.

٦- قتال المشركين ومقاطعتهم في الجزيرة العربية.

٧- قداسة وطهارة بيت الله الحرام.

ثانياً: تحديد العلاقات النهائية بين المسلمين وأهل الكتاب وفق ما يلي:

١- بيان مدى مكر وحقد اليهود والنصارى على الإسلام.

٢- عقائد أهل الكتاب المنحرفة.

٣- إظهار ما كانت عليه نفوس المسلمين حينما استنفرهم رسول الله ﷺ لغزو الروم<sup>(١)</sup>.

٥- قتال أهل الكتاب بسبب مخالفتهم لشريعة الإسلام.

٦- نعي المتناقلين عن الجهاد في سبيل الله.

٧- فضح المنافقين وكشف أحوالهم ومؤامراتهم ضد الإسلام ما يسمى بالطابور الخامس، المندس بين صفوف المسلمين.

٨- الحديث عن الطوائف والطبقات والمستويات الإيمانية في المجتمع المسلم.

٩- البيعة على الجهاد في سبيل الله.

وهكذا أوضحت السورة طبيعة المنهج الحركي في الدعوة إلى الله تعالى وكشف مراحل الجهاد في سبيل الله من أجل إقامة المجتمع الإسلامي الذي يقوم على الأمن والأمان والحركة والسلام بتطبيق شرع الله في الأرض<sup>(٢)</sup>.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (م٣، ص١٥٦٥، ١٥٦٦).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م٣، ص١٥٦٦-١٥٦٨)، وينظر: مقاصد وأهداف سورة التوبة - دراسة موضوعية في القرآن الكريم، د. عصام العبد زهد، ود. زهدي محمد أبو نعمة، (ص٥-١٠).



## الفصل الأول

### الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف النصف الأول

#### من الحزب التاسع عشر الأنفال من الآية (٧٥-٤١)

ويشمل سبعة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٤٤-٤١).

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٤٨-٤٥).

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٥٤-٤٩).

المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٦٣-٥٥).

المبحث الخامس: مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٦٦-٦٤).

المبحث السادس: مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٧١-٦٧).

المبحث السابع: مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٧٥-٧٢).

## المبحث الأول

مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٤١-٤٤)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: كيفية توزيع الغنائم في غزوة بدر.

المطلب الثاني: رؤى الأنبياء حق.

## المطلب الأول

### كيفية توزيع الغنائم في غزوة بدر

قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُصَّةً وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيْعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتِنَا وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيْتِنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤١-٤٢].

### أولاً: سبب النزول:

هذا المقطع من السورة يتعلق في بداية السورة حيث أخرج البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس سورة الأنفال قال (نزلت في بدر) <sup>(١)</sup>، وروى الواحدي في سبب النزول عن سعد بن أبي وقاص قال: (لما كان يوم بدر وقتل سعيد بن العاص فأخذت سيفه، فأنتيت به النبي ﷺ قال: "أذهب فاطرحه في القبض أي (الموضع الذي تجمع فيه الغنائم) فرجعت وبني ما لا يعلمه إلا الله من سلبى قتل أخي فما جاوزت إلا قريباً حتى نزلت أحكام الغنائم في سورة الأنفال فقال لي رسول الله ﷺ: (أذهب فخذ سيفك) <sup>(٢)</sup>.

وقال عكرمة عن ابن عباس لما كان (يوم بدر) وقال رسول الله ﷺ من فعل كذا وكذا فله كذا وكذا، فذهب شبان الرجال وجلس الشيوخ تحت الرايات، فلما كانت الغنيمة جاء الشبان يطلبون نفلهم فقال الشيوخ: لا تستأثروا علينا فإننا تحت الرايات ولو انهزمت كنا لكم رداءً، فأنزل الله "يسألونك عن الأنفال، فقسما بينهما بالسواء" <sup>(٣)</sup>.

(١) سبق تخريجه من البخاري، (ص ٢١).

(٢) أسباب النزول، للإمام أبي الحسن الواحدي، (ص ١٩٠)، ولباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، (ص ٢٠٣)، والحديث حسن صحيح، أخرجه أحمد في المسند (م ١، ص ١٨٠)، والترمذي في كتاب التفسير، (٣٠٧٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ومعنى سلبى أو سلباً: السلب هو ما على القتل من ثياب وخف، وآلات حرب كدرع ومغفر، وسلاح ومركوب، وطوق وسوار وخاتم، وما على الفرس من أمتعة ومال، روضة الطالبين، للنووي، (٣٧٥/٦).

(٣) ينظر: صحيح أبي داود للألباني، (٢٧٣٧)، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب النفل، (م ٣، ص ٧٧)، والحديث صحيح.

## ثانياً: التفسير التحليلي:

### ١ - مناسبة الآية لما قبلها:

انتقال لبيان ما أجمل من حكم الأنفال، الذي افتتحته السورة، فناسب الانتقال إلى ما جرى من الأمر بقتال المشركين إن عادوا إلى قتال المسلمين، وأن الله شرع ابتداءً أن قسمة الغنائم لرسوله ﷺ يريد أنها لاجتهاد الرسول دون تعيين ثم شرع التخمس وقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾، سيقت هنا بياناً لآية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ فإنها وردت في انتظام متصل من الكلام<sup>(١)</sup>.

والسياق متصل بين مطالع هذا المقطع من السورة وخواتيم المقطع الأخير من الآيات السابقة له فهو استطراد في أحكام القتال الذي بدأ الحديث عنه بأهمية القتال حتى لا تكون فتنة في الأرض ويكون الدين كله لله ثم تابع الحديث عن أحكام الغنائم التي تنشأ من النصر في ذلك القتال الذي هدفه وغايته نصره الدين وعدم الوقوع في الفتن<sup>(٢)</sup>.

### ٢ - معاني المفردات:

**الغنيمة هي:** ما يناله الرجل أو الجماعة بسعي يقال غنم القوم غنماً ومنه المغنم<sup>(٣)</sup>، وقوله "ما غنمتم" أي ما حصلتم من الغنائم من متاع الجيش وهو ما سُمي بالأنفال فالنفل والغنيمة بمعنى واحد مترادفان، وقيل إن الأنفال بمعنى الفيء وهو ما يصل إلى المسلمين بغير قتال، أما الغنيمة فهو ما يصل إلى المسلمين بقتال وبعد وقوع حرب<sup>(٤)</sup>، وورد أن الغنيمة هي مال الكفار إذا ظفر به المسلمون على وجه الغلبة وبعد قتال.

والفرق بين الغنيمة والفيء أنهما سواء وهو كل مال أخذ من المشركين ولكن الغنيمة ما أخذ عنوة والفيء ما أخذ عن صلح، والغنيمة أموال والفيء أرض<sup>(٥)</sup>.

المقصود بـ "من شيء": يريد جميع ما وقع عليه اسم شيء مباح حواه المسلمون من أموال المشركين<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (م٥، ص٦).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، (م٣، ص١٥١٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م٤، ص٣٢٦).

(٤) تفسير التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، (م٥، ص٦).

(٥) النكت والعيون، أبي الحسن علي بن محمد الماوردي، (م٢، ص٣١٩)، وتفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، (م٢، ص٢٠٩).

(٦) النكت والعيون، تفسير الماوردي، (م٢، ص٣١٩).

"فإن لله خمسة" أي ثابت أن الله خمسة، وباقية لكم أيها الغانمون، لأنه أضاف الغنيمة إليهم وأخرج منها الخمس فدل على أن الباقي لهم يقسم كما قسمه رسول الله ﷺ للراجل سهم، ولل فارس سهمان له ولفرسه، وهذا السهم لله ولرسوله يُصرف في مصالح المسلمين عامة من غير يقين لمصلحة فإله ورسوله غنيان عنه فهو لعباد الله؛ لأنه إذا لم يُعَيّن الله مصرفاً، دل على أن مصرفه لمصالح المسلمين عامة (١).

"ذي القربى": هم قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب وإضافة الله إلى القرابة ليدل على أن العلة فيه مجرد القرابة، فيستوي فيه غنيهم وفقيرهم، ذكرهم وأنتاهم لهم الخمس الثاني من الغنيمة (٢).  
"يوم الفرقان": هو يوم بدر الذي فرق الله به بين الحق والباطل، وأظهر الحق وأبطل الباطل (٣)،  
ورود أنه يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان (٤).

وسمى الشرع الواصل من الكفار إلينا الأموال باسمين:

**غنيمة وفيئاً:** فالشيء الذي يناله المسلمون من عدوهم بالسعي وسرعة السير يُسمى غنيمة، والفيء مأخوذ من فاء يفيء إذا رجع وهو كل مال دخل على المسلمين من غير حرب، كخراج الأرض وخمس الغنائم والاتنان فيهما الخمس (٥).

**والفيء:** هو ما يُؤخذ من الكفار بدون قتال، كأن يخاف الكفار من المسلمين فيهربوا ويتركوا شيئاً وراءهم، أو يصالح الكفار المسلمين على شيء يُدفع لهم أو جزية تُفرض عليهم (٦).

"الجمعان": حزب الله وحزب الشيطان، وورد هم المسلمون والكافرون (٧).

"العدوة الدنيا": أي بشفير الوادي الأدنى إلى المدينة، والدنيا تأنيث الأدنى وهو موقع المسلمين، و"الشفير": الناصية أو الجانب وهو ناحية الوادي العليا (٨).

(١) تيسير الكريم الرحمن، في تفسير الكلام المنان، للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ص ٣٢١).

(٢) المرجع السابق، (ص ٣٢١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ص ٣٢٢).

(٤) معالم التنزيل البغوي، للإمام أبي محمد بن مسعود، (م ٢، ص ٢١١).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م ٤، ص ٣٦٣).

(٦) المجموع شرح المذهب، للنووي، (م ١٨، ص ١٨٤).

(٧) معالم التنزيل للبغوي، للإمام أبي محمد بن مسعود، (م ٢، ص ٢١١)، وفتح القدير، للشوكاني،

(م ١، ص ٦٩١).

(٨) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى النجار، (ج ١، ص ٤٦٢).

"العدوة القصوى": أي بشفير الوادي الأقصى من المدينة والقصوى تأنيث الأقصى وهو موقع المشركين.

"الركب": يعني العير والمقصود أبو سفيان وأصحابه الذين كانوا في ساحل البحر على ثلاثة أميال من بدر (١).

"ليهلك": أي ليموت من يموت عن بيعة أي عن حجة شاهدها لتلا يكون له حجة ومعذرة وقصد بالهلاك الكفر وبالحياة الإسلام (٢).

### ٣ - القراءات:

(فأن لله خمسة): قرأت فأن بالكسر فإن ولكن الجمهور قرأها بالفتح (٣).

(العدوة): قرأ الجمهور العُدوة بضم العين، وقرأ ابن كثير وابن عمرو ويعقوب بكسر العين (العدوة) وهما لغتان كالكسوة والكسوة (٤).

"ليهلك": قرأت ليهلك بالفتح، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر ويعقوب من حيي بفك الإدغام للحمل على المستقبل (٥).

(ويحيي): قرأها نافع والبري عن ابن كثير وأبو بكر عن عاصم ويعقوب، (من حيي) وخلف حيي بإظهار الياءين، وقرأه البقية (حيي) بإدغام إحدى الياءين في الأخرى على قياس الإدغام وهما وجهان فصيحان (٦).

(الركب): أجاز الأخفش والكسائي قراءتها بدون تشديد (٧).

---

(١) معالم التنزيل، للإمام البغوي، (م ٢، ص ٩٢)، وتفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ١٧)، والنكت والعيون، تفسير الماوردي، (م ٢، ص ٣٢٢).

(٢) تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (م ١، ص ٣٨٥).

(٣) تفسير البيضاوي، (م ١، ص ٣٨٤).

(٤) تفسير التحرير والتنوير، للإمام الطاهر محمد ابن عاشور، (م ٥، ص ١٦)، وتفسير البيضاوي، (م ١، ص ٣٨٥)، وتفسير البغوي، (م ٢، ص ٢١٢).

(٥) تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (م ١، ص ٣٨٥).

(٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع، أبي محمد مكي بن أبي طالب، (ج ١، ص ٣٢٢).

(٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (م ٤، ص ٣٨٠).

#### ٤ - النحو والبلاغة:

(واعلموا): بدأ بها للاهتمام والتنبيه لأنها تقرأ بالجزم بأن ذلك حكم الله وفيها كناية صريحة ولازمة تخاطب جميع المسلمين وفيه بيان للإجمال حيث خص مسلمي جيش بدر (١).

(أنما): كافة ومكفوفة وهي اسم موصول وهو اسم أن وكتبت في المصحف متصلة بـ (أن) لأن زمن كتابة المصحف كان قبل استقرار قواعد الرسم والضبط (٢).

(الركب): جمع راكب ولا تقول العرب ركب إلا للجماعة الراكبي الإبل وأكثر أهل اللغة أنه لا يقال راكب وركب إلا للذي على الإبل والركب والأركب والركبان والراكبون لا يكونون إلا على الجمال (٣).

#### ٥ - علوم القرآن:

##### أ - الناسخ والمنسوخ:

قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ...﴾ [الأنفال: ٤١].

فهذه الآية تفيد أن زوجات المسلمين اللاتي ارتدن ولحقن بدار الحرب، يجب أن يدفع إلى أزواجهن مثل مهورهن من الغنائم التي يغنمها المسلمون ويُعاقبون العدو بأخذها.

قال الزرقاني (٤): "آية الغنيمة من سورة الأنفال تفيد أن الغنائم تخمس أخماساً ثم تصرف كما رسم الشارع، ولكن بالتأمل في الآيتين يتبين أنه لا نسخ إذ لا تعارض بينهما ويمكن الجمع بينهما بأن يدفع من الغنائم أولاً مثل مهور هذه الزوجات المرتدات اللاحقات بدار الحرب، ثم تخمس الغنائم بعد ذلك أخماساً وتُصرف في مصارفها الشرعية" (٥).

(١) تفسير التحرير والتنوير، (م، ٥، ص ٥).

(٢) المرجع السابق، (م، ٥، ص ٧).

(٣) تفسير البيضاوي، (م، ٥، ص ٣٨٠).

(٤) الزرقاني: محمد عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر بمصر، تخرج من كلية أصول الدين، وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث، وتوفي بالقاهرة سنة ١٤٦٧هـ-١٩٤٨م، ومن مؤلفاته: "مناهل العرفان في علوم القرآن"، و"بحث في الدعوة والإرشاد". ينظر: الأعلام، للزركلي، (م، ٦، ص ٢١٠).

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاوي، (م، ٢، ص ٥٩٠).

## ب- في نزول القرآن الكريم:

الرد على شبهة من قالوا بأن بدء نزول القرآن الكريم بواسطة جبريل عليه السلام بغار حراء بصدر سورة (اقرأ) أنه وافق السابع عشر من رمضان واعتمدوا في ذلك على قوله ﷺ في سورة الأنفال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] ، وجعلوا يوم الفرقان هو يوم التقاء الجمعيين في غزوة بدر وكان يوافق السابع عشر من رمضان وهذا احتمال مقبول (مرجوح) ولكن ظاهر الأدلة على خلافه؛ لأن السنة الصحيحة جاء فيها ما يفيد صراحة أن القرآن نزل في ليلة القدر في الوتر في العشر الأخير من رمضان وهذا رأي جمهور العلماء، وأن مقصد الآية ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] معناه: إنزال الوحي والملائكة والفتح في ذلك اليوم المشهود على النبي ﷺ الذي فرق الله فيه بين الحق والباطل وبين الكفر والإسلام وأقامت للمسلمين دولة وسلطان في أول موقعة تاريخية انتصر فيها الإسلام على أعدائه (١) .

ج- وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ...﴾ [الأنفال: ٤١] .

نزلت لتروض قلوب المسلمين على الرضى بما شرعه الله في قسمة الغنائم بأن يكون الخمس لله ويقنعوا الأربعة أخماس لأن الفضل في هذه الغنائم يعود لله فهو الذي سخر أسرار النصر في هذه المعركة، ويؤيد هذا سياق النظم القرآني الكريم وعلى هذا الرأي أكثر المفسرين (٢) .

## ٦- من الأحكام الشرعية المستفادة من النص:

في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ...﴾ لم يختلف العلماء أنه ليس على عمومه وأنه يدخله الخصوص، فما خصصوه بإجماع أن قالوا: سلب المقتول لقاتله إذا نادى به الإمام، وكذلك الرقاب أعنى الأسارى، الخيرة فيها إلى الإمام بلا خلاف بقول النبي ﷺ: (من قتل قتيلاً فله سلبه) (٣) .

ومما حُص به أيضاً الأرض، والمعنى: ما غنمتم من ذهب وفضة وسائر الأمتعة والسبي.

السلب لا يستحقه القاتل إلا بإذن الإمام بدليل ما ورد في الصحيح أن معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء ضربا أبا جهل بسيفيهما حتى قتلاه فأتيا رسول الله ﷺ فقال: (أيكما قتله؟)

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، (م ١، ص ٨٧-٨٨).

(٢) المرجع السابق.

(٣) رواه البخاري في فرض الخمس، (٣١٤٢)، باب (١٨)، من لم يخمس الأسلاب، ورواه مسلم في الجهاد، (٤٤/١٧٥٢)، باب (١٣)، استحقاق القاتل سلب القتيل.



فقال كل واحد منهما أنا قتلتَه فنظر في السيفين فقال: كلاكما قتله) وقضى بسلبه لمعاذ ابن عمرو بن الجموح<sup>(١)</sup>، وهذا دليل أنه يقسم بإذن الإمام إذ لو كان غير ذلك لقسمه النبي بينهما<sup>(٢)</sup>.

اختلف العلماء في تخميس السلب، فقال الشافعي لا يُخَمَّس، وقال إسحاق: إن كان السلب يسيراً فهو للقاتل، وإن كان كثيراً خُمِّس، وقال الأوزاعي ومكحول: السلب مغنم وفيه الخمس وذهب جمهور العلماء إلى أن السلب لا يُعطى للقاتل إلا أن يُقيم البينة على قتله<sup>(٣)</sup>.

تخميس الغنيمة أي تقسيمها إلى خمسة أخماس أربعة أخماس تعطى للمجاهدين، والخمس الخامس يقسم على خمسة أسهم الأول لله ورسوله ويتفق في مصالح المسلمين، والثاني لأقارب رسول الله، والثالث لليتامى الفقراء، والرابع للمساكين، والخامس لابن السبيل<sup>(٤)</sup>، بدليل حديث الرسول ﷺ عن عبد الله بن عباس أنه رسول الله قال لوفد عبد القيس: (أمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع، أمركم بالإيمان بالله ثم قال أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا إلى خمس ما غنمتم).

اختلف العلماء في النفل هل هو الخمس أو الأربعة أخماس أو خمس الخمس، لأن النفل هو زيادة يعطيها الإمام للمجاهد الذي يبذل جهداً خاصاً في القتال ويأخذ هو زيادة على سهمه<sup>(٥)</sup>. واختلف العلماء في الفيء هل يُخمس كالغنائم، وعند الجمهور لا يُخمس وإنما هو للإمام يصرفه في مصالح المسلمين وينفقه فيما هو الأنفع والأصلح لهم<sup>(٦)</sup>.

### ثالثاً: التفسير الإجمالي:

أن الله ﷻ بين في هذا الجزء من سورة الأنفال أحكام الغنائم، فبيّن أن ما يحصل عليه المؤمنون من أموال المشركين في الحرب سواء كان قليلاً أم كثيراً، فإن لله خمس أي تقسم الغنيمة

(١) أخرجه البخاري في فرض الخمس، (٣١٤١)، باب (١٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٤م)، ص ٣٦٥-٣٦٦.

(٣) المرجع السابق، (٤م)، ص ٣٦٩.

(٤) المجموع، شرح المذهب، للنووي، (١٥٧/١٨)، أخرجه مسلم، (٣٥/١)، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان في صحيح البخاري، وأخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب قوله تعالى: ﴿مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ

وَأَتَقُوهُ﴾ [الرُّوم: ٣١]، رقمه (٥٢٣)، (ج ١، ص ١١١).

(٥) انظر: روضة الطالبين، للنووي، (٣٧٠/٦).

(٦) انظر: المغني، لابن قدامة، (م ١٠، ص ٥٤٧-٥٥٠).

خمسة أقسام خمس لمن ذكر الله تعالى والباقي يوزع على الغانمين، وللرسول ﷺ سهم من الخمس وسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل من أهل الإيمان فهذا حكم الله في الغنائم فيجب تطبيقه وتنفيذه كما أمر الله تعالى.

كما تحدث في هذا الجزء عن أعظم يوم من أيام الله تعالى وهو يوم بدر يوم الفرقان الذي فرق الله فيه بين الحق والباطل وبين حزب الله وحزب الشيطان، وكيف صور الله هذا اليوم العظيم حيث خرج المسلمون يريدون غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، وكان هذا ليقتضي الله أمراً كان مفعولاً من إعزاز الإسلام وأهله ونصرة هذا الدين العظيم الذي لولا نصر الله للإسلام في هذا اليوم لما كان للإسلام أن تقوم له قائمة، ولكن الله أذل الشرك وأهله، فإن وقعة بدر من الآيات الباهرات على نصر الله لأوليائه وخذلانه لأعدائه حيث ثبت الله المؤمنين فوقيت نفوسهم وكانت جاهزة للاستعداد الكامل مع العدو بالجرأة والقوة لتقع الحرب بينهم ويلتحم القتال، وينصر الله جنده ويهزم الباطل وحزبه وتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، فمصير الأمور كلها إلى الله يُصرِّفها كيف يريد لا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد<sup>(١)</sup>.

وأكد الله في هذا الجزء على الإيمان بالله وما أنزله على عبده يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، ويهيب بهم الثبات عند اللقاء وإلى ذكر الله وطاعته وطاعة رسوله ويحذرهم من الفشل والانتكاس حتى يكتب الله النصر والعزة للإسلام والمسلمين بإرادته وقدرته<sup>(٢)</sup>.

#### رابعاً: مقاصد وأهداف الآيات:

##### ١ - حكم خُمس الخُمس:

تضمن هذا الجزء من السورة بيان مدلول الغنائم وكيفية تقسيم الخمس الذي يتبقى بعد الأخماس الأربعة التي منحها الله للمقاتلين وحول خمس الخُمس الذي هو الله، وخمس الخمس الذي هو لرسول الله ﷺ وهو خاص به أم ينتقل لكل إمام بعده، وخمس الخمس للقريبى وهو خاص في قرابة النبي أم يرجع للإمام يتصرف فيه، وهل هي أخماس محددة أم يترك التصرف فيه كله لرسول الله ﷺ ولخلفائه من بعده.

والهدف والمقصد يتلخص في رد أربعة أخماس كل شيء من الغنيمة للمقاتلين، واستبقاء الخمس يتصرف فيه رسول الله ﷺ والأئمة المسلمون والقائمون على شريعة الله المجاهدون في سبيل

(١) انظر: صفوة التفاسير تفسير القرآن الكريم، للشيخ محمد علي الصابوني، (م ١، ص ٧٠-٧١).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥١٥).

الله من بعده في هذه المصاريف: (لله وللرسول، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل) بما يواجهه الحاجة الواقعة عند وجود ذلك المغنم<sup>(١)</sup>.

ولكن أمر الغنائم بجملته ليس واقعاً إسلامياً يواجهنا فنحن لسنا أمام قضية واقعة كوجود دولة مسلمة وإمامة مسلمة وأمة مسلمة تجاهد في سبيل الله ثم تقع لها غنائم تحتاج إلى التصرف فيها، والمنهج الإسلامي منهج واقعي، أكثر جدية وواقعية، ولهذا يجب أن يكون الهدف الأسمى والمقصد الأكبر الآن في واقعنا إعادة إنشاء المجتمع المسلم وفق المنهج الحركي الواقعي لهذا الدين.

كما يحتاج إلى تنظيم علاقاته مع غيره الداخلية والخارجية، فنحن نتعلم من الآيات المنهج القرآني التربوي حيث نربي جيل الجهاد الذي سوف يُحرر البلاد من دنس الاحتلال ويكون آنذاك جهاد فعلي تنشأ عنه غنائم تحتاج إلى العمل بأحكامها بعد أن نحقق النصر والعزة والغلبة لهذا الدين العظيم ليكون الدين كله لله<sup>(٢)</sup>.

## ٢- الإيمان أقوى من العدة والعتاد:

جاء مدلول الإيمان بالله تعالى في القرآن الكريم واضحاً جازماً لا تلميح فيه ولا تأويلات كما فعلت الفرق والمذاهب التي أثارت جدلاً في قضية الإيمان وخاصة اليوم في وقتنا الحاضر نرى جدلاً وخوضاً في قضايا عقديّة واضحة بالدين عند أهل الشيعة وغيرهم ممن يظهرون باسم الدين وهم يخالفون الدين وما جاء به من أجل الهوى والمكايده والتعصب، وهذا يُعد غلواً يخرجهم من الإيمان إلى الكفر، أما دين الله فواضح جازم فالإيمان ليس بالتمني ولكن ما قر في القلب وصدقه العمل، ولا بد لقيامه من قبول شرع الله وتطبيقه في واقع الحياة، وهذا نموذج من التقريرات الصريحة الواضحة الجازمة من قول الله ﷻ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُصَّةً وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١]، فهذا رسم حقيقة الإيمان وحدوده في كتاب الله<sup>(٣)</sup>.

## ٣- الاستسلام والانقياد لأوامر الله تعالى:

يهدف هذا المقطع من الآيات إلى التجرد والانقياد والطاعة لأوامر الله ﷻ، عندما قال تعالى في الآية الكريمة: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُصَّةً...﴾ [الأنفال: ٤١]، وخاصة

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٢٠).

(٢) المرجع السابق، (م ٣، ص ١٥٢٠).

(٣) انظر: المرجع السابق، (م ٣، ص ١٥٢٠).

المجاهدين في سبيل الله عليهم أن يسلموا أمرهم كله لله، ويخوضوا المعارك لله، وفي سبيل الله، طاعة لله، وتحقيقاً لنصرة الله، ورفع رايته، لا لدنيا يصيبها أو لغنيمة يمتلكها، فهذا هو قمة الإيمان ومقتضاه وعلو شأن أهله<sup>(١)</sup>.

ويُستخلص من ذلك كما أرى ما يُفيد أن المجاهدين المرابطين اليوم على الثغور يدافعوا عن هذا الدين العظيم، ويحموا وطنهم وشعبهم وأرضهم ومقدساتهم لا لشيء من الدنيا من مال وغنائم ونفوذ وسلطة وإنما لنصرة الدين وهذه العقيدة الراسخة الواضحة، وبدل على مدى صبرهم وثباتهم وحمياتهم لهذا الدين، فيكتب لهم الله بإذنه وإرادته وقوته الخير ويمنحهم المال والرزق ويحقق لهم النصر والعزة والتمكين في كل جولة مع هذا العدو العاشم إلى أن تأتي المعركة الفاصلة مع العدو والتي وعدنا الله فيها بالنصر والتمكين.

#### ٤ - العبودية لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى:

قررت الآيات بأن العبودية لله وحده العاصم من العبودية للهوى، وللإنسان وأن أعلى مقام وتكريم للإنسان هو العبودية لله وحده خص بها الله تعالى نوع الإنسان من بين سائر الخلائق، وحرره من عبادة غيره، ومن عبودية الحتميات اليوم التي يجعلون الإنسان ذليلاً رخيصاً لها يرغمونه على أن يكون عبداً لحتمية التاريخ وحتمية الاقتصاد وحتمية التطور وسائر الحتميات المادية التي تمرغ جبين الإنسان في عبودية بائسة ذليلة دون أن يفكر أو يستخدم عقله بتوظيف كل علم وكل تطور وكل معرفة في عبودية الله تعالى الذي هو أصل من أصول الدين العظيم ومدلول الإيمان بالله وحقيقته وشرطه ومقتضاه وهذا كله قرره الآية: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]<sup>(٢)</sup>.

#### ٥ - غزوة بدر فرقت بين فسطاط الحق وفسطاط الباطل:

قررت الآيات الفرق بين الحق والباطل فكانت فرقاناً حقيقياً واقعاً بين حزب الله وحزب الشيطان، وارتفعت الهامات لا تتحني لغير الله وتساوت الرؤوس لا تخضع إلا لحاكمية الله وشرعه وتحررت القطعان البشرية المستعبدة للطغاة، وكانت فرقاناً بين عهدين في تاريخ الحركة الإسلامية، عهد الصبر والمصابرة والتجمع والانتظار، وعهد القوة والحركة والاندفاع، وأصبح شكلاً جديداً للوجود الإنساني وتصوراً جديداً للحياة ونظاماً للمجتمع والدولة حيث بدأ التطبيق الواقعي للإسلام

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٢٠).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (م ٣، ص ١٥٢١).

في حياة المسلمين ثم في حياة البشرية وهذا هو الأمر الذي دعا الله له في آياته ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُصَّةً وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ أَمْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّمَيِّ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١]، وهذا يعلمنا دروس كثيرة اليوم منها أن الله دائماً ينصر الفئة المؤمنة على الفئة الباغية وأكد هذا نصر المسلمين في حرب الفرقان الأخيرة مع العدو الصهيوني حيث فرق الله فيها بين الحق والباطل وكتب النصر والغلبة للمؤمنين فكانت صورة مصغرة من حرب الفرقان يوم بدر، اليوم العظيم الذي أقام للإسلام القائمة إلى قيام الساعة وهكذا بواقعنا مع الأعداء اليوم سواء مع بني جلدتنا من طواغيت اليوم أو من العدو الصهيوني الغاشم فنجد أن الله مع الحق <sup>(١)</sup>، ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٨] <sup>(٢)</sup>.

## ٦- التمسك بالعقيدة الإسلامية سبب تقدم الأمم والشعوب:

الفرقان في بدر بين الحق والباطل درس رباني يعلم الأمة درساً عظيماً بأن العقيدة الإسلامية هي أساس الحياة، وهي أساس قيام المجتمعات والدول الأمم ونهضتها ونهضة شعوبها إلى يومنا هذا، لأن التاريخ البشري كله منذ موقعة بدر متأثر بهذا الفرقان في أرض الإسلام حيث تأثر الجميع بتقاليد وتعاليم المجتمع الإسلامي الراقى بأخلاقه ومعاملته وعدله وشموله لكل نواحي الحياة، حيث تأثر الصليبيون الذين جاءوا ليحاربوا الإسلام ويقضوا عليه ويحطموا المجتمع الإسلامي الذين اندهشوا منه ومن نظامه وقيمه ورفقيه ونقلوا النظام الاجتماعي الإسلامي لبلادهم وقضوا على النظام الإقطاعي المذل الذي كان سائداً عندهم، وكذلك التتار تأثروا بنظام الإسلام وروعته وطبقوه في خلافة عندهم امتدت من القرن الخامس عشر إلى القرن العشرين في أوروبا، وهذا درس لطواغيت العصر بأن يأخذوا العبرة والعظة، ويعودوا إلى الإسلام وإلى إقامة شرع الله في الأرض وتحطيم سلطان الباطل، فنحن بحاجة اليوم إلى تطبيق هذا الفرقان في حياتنا في ضمائرنا في سلوكياتنا، ونزيل الباطل والغشاة عن عيوننا ونفوسنا لهذا اليوم العظيم، ليعود الفتح والنصر من جديد ويعم الأمن والأمان والسعادة وتحقيق نصر الله للمؤمنين <sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: تفسير في ظلال القرآن، (م٣، ص ١٥٢٢).

(٢) نفس المرجع السابق، (م٣، ص ١٥٢٣).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (م٣، ص ١٥٢٣).

## ٧- فرقان الأمس هو فرقان اليوم:

رفع الروح المعنوية عند الجيش سبب من أسباب النصر وعامل أساسي من عوامل النصر في المعارك مع الأعداء، وهذا ما نتعلمه اليوم في حربنا مع العدو الصهيوني الغاشم رغم الإمكانيات القليلة في الاستعداد مقابل عدتهم وإمكاناتهم الهائلة وأن المجاهدين يتمتعون بثقة عالية، وعزيمة قوية، ويقين أكيد بأن النصر من عند الله تعالى، وفرقان الأمس تحقق في فرقان اليوم حيث رأى المجاهدين أثناء حرب الفرقان في غزة الشامخة مع العدو الصهيوني الغاصب مدى نصره الله لهم فقصوا على شعبهم بعد النصر الكثير من القصص التي بينوا فيها وأكدوا أنهم شاهدوا وكأن الملائكة تحارب معهم، وشعروا أثناء الحرب بمدى قدرة وعظمة الله وتدبيره وقوته بنصر الفئة القليلة المؤمنة الصابرة على الفئة القوية الباغية، وهذا أساسه التربية على حب الجهاد وبث الروح المعنوية العالية والثبات فكانت سورة الأنفال مدرسة يتعلمون فيها الصبر والثبات والعزيمة<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني

#### رؤى الأنبياء حق

قال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا لَفَاشَلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَمُّنِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الأنفال: ٤٣-٤٤].

#### أولاً: التفسير التحليلي:

##### ١- مناسبة الآيات لما قبلها:

﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ﴾ جاءت بعد الحديث عن حال المسلمين وموقعهم أثناء غزوة بدر أي زمن كونهم بالعدوة الدنيا، حصلت الرؤيا للنبي ﷺ لوقوعها في مدة نزول المسلمين بالعدوة من بدر<sup>(٢)</sup>.

##### ٢- معاني المفردات:

"يريكهم": من الرؤية حيث رأى النبي ﷺ المشركين في منامه قليلاً وكان هذا سبب لثبات المسلمين، والرؤيا في إرادتها إلى الله تعالى لأن رؤيا النبي ﷺ وحي بمدلولها<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٢٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ٢٢).

(٣) انظر: فتح القدير، للشوكاني، (م ١، ص ٦٩١)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ٢٢).

وفيها وجهان للعلماء أحدهما: أن الله أرى نبيه ﷺ قلة المشركين عياناً وفي قوله (في منامك) يريد في عينيك التي هي موضوع محل النوم، والثاني: أنه ألقى عليه النوم وأراه قلتهم في نومه، وهو الظاهر وعليه الجمهور (١).

### ٣- النحو البلاغة:

يريكهم: التعبير بالفعل المضارع لاستحضار حالة الرؤيا العجيبة (٢).

ولكن الله سلم: جملة مستدركة متعلقها محذوف إيجازاً دل عليه قوله "لفشلتم ولتنازعتم" والتقدير: سلمكم من الفشل والتنازع بالرؤية التي بينت واقع عدد المشركين فشجعتكم (٣).

إذ يريكهم الله: بدل من قوله (إذ أنتم بالعودة الدنيا) (٤).

وإذ يريكموهم: عطف على "إذ يريكهم الله" (٥)، الأولى المعطوفة للجميع، والثانية خاصة بالنبي محمد ﷺ (٦).

ليقضي الله: ليقضي متعلق بمحذوف، أي ليقضي أمراً كان واجباً أن يفعل وهو نصر الله لأوليائه وقهر أعدائه (٧).

### ٤- القراءات:

وإلى الله ترجع الأمور: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (تُرْجَع) بضم التاء وفتح الجيم أي (مرجعها)، راجع إلى الله، فالذي يرجعها هو الله فهو يرجعها إليه.

وقرأ الباقر (تُرْجَع) بفتح التاء وكسر الجيم، أي تُرْجَع بنفسها إلى الله ورجوعها هو برجوع أسبابها (٨).

(١) انظر: النكت والعيون، للماوردي، (م ٢، ص ٣٢٣).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ٢٤).

(٣) انظر: المرجع السابق، (م ٥، ص ٢٤).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ٢٢).

(٥) المرجع السابق، (م ٥، ص ٢٥).

(٦) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م ٤، ص ٣٨١).

(٧) الكشاف، للزمخشري، (م ٢، ص ٤٢١).

(٨) حجة القراءات، ابن زنجلة، (ص ٤٠٣٠).

## ثانياً: التفسير الإجمالي:

تعتبر غزوة بدر من الآيات الباهرات على نصر الله تعالى لأوليائه الصالحين، تلك الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكبيرة الباغية حيث خذل الله تعالى أعداء الإسلام في هذه الغزوة العجيبة حيث أرى الله سبحانه نبيه الكريم ﷺ في المنام قلة عدد أعدائه، وأعداء الإسلام كفار قريش وأخبر بها أصحابه رضوان الله عليهم حتى ثبتوا وتشجعوا وقويت نفوسهم على الحرب ولو كان غير ذلك لسبب لهم الجبن والفشل والتنازع والاختلاف فيما بينهم ولأدى ذلك إلى الفرار من أرض المعركة ولكن الله سلمهم من ذلك كله وكتب لهم الفوز والفلاح في أكبر وأول لقاء بين الإسلام والكفر وهذا أدى إلى بقاء الإسلام ليومنا هذا، وكسر شوكة الأعداء، بهذه الرؤية العظيمة من الله تعالى وهذا من عظام آيات الله في تلك الغزوة العجيبة التي نصر الله بها جنده وحزبه وهزم الباطل وجنده وحزبه، وأراد الله أن تكون دائماً وأبداً وكلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فالله لا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد حيث قال في محكم تنزيله: ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٤]، فهذا هو تدبير الله ﷻ كما أراد وتحقق النصر والعزة والرفعة (١).

وهذا الأمر درس عظيم للإسلام والمسلمين أراد الله أن يُعَلِّمَهُمْ لِلْأَمَةِ، أن النصر بيد الله ففي كل واقع يجب أن يعلم المسلم أن الله ينصر الفئة المؤمنة المخلصة الثابتة على الفئة الباغية المادية المتجبرة وهذا في كل عصر وزمان، ويؤكد الإسلام دائماً على ضرورة الجهاد في الأرض لتحطيم قوى الشر وسلطان الطاغوت وإعلاء راية الحق وسلطان الله ﷻ (٢).

## ثالثاً: مقاصد وأهداف الآيات:

### ١ - رؤية النبي سبب من أسباب النصر والعزة:

رؤية الأنبياء حق وهذا ما أثبتته الآيات حيث تحقق رؤية النبي ﷺ عندما رأى الكفار في منامه قليلاً لا قوة لهم ولا وزن ونبأ أصحابه رضي الله عنهم أجمعين بالرؤية فاستبشروا وتشجعوا وكانت سبباً في قوة عزيمتهم وثباتهم أمام العدو، فالله ﷻ سلمهم من الفشل والتنازع والضعف، وهذا يعلمنا اليوم أن الرجوع لدين الله من تطبيق القرآن والسنة والعمل بهما، هو سبب للفوز والغلبة والنصر، وتصديق كل أمر جاء به النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير؛ لأنه ﷻ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤] (٣).

(١) انظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٧١).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٢٦).

(٣) المرجع السابق، (م ٣، ص ١٥٢٦).



## ٢- القانون الإلهي بنصر الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكبيرة الباغية:

الذي أراه وأستنتجه أن الآيات بيّنت مقصداً عظيماً يُعد القانون الإلهي الثابت، بأن الله ﷻ دائماً وأبداً ينصر الفئة المؤمنة القليلة على الفئة الكثيرة الباغية، وهذا درس عظيم يعلمنا في وقتنا الحاضر ونحن نعيش حالة حرب مع العدو الصهيوني الغاشم، أن القوة ليست بكثرة العدة والعتاد وإنما هي قوة الإيمان والعقيدة، فكانت بدر المعركة الأولى بين الكثرة المشركة والقلة المؤمنة لتكون فرقاناً بين تصورين وتقديرين لأسباب النصر وأسباب الهزيمة، وهذا يُعلّم المجاهدين والمرابطين اليوم على أرض فلسطين وفي كل مكان وزمان، أن يجاهدوا ويخوضوا غمار المعركة مع الباطل غير منتظرين تساوي القوى المادية الظاهرية لأنهم يملكون قوة أروع وأعظم ترجح كفة القوة والنصر والغلبة بالإيمان والثبات، وهذا تحقق في الرؤيا التي رآها النبي في منامه وكانت سبباً للقوة والعزيمة والثبات عند المسلمين وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَمُّنِ فِي أَغْيَابِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَغْيَابِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الأنفال: ٤٣-٤٤]، وهذا يدل على تدبير الله وبيان مدى عظمته وقوته وأنه إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون حيث تحقق النصر بإرادته وقدرته وتدبيره ﷻ، حيث رآهم الرسول ﷺ قليلاً وهم كثير في العدد ولكن في الحقيقة وزنهم قليل لأن قلوبهم خواء من الخير والحق والعدل لذلك ضعفوا عند المواجهة وهذا كان تدبيراً من الله العليم العزيز، الحكيم ليكتب النصر والعزة لعباده المؤمنين الطاهرين.

## ٣- ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله:

ضرورة الجهاد في سبيل الله خاصة في هذا الزمان، وزمن الطغاة والظالمين، الزمن الذي يكذب فيه الصادق ويخون فيه الأمين ويصدق الطاغية الخائن لوطنه وشعبه، فذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله لتحطيم قوى الشر والفساد وسلطان الطاغوت وإعلاء راية الحق وسلطان الله على طواغيت العصر لنشر العدل والسلام والأمن، وقهر الكفر والشرك والفساد في الأرض.

## ٤- الجند المخلصون هم المنتصرون:

جند الباطل كان كثير لكن قليل وزنهم، قلوبهم خاوية من الإدراك والإيمان، كحزب الله تعالى صاحب الإيمان الواسع والزراد النافع، الذين على قلة عددهم وعتادهم انتصروا، وهذا يُعلّم المسلمين اليوم أن الكثرة العددية ليس هي التي تكفل النصر، والعدة المادية ليست هي من يحدد

المصير ولكن الإيمان والثبات والطاعة والتوكل على الله هم أسباب النصر والعزيمة (١).

والذي أراه في واقعنا اليوم رغم تكالب الطغاة في الأرض على الإسلام والمسلمين في كل مكان ومن أقوى وأعتى الدول عالمياً إلا أن الله يثبت للعالم أجمع أن الإسلام هو المنتصر وهو الأقوى دائماً وأبداً وهنا كان واضحاً عندما اعتدى الغرب على سيرة المصطفى ﷺ خاصة (الدنمارك) الذين رسموا الرسومات التي تُسيء لشخص النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، ولكن العالم الإسلامي والعربي هبَّ لنصرة الإسلام، ونصرة قدوتنا العظيم سيد ولد آدم محمد ﷺ أفضل إنسان على البشرية.

ووجدناه في الربيع العربي الذي أيقظ المسلمين من غفلتهم وضياعهم، وأصبح لهم رأي وكلمة في وجه الطغاة يدافعون عن إسلامهم، وعن عقيدتهم، وعن حقوقهم رغم قهرهم وتعذيبهم وقتلهم إلا أن الله ﷻ أراد للدين أن يعود، وسوف يعود كما كان في عهد النبي ﷺ دين السيادة والشمولية والعدالة والأمن والأمان وسوف تتحقق الخلافة في الأرض كما وعد ﷻ حيث يقول في كتابه العزيز: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥] .

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٣، ص ١٥٢٦)، ووجد الله ثقافة وأخلاقاً، سعيد حوى، (ص ٢١١).

## المبحث الثاني

مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٤٥-٤٩)

عوامل النصر في معركة بدر الكبرى

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الثبات والطاعة سبب للنصر والرياء سبب للهزيمة.

المطلب الثاني: تزيين الشيطان للمشركين أعمالهم وخذلانه لهم.

المطلب الثالث: المنافقون وموقفهم من النصر.

## المبحث الثاني

### مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٤٥-٤٩)

#### عوامل النصر في معركة بدر الكبرى:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ \* وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ \* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ \* وَإِذْ زَيْنَ هُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْيَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ \* إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرْهُ هُوَ لَاءَ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿ [الأنفال: ٤٥-٤٩].

### المطلب الأول

#### الثبات والطاعة سبب للنصر والرياء سبب للهزيمة

#### أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ \* وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ \* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿ [الأنفال: ٤٥-٤٧].

لما عَرَفَ اللهُ المؤمنين بنعمه ودلائل عنايته لهم في بدر، وكشف عن سر من أسراره بنصره إياهم، وخذلان أعدائهم وكتب لهم النصر مع قلتهم وكثرة أعدائهم، أقبل في هذه الآيات الكريمة بأمرهم بما يهيئ لهم النصر في كل المواقع فجمع لهم في هذه الآيات ما به قوام النصر في الحروب، وافتتحت هذه الآيات بالنداء اهتماماً بها وبالوصايا التي حملتها للمؤمنين لتعينهم على الصبر والثبات، وطاعة الله ورسوله في كل أمر وعدم التنازع بالتشاور وعدم الاختلاف، فهذا هو سبب النصر والفلاح والعز (١).

#### ثانياً: التفسير التحليلي:

#### ١- سبب النزول:

ورد في سبب نزول الآية رقم (٤٧) من المقطع:

(١) تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ٢٩-٣٠).

أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا بالقيان والدخوف، فأُنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا...﴾ [الأنفال: ٤٧]، فنهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثلهم وأمرهم بإخلاص النية في نصر الله ومؤازرة نبيه محمد ﷺ (١).

## ٢- معاني المفردات:

• "وتذهب ريحكم": فيه أربعة أقاويل:

أحدها: يريد بالريح القوة، وضرب الريح مثلاً.

والثاني: يريد بالريح الدولة ومعناه فتذهب دولتكم.

والثالث: يريد به ريح النصر الذي يرسلها الله ﷻ لنصر أوليائه وهلاك أعدائه.

والرابع: أن الريح الهيبة، وريح القوم هيبتهم التي تتقدمهم بتقدم الريح.

ويكون المعنى: فتذهب ريحكم وهيبتكم (٢).

"بطراً ورياء الناس": البطر: هو إعجاب المرء بما هو فيه من نعمة والاستكبار والفخر بها (٣)، وورد البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها (٤).

ورياء: من الروبة وهي مبالغة في إرائة الناس عمله محبة أن يروه ليفخر عليهم (٥).

والرياء: إظهار الجميل لئرى وإبطان القبيح (٦).

## ٣- البلاغة:

افتتحت الآيات التي تحمل الوصايا للمؤمنين بالنداء ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ للإهتمام.

• "وتذهب ريحكم":

- الريح: استعارة للغلبة، لأن الريح حقيقتها تحريك الهواء وتموجه، ووجه الشبه هو أن الريح لا يمانع جريها ولا عملها شيء فشبه بها الغلب والحكم (٧). "وتذهب ريحكم" استعارة أي تذهب

(١) لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، (ص ٢١٣).

(٢) النكت والعيون، تفسير الماوردي، (م ٢، ص ٣٢٤).

(٣) تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ٣٣).

(٤) تفسير البغوي، (م ٢، ص ٢١٣).

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ٣٣).

(٦) تفسير البغوي (م ٢، ص ٢١٣).

(٧) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (م ٥، ص ٣١).

قوتكم وشوكتكم (١).

\* رياء: صيغة مبالغة أي بالغ في إراءة الناس عمله محبة أن يروه ليفخر عليهم وفيها همزتين، الأولى أصلية والأخيرة مبدلة عن ياء (٢).

#### ٤- الإعراب:

- جملة: "ولا تكونوا" معطوفة على "ولا تنازعوا"، عطف نهي على نهي، ويصح أن تكون معطوفة على جملة "فاثبتوا" فتكون عطف نهي على أمر.

- "بطراً ورياء الناس": منصوبة على الحالية ووصفهم بالمصدر للمبالغة كون تمكن الصفتين منهم، صفة البطر والرياء فهي من أخلاقهم (٣).

- "والله بما يفعلون محيط": الإحاطة مجاز عقلي لأن المحيط هو علم الله تعالى (٤).

#### ٥- القراءات:

- "ولا تنازعوا" قرأت بتشديد التاء. .

- "وتذهب ربحكم": قرأت بالتاء والنصب، وقراءة من قرأ: "ويذهب ربحكم" بالياء والجزم (٥).

- "فتفشلوا": قرأت بتشديد التاء، منصوب بإضمار أن أو مجزوم لدخوله في حكم النهي (٦).  
وقرأت "فتفشلوا" بنصب الفاء في جواب النهي. و"تفشلوا" بكسر الشين (٧).

#### ٦- الأحكام الشرعية المستفادة من النص:

١. وجوب ذكر الله تعالى كثيراً خاصة في المعارك والحروب، وقال قتادة: [افترض الله ﷻ ذكره على عباده، أشغل ما يكونون عند الضراب بالسيوف، وكان النبي ﷺ يقول بعد التعبئة للمعركة: "اللهم منزل الكتاب ومُجري السحاب وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم" (٨).

(١) انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (م ١، ص ٤٧٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (م ٥، ص ٣٢).

(٣) المرجع السابق، (م ٥، ص ٣٢-٣٣).

(٤) المرجع السابق، (م ٥، ص ٣٤).

(٥) الكشاف، الزمخشري، (ص ٤٢٢)، وفتح القدير، للشوكاني، (م ١، ص ٦٩٤).

(٦) المرجع السابق، الكشاف، الزمخشري، (م ٢، ص ٤٢٢).

(٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (م ٤، ص ٣٨٣).

(٨) رواه البخاري، (م ٤، ص ٦٦٥٣)، ورواه مسلم، (ص ٤٥٣) كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمنى لقاء العدو،

والأمر بالصبر عند اللقاء، (ح ١٧٤٢).

وقوله ﷺ: **إثنتان لا تردان أو قلّما يُردان: الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضاً** <sup>(١)</sup>.

٢. مكروه رفع الصوت في مواطن القتال وخاصة إذا كان الذاكر واحداً، وأما إذا كان من الجميع فحسن ومقبول لأنه يفتّ في عضد العدو، وروى أبو داود <sup>(٢)</sup>، وروي عن قيس بن عباد قال: "كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون الصوت عند القتال"، فمستحب الصمت عند خوض المعركة <sup>(٣)</sup>.

٣. وجوب الحذر من المنافقين الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، والذين في قلوبهم مرض الشاكرون وهم دون المنافقين؛ لأنهم حديثو العهد بالإسلام ضعفاء في النية والعقيدة <sup>(٤)</sup>.

٤. يُسن الدعاء عند اللقاء مع العدو وأن يُكبّر بلا إسراف في رفع الصوت <sup>(٥)</sup>.

### ثالثاً: التفسير الإجمالي:

في هذا المقطع من الآيات الكريمة تحتشد معانٍ وإيحاءات وقواعد وتوجيهات، وصور ومشاهد بدأت ببناء للذين آمنوا للعصبة المسلمة تحثهم على الثبات والصبر عند لقاء الأعداء، وأكدت على عوامل النصر الحقيقية في الحروب والغزوات وهي: "الثبات عند اللقاء، وذكر الله ﷻ، والطاعة لله ولرسوله وتجنب النزاع والشقاق، والصبر على تكاليف المعركة، والحذر من البطر والرئاء والبغي، لأن العصبة المؤمنة تقاوم من أجل الله وفي سبيل الله لتخطيم الطواغيت التي تستعبد العباد لتكون الحاكمة لله تعالى وحده، لتعلو راية الحق، وتؤكد على المؤمنين بأن يتجردوا لله بتحقيق طاعته بأمر الجهاد لا لدنيا ولغنائم وإنما من أجل الدين والعقيدة <sup>(٦)</sup>.

### رابعاً: مقاصد وأهداف الآيات:

#### ١- الثبات والصبر والطاعة والذكر سبب للنصر والعزة:

(١) انظر: رواه أبو داود بسند صحيح، كتاب الصلاة، باب الدعاء عند اللقاء، (٢٥٤٢)، وورد في صحيح أبي

داود باب (٤١) الدعاء عند اللقاء حديث (٢٢٩٠)، وقد صححه ابن خزيمة وابن حبان.

(٢) رواه أبو داود في الجهاد، (٢٦٥٦)، باب (١١٢) فيما يؤمر به الصمت عند اللقاء وإسناده صحيح، وقد صححه الألباني.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م٤، ص٣٨٢).

(٤) المرجع السابق، (م٤، ص٣٨٦).

(٥) مُغني المحتاج، للخطيب الشربيني، (م٤، ص٢٢٠).

(٦) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م٣، ص١٥٢٧، ١٥٢٨).

فهذه هي عوامل النصر الحقيقية في كل زمان وفي كل مكان حيث يؤكد الله ﷻ بالنداء الرباني للأمة الإسلامية بأن تحرص على الثبات والصبر والطاعة لله والذكر والدعاء لأنها ركائز أساسية للنهوض بهذا الدين.

وهذا ما نعيشه اليوم من ظلم الطواغيت في كل مكان فإذا التزمنا بتعاليم وتوجيهات الله لنا في هذه الآيات وكنا على ثقة عالية بنصر الله لنا حتماً سنحرر الأقصى من دنس بني صهيون ويتحقق وعد الله للمسلمين على هذه الأرض المباركة أرض فلسطين.

## ٢- الذكر والدعاء أثبت على مر العصور أنه من عوامل النصر:

فذكر الله ﷻ كثيراً والدعاء بتضرع عند لقاء العدو أثبت بشكل مؤكد أنه من أسباب الفلاح والفوز، وهذا ما عرفناه في تاريخ الأمة المسلمة من خلال الغزوات التي خاضها النبي ﷺ، ومن خلال الموكب الإيماني التاريخي كقصة سحرة فرعون عندما آمنوا بالله فعذبهم الطاغية فرعون فقال: ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦] ، ففضلوا التضحية والفداء بأرواحهم مقابل استعلاء الإيمان في قلوبهم <sup>(١)</sup>، فالدعاء روح الصلاة كما في الحديث عن النعمان ابن بشير رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: [الدعاء هو العبادة] <sup>(٢)</sup>.

والذي أراه من خلال معركة الفرقان بغزة أن الدعاء فيها والاعتماد والتوكل على الله بالإكثار من الذكر والتضرع لله وصلاة قيام الليل والابتهاال والدعاء للمجاهدين بأن يحرسهم الله بعنايته وأن يثبتهم وينصرهم كان هذا عاملاً أساسياً من عوامل النصر والعزة في هذه المعركة العجيبة الذي يُقاتل فيها شعب أعزل بسلاح بسيط أعتى الدول في عتاها العسكري، ومع ذلك كسر الله شوكتهم ودحرهم بذل ليبين للعالم أجمع أن الثبات والقوة والنصر من عند الله ﷻ الأعظم، حيث يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُوْلَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢] .

فالثبات والذكر والطاعة وترك النزاع يُعدُّ من أركان الجهاد <sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] .

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٣م، ص ١٥٢٨).

(٢) رواه الترمذي في الدعوات، باب الدعاء في العبادة، (٢٩٧٣)، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه أبو داود في الصلاة، باب الدعاء، (١٤٧٩).

(٣) منهاج المسلم، أبي بكر الجزائري، ص (٢٧٣-٢٧٣).



### ٣- الحذر من البطر والرياء لأنهما من أسباب الفشل والخذلان:

حذرنا الله ﷺ في هذا المقطع من الآيات الكريمة بعدم الغرور والبطر والمراعاة كما فعلت قريش التي خرجت بالدفوف والقيان يغدون لتسمع بهم العرب وينحرون الجزور ابتغاء الرياء والسمعة والهيبة بين العرب، ولكن هيهات هيهات صَبَّ الله عليهم بسبب ذلك الذل والهوان وكسر شوكتهم وقضى على كبريائهم وطغيانهم في الأرض<sup>(١)</sup>.

والذي أراه أخذ العبرة والعظة من ذلك في حياتنا على الصعيد الشخصي نلتزم بأخلاق الإسلام حتى نفوز بالسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، ولأن البطر والغرور والرياء منهي عنه في الشرع، ففي الحديث عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: [لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر]<sup>(٢)</sup>.

فالكبر بطر الحق أي يدفعه ويسبب الاحتقار لصاحبه لأنه يتعالى ويتفاخر على ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله، فعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: (العز إزاري والكبرياء رداي فمن ينازعي في واحد منهما فقد عذبه)<sup>(٣)</sup>.

وكذلك الرياء يُعدُّ شرك بالله تعالى، وهو شرك خفي، وحذر الله ﷺ منه لأنه يبطل الأعمال، فعن جندب بن عبد الله بن سفيان ؓ قال: قال النبي ﷺ: [من سمع سمع الله به، ومن راعى راعى الله به]<sup>(٤)</sup> متفق عليه.

والذي أراه أننا يجب علينا الالتزام بأخلاق الإسلام واجتناب كل ما نهى عنه، وحذر منه سبحانه، لأن أسباب النصر والفوز والفلاح تأتي عندما نعود لله ونطبق أوامره، وننفذ كل ما جاء به في كتابه العظيم وعلمنا درساً سبحانه أننا في غزوة حُنين عندما افتخرنا بعددنا وعُدَّتنا هزمتنا الله سبحانه في بداية الأمر لِيُعَلِّمَ الأمة درساً عظيماً أن الإيمان والثبات والطاعة هو أساس النصر والعزة للإسلام والمسلمين، ولا ننسى الكلمات الخالدة للصحابي الجليل عبد الله بن رواحة في غزوة مؤتة عندما قال للمسلمين: [يا قوم والله ما نقاتل الناس بعددٍ ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فإنما هي إحدى الحُسنيين إما نصرٌ أو شهادة]<sup>(٥)</sup>.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (م٣، ص ١٥٣٠).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانها، (ب٣٩/ح٩١)، (ص٣٣).

(٣) رواه مسلم في كتاب البر، باب تحريم الكبر، (ب٣٨/ح٢٦٢)، (ص٦٦٧).

(٤) رواه البخاري في كتاب الرقاق (باب الرياء والسمعة) (٢٨٨/١١)، ومسلم في الزهد (باب تحريم الرياء)، (ب٥/ح٢٩٨٧، ٢٩٨٧)، (ص٧٥٤).

(٥) الرحيق المختوم، للمباركفوري، (ص٣٩٦).

وعن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يُقاتل شجاعة، ويفاتل حميةً، ويفاتل رياءً، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" (١).

## المطلب الثاني

### تزيين الشيطان للمشركين أعمالهم وخذلانه لهم

قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

### أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بدأت الآية بعطف قوله تعالى ﴿وَإِذْ زَيَّنَ﴾ على الآية الكريمة السابقة ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَقُّنُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٤].

وما بينهما اعتراض، رتب نظمه على الأسلوب العجيب للقرآن الكريم ليقع هذا الظرف عقب تلك الجملة المعترضة فيكون له إتمام المناسبة بحكاية خروجهم وأحوالهم، فإنه من عجيب صنع الله فيما عرض للمشركين من الأحوال في خروجهم إلى بدر مما كان فيه سبب نصر المسلمين (٢).

وورد في الظلال مناسبة الآية لما قبلها أن سياق الآية يُبين ويُصوّر وسوسة الشيطان للمشركين وإغرائهم بهذا الخروج الذي أعلنوا عنه في الآيات السابقة بأنهم سوف يخرجوا بطراً ورياءً بعزف القيان وضرب الدفوف ونحر الجزر وشرب الخمر حتى يقضوا على الإسلام والمسلمين ولكن لم ينالهم من هذا الخروج إلا الذل والخيبة والخسار والانكسار (٣).

### ثانياً: التفسير التحليلي:

#### ١- سبب النزول:

نزلت الآية ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ...﴾ [الأنفال: ٤٨] في إبليس اللعين (٤).

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم، باب من سأل عالماً - (١/١٩٧) ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، (٢١/٦، ٢٢)، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وهو حديث متفق عليه.

(٢) انظر: التحرير والتتوير لابن عاشور، (م، ٥، ص ٣٤).

(٣) انظر: تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب، (م، ٣، ص ١٥٣٠).

(٤) انظر: لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي، (ص ٢١٥).

وورد أن الشيطان وسوس لسراقة بن مالك الكنانى أى أن الآية نزلت فيه، حيث وسوس له الشيطان بأن يجيء بجيش لينصر المشركين ولكن الله سبحانه ألقى الروح والخوف في قلبه مما جعله يتراجع ويضعف وينخذل بجيشه، فكان هذا بتقدير الله ليتم نصره للمسلمين ويبطل كيد الشيطان والمشركين، وود أن الشيطان تمثل في صورة سراقة بن مالك ويجوز أن يكون اسم الشيطان أطلق على سراقة لأنه فعل فعل الشيطان<sup>(١)</sup>.

## ٢- معاني المفردات:

﴿وَأِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: يعني أني معكم وفي جواركم ينالني ما ينالكم، والثاني: مجبر لكم وناصر فيكون على الأول من الجوار، وعلى الوجه الثاني من الإجارة<sup>(٢)</sup>.

**نكص على عقبيه:** تراجع بخزي ومذلة، والنكوص الهروب ذليلاً خازياً<sup>(٣)</sup>.

**ونكص:** أي رجع القهقري، وبطل كيده<sup>(٤)</sup>.

**ورد نكص:** ولى مديراً<sup>(٥)</sup>.

## ٣- البلاغة:

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ إسناد مجازي إذ المزين لهم هو سراقة بن مالك بن جعشم الكنانى بإغراء من الشيطان، أو تمثيل الشيطان للمشركين في صورة سراقة أو أطلق اسم الشيطان على سراقة لأنه فعل فعل الشيطان<sup>(٦)</sup>.

﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ مجاز عقلي باعتبار صدور القول والنكوص من سراقة الذي وسوس له الشيطان<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م، ٥، ص ٣٥)، وانظر: التفسير الوجيز، وهبة الزحيلي، (ص ١٨٤).

(٢) انظر: النكت والعيون، للماوردي، (م، ٢، ص ٣٢٥).

(٣) انظر: المرجع السابق، (م، ٢، ص ٣٢٥).

(٤) انظر: فتح القدير، للشوكاني، (م، ١، ص ٦٩٢).

(٥) انظر: تيسير الكريم وفي تفسير الكلام المنان، للشيخ عبد الرحمن السعدي، (ص ٣٢٣).

(٦) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م، ٥، ص ٣٥).

(٧) انظر: المرجع السابق، (م، ٥، ص ٣٥).

#### ٤ - الإعراب:

﴿وَإِذْ زَيْنَ عَظْفَ عَلَى ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيْتُمْ﴾ وبينهما اعتراض، رُتِبَ في نظم عجيب يبين مدى روعة وأسلوب القرآن الكريم البديع المحكم الانتظام (١).

﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ﴾: خبر تقديره: لا غالب كائن لكم (٢).

﴿وَإِذْ زَيْنَ هُمُ الشَّيْطَانُ﴾: الظرف يتعلق بمحذوف: أي واذكر يا محمد وقت تزيين الشيطان لهم أعمالهم أي تحسين أعمالهم (٣).

#### ٥ - علوم قرآن:

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ عني بهذه الآية سراقه بن مالك بن جعشم (٤)، وهو من بني بكر بن كنانة، وكانت قريش تخاف من بني بكر أن يأتوهم من ورائهم فكان يريد أن يجيرهم من بني كنانة، ومن كل عدو ويدفع الضرر كما يدفع الجار عن الجار (٥).

#### ثالثاً: التفسير الإجمالي:

هذا المقطع من الآيات يتناول تزيين الشيطان للمشركين أعمالهم القبيحة من الشرك وعبادة الأصنام وخرجهم لحرب الرسول ﷺ، وتأكيد له بأن لن يغلبهم محمد ﷺ وأصحابه لأنه مجير ومعين وناصر لهم ممن يخافون منهم بني بكر لعداوة كانت بينهم ولكن لما تقابلت الفتتان ورأى الشيطان جبريل عليه السلام يزغ الملائكة خاف خوفاً شديداً، وولى مديراً هارياً ذليلاً (٦).

وورد أن الشيطان تمثل في صورة سراقه بن مالك وعندما تلاقحت الفتتان المسلمة والكافرة ورأى الملائكة وكان يده في يد الحارث بن هشام رجع هارياً وخذلهم وتبرأ منهم لأنه خاف خوفاً شديداً عندما رأى الملائكة فخاف من عقاب الله تعالى الشديد له وهذا من تدبير الله تعالى لمنع كيده (٧).

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ٣٤).

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري، (م ٢، ص ٤٢٣).

(٣) انظر: فتح القدير، للشوكاني، (م ١، ص ٦٩٢).

(٤) الإيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، (م ٢، ص ٤٠٧).

(٥) انظر: تفسير فتح القدير، للشوكاني، (م ١، ص ٦٢٩).

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ السعدي، (ص ٣٢٣).

(٧) انظر: تفسير الجلالين، (ص ١٨٤).

وورد في الحديث عن ابن عباس قال: أمد الله نبيه محمد ﷺ المؤمنين بألف من الملائكة، فكان جبريل عليه السلام في خمسمائة من الملائكة مُجَنَّبَةً وميكائيل في خمسمائة من الملائكة مُجَنَّبَةً، وجاء إبليس في جند من الشيطان ومعه راية في صورة رجال من بني مدلج، والشيطان في صورة سُراقَة بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس وإنني جار لكم، فلما اصطف القوم قال أبو جهل: اللهم أولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله ﷺ يده فقال: (يا رب إنك إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض أبداً) فقال جبريل: (خذ قبضة من التراب) فأخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم فما من المشركين من أحد إلا امتلأت عينيه ومنخره وفمه فولوا مدبرين، وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس فلما رآه كانت يده في يد رجل من المشركين انتزع إبليس يده ثم ولى مدبراً وشيعته فقال له الرجل: يا سُراقَة، ألم تزعم أنك لنا جار، قال: إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون (١).

هكذا نجد كذب إبليس وخداعه للمشركين عندما علم أنه لا قوة له وتقهقر وفر من أرض المعركة (٢)، وهذا يعلم الأمة درساً عظيماً بأن تحذر من الشيطان وأهله سواء كان شيطان الإنس أم أم شيطان الجن.

**رابعاً: مقاصد وأهداف الآيات:**

#### ١ - نصر حزب الحق وخذلان حزب الشيطان:

رأينا كيف أكدت الآيات من خلال موقف سُراقَة بن جعشم بني كنانة الذي تمثل بالشيطان الذي زين لهم شركهم وقتالهم لرسول الله ﷺ ولكن عندما تلاقت الفئتان هرب ذليلاً خائياً إلى الوراء بسبب نصر الله ﷻ للمؤمنين بإمدادهم بالملائكة التي أوقعت الرعب والخوف في قلب هذا الشيطان ومن معه وبطل كيده (٣).

وقد رُوي عن الرسول ﷺ أنه قال: (ما رأى إبليس (وفي رواية الشيطان) يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أذحر ولا أغيب من يوم عرفه، وذلك مما يرى من تنزيل الرحمة والعفو عن الذنوب، إلا ما رأى يوم بدر، قالوا: يا رسول الله وما رأى يوم بدر؟ قال: أما إنه رأى جبريل يزغ الملائكة (٤).

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير، (١٧٦٣، باب ١٨)، الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، (ص ٤٥٩)، ومعنى قوله (مجنبة) أي جانب الجيش في ميمنة وميسرة.

(٢) انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م ٤، ص ٣٨٥).

(٣) النكت والعيون، للماوردي، (م ٢، ص ٣٢٥)، وتفسير البيضاوي، (م ١، ص ٣٨٦).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ في الحج، (٩٦٢)، باب (٨١)، جامع الحج مرسلًا، ومعنى يزغ: يُوزع.

والذي أراه أنه يجب علينا كشعب منكوب ومحاصر ونعيش حالة الحرب مع العدو الصهيوني أن يكون لدينا دائماً وأبداً الثقة واليقين بأن الله دائماً ينصر الفئة المؤمنة فئة الحق، فئة حزب الله على حزب الشيطان، فئة الباطل، وأن نغرس هذه القيمة العالية في نفوس أبنائنا منذ الصغر حتى تُربي جيل النصر والتحرير بإذن الله تعالى.

## ٢- هروب الشيطان من قوة وعظمة الله تعالى:

النكوص والهروب والفرار هي من صفات شياطين الإنس والجن، لذلك فإن على المسلم أن يحتاط ويحذر من وسوسة الشيطان، خاصة وأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم بالعروق وأنه تحدى الله ﷻ بغواية الإنسان إلى قيام الساعة، ولكن الله ﷻ أوضح بأن المخلصين من عباده المؤمنين الصادقين، قادرين على صد الشيطان ومواجهته ومجاهدته، وهذا يُبين مدى قوة المؤمن وعظمة إيمانه أمام ضعف الشيطان، وهذا يؤكد مدى قوة وعظمة وقدرة الله تعالى على إهلاك الشياطين والطغاة في الأرض سواء كانوا من شياطين الإنس أم الجن.

فالشيطان دائماً يهرب عندما يرى قدرة وقوة وعظمة الله تعالى فهو يهرب عند سماع الآذان وروى في الحديث أنه ﷻ قال: (إذا سمع الآذان أدبر وله ضراط) وفي رواية عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إذا نُودي للصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين) <sup>(١)</sup>.

والذي أخلص له أننا نعلم جميعاً أن الشياطين تُصَفَّد في شهر رمضان، شهر الطاعات، شهر نزول الملائكة، شهر ليلة القدر، فنجد ضعف الشيطان وهروبه وخذلانه أمام المؤمن المخلص بقوة وعظمة الخالق جل وعلا وهذا كله من تدابير الله تعالى لنصرة الحق والدين ليُعلم المسلمين والأمة أجمع في كل زمان ومكان أن نعمل من أجل نصرة الحق، ولا نخاف في الله لومة لائم، وأن نتوكل على الله، ونأخذ بالأسباب، ونتحلى بالصبر، واليقين بأن النصر من عند الله تعالى القوي العزيز، فلا نياس ولا نضعف أمام عدونا الغاشم على أراضي فلسطين، مهما تكالبت على الإسلام شياطين الأرض أو السماء، فالله معنا ولن يخذلنا بإذنه تعالى، وسوف يكتب لنا النصر والعزة كما وعدنا، وسوف نحرر أقصانا ومسرى الحبيب محمد ﷺ حيث قال تعالى، في كتابه العزيز: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠]، وقال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧].

(١) رواه البخاري في الآذان، (٦٠٨، باب ٤)، فضل التأذين، ورواه مسلم في الصلاة، (١٩/٣٨٩)، (باب ٨)، فضل الآذان وهرب الشيطان عند سماعه.

### ٣- وجوب الخوف والخشية من الله:

الذي أراه وأستنبطه من هذا المقطع الخطير من آيات الله ﷻ أنه يجب على المسلم أن يعود لله، ويتقي الله ﷻ، ويخاف ويخشى من الله سبحانه ولا يخشى غيره، وأنه إن لم ينتبه للشيطان وغوايته ضاع وضاع معه هذا الدين العظيم، لأن الخوف والخشية من الله هي أساس للإيمان الصادق العميق، فالمسلم الذي يتق الله في كل شيء يحفظ الله له دينه ويكتب له السعادة في الدنيا والآخرة، ومن هنا يأتي النصر بإذن الله تعالى لقوله في كتابه العزيز: ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

أن سُرَاقَةَ بن مالك ذلك الذي تدور عليه الآيات شيطان الإنس الذي تَمَثَّلَ في صورته الشيطان خاف من عقاب الله سبحانه، لأنه انبهر وأذهلته مدى قدرة وعظمة الله في المعركة، وأدرك أن هناك قوة أكبر وأعظم تدير المعركة ألا وهو الله العظيم القدير، الذي وضع سُرَاقَةَ في موقف ثاني قوي ليختبر مدى إيمانه، وكلنا يعلم الموقف الأول لسُرَاقَةَ بن مالك يوم لقائه رسول الله ﷺ في طريق الهجرة، حيث شاهد معجزة سوخ قوام فرسه في الأرض، وأخذ الأمان من رسول الله ﷺ عندما وعده بسواري كسرى وقيصر، وما زال سُرَاقَةَ حتى أسلم يوم الفتح<sup>(١)</sup>.

فكانت هذه المواقف تمهيداً لدخوله في الإسلام، حيث شعر بمدى قوة وعظمة الله ﷻ وهذا يؤكد أن الذي سبب في إيمانه، خوف شديد، وخشية كبيرة من الله، ومن عقابه الشديد خاصة عندما خذل المشركين من شدة خوفه وقال: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨]، فهذا الخوف والرعب قذفه الله حتى يبطل كيده وكيد المشركين، ولكن هذا الموقف وكأنه كان يُرَبِّي في نفس سُرَاقَةَ بعد ذلك الإيمان، حتى يَحْسُنَ إسلامه وإيمانه وبالفعل عندما عاد ورجع إلى الله ﷻ تحوّل خوفه بعد ذلك تقوى وخشية من الله وأصبح سُرَاقَةَ جندياً في جنود الله كما وأصبح بطلاً ومقداماً وفارساً للإسلام والمسلمين، وهذه دعوة لكل شباب اليوم الغارقين بالدنيا الفانية، الغافلين عن دين الله، وعن خشيته والخوف منه ومن عقابه أن يعودوا لله ويتوبوا قبل فوات الأوان ويتركوا مُلَهِيَّاتِ الدنيا الفارغة، ويتوجهوا لله، لأن شباب الأمة هم عماد المستقبل وعماد التحرير للأقصى والمقدسات، وفي الحديث عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م، ٥، ص ٣٥).

(٢) رواه مسلم في الجهاد والسير، (١٩٢٠، باب ٥٣)، لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، (ص ٥٠٢).

## المطلب الثالث

### المنافقون وموقفهم من النصر

قال تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ

اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأَنْفَال: ٤٩].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

تتعلق هذه الآية الكريمة بما قبلها وذلك بتعلق قوله ﴿ إِذْ يَقُولُ ﴾ بأقرب الأفعال وهو قوله ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ ﴾ [الأَنْفَال: ٤٨] وهذا يوحي أن يكون قول المنافقين واقعاً في وقت تزيين الشيطان أعمال المشركين وهذا يبين المناسبة بين الآيتين أن كلاهما أكد على مدى قوة جيش المشركين وضعف جيش المسلمين، فالخبر الأول يتحدث عن أولياء الشيطان ومدى دعمهم للمشركين وهذه الآية تتناول خبر المنافقين كيف قَبَّحُوا ما أقسم عليه المسلمون من قتال قوم قوي، فنظَّم الكلام يوضح المناسبة بين الآيتين حيث زين الشيطان للمشركين أعمالهم، حيث كان المنافقون يُقَبِّحُونَ أعمال المسلمين ويسخرون منهم ويصفونهم بالغرور وقلة التدبير<sup>(١)</sup>.

ثانياً: التفسير التحليلي:

١ - سبب النزول:

قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ [الأَنْفَال: ٤٩]، ورد أنها نزلت وقال

المنافقون هذا القول عندما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ قوله تعالى: ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ ﴾ [الْقَمَر: ٤٥]، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: يا رسول الله أي جمع؟ وذلك قبل بدر، فلما كان يوم بدر وانهمزت قريش نظرت إلى رسول الله ﷺ في آثارهم مُصَلَّتاً أي مُشْهراً سيفه يقول: ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ ﴾ فكانت ليوم بدر، وبعد قولهم واستهزأهم وسخريتهم بجيش المسلمين أنزل الله فيهم ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَدَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٤]<sup>(٢)</sup>.

٢ - المفردات:

المنافقون: الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: التحرير والتتوير، لابن عاشور، (م، ٥، ص ٣٧).

(٢) انظر: لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، (ص ٢١٤).

(٣) انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م، ٤، ص ٣٨٦).



والذين في قلوبهم مرض: قال الماوردي<sup>(١)</sup>: فيهم ثلاثة أقاويل: أحدها: أنهم قوم في قلوبهم شك كانوا تكلموا بالإسلام وهم بمكة، ولكن لم تصح عقيدتهم ولم تطمئن قلوبهم، والثاني: هم المشركون، والثالث: أنهم قوم مرتابون لم يُظهروا العداوة للنبي ﷺ بخلاف المنافقين<sup>(٢)</sup>.

وورد: الشاكون وهم دون المنافقين؛ لأنهم حديثو عهد بالإسلام، وفيهم بعض ضعف نية، قالوا عند الخروج والتقاء الصفين: غرّ هؤلاء دينهم، وورد أنهما بمعنى واحد، وهو الأولى<sup>(٣)</sup>.  
غرّ: الغرور: الإيقاع في المضرة بإيهام المنفعة، أي غرّم الوعد بالنصر فخرجوا وهم عدد قليل للقاء جيش كبير<sup>(٤)</sup>، وورد أن المسلمين اغتروا بدينهم وأنهم يُنصرون من أجله<sup>(٥)</sup>.

### ٣ - البلاغة:

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾: القول هنا مستعمل في حقيقته ومجازه الشامل لحديث النفس، لأن المنافقين يقولون ذلك بألسنتهم، أو يُخفون النفاق في أنفسهم، وهذه هي صفاتهم، فيُظهرون خلاف ما يُبطنون.

المرض الوارد في قوله ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ مجاز يبين اختلال الاعتقاد لديهم فشبهه فساد الاعتقاد القائم على النفاق بالمرض الذي سوف ينتهي بسوء العاقبة عليهم<sup>(٦)</sup>.

### ٤ - الإعراب:

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ جملة معطوفة على جملة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾: لأنها من جملة الأخبار المسوقة لبيان عناية الله تعالى بالمسلمين، وأنه خاب ظن المشركين وكيدهم؛ لأن المسلمين توكلوا على الله العزيز الغالب الحكيم الذي أيدهم ونصرهم.

---

(١) علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي، من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة، ولد في البصرة سنة ٣٦٤هـ، وانتقل إلى بغداد، وولي القضاء في بلدان كثيرة، وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، وله مكانة رفيعة عالية عند الخلفاء، نسبته إلى بيع ماء الورد وفاته ببغداد، من كتبه: "أدب الدنيا والدين"، و"الأحكام السلطانية"، و"النكت والعيون"، و"الأمثال والحكم"، توفي سنة ٤٥٠هـ. ينظر: الأعلام، للزركلي، (م٤، ص٣٢٧).

(٢) انظر: النكت والعيون، تفسير الماوردي، (م٢، ص٣٢٥)، وتفسير في ظلال القرآن، سيد قطب، (م٣، ص١٥٣٢).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م٤، ص٣٨٦).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص٣٨).

(٥) انظر: تفسير الكشاف للزمخشري، (م٢، ص٤٢٣).

(٦) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص٣٨).

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ جواب للشرط باعتبار لازمه وهو عزة المتوكل على الله في قوله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، فهو كناية عن الجواب وهذا من وجوه البيان وهو كثير الوقوع في القرآن الكريم (١).

٥- ما نزل بشأنهم القرآن (مبهم قصدته الآية):

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ سَمِيَ منهم: عتبة بن ربيعة، وقيس بن الوليد بن الفاكه، والحارث بن زمة والعاصي ابن منبه (٢).

وورد منهم: علي بن أمية بن خلف الجمحي والمخزميان (٣)، وورد قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، ارتابوا وارتدوا عندما رأوا قلة أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ (٤).

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

تتناول هذه الآية الكريمة الحديث عن المنافقين حيث أظهروا الإيمان، وأبطنوا الكفر لضعف اعتقادهم بالله، والذين في قلوبهم مرض حيث سخروا من المسلمين وجيشهم وقالوا أنهم اغتروا بدينهم فأدخلوا أنفسهم فيما لا طاقة لهم به ولكن الله ﷻ العلي القدير، بيّن لهم أن الإيمان والإخلاص والتوكل عليه سبب الفوز والنصر والعزة، حيث اعتمد المسلمون على الله، وتوكلوا عليه فمن يعتمد على الله وثيق به، فإن الله ناصره فهو العزيز الغالب لا يذل من استجار به، حكيم في أفعاله وصنعه (٥).

رابعاً: المقاصد والأهداف:

١- الحذر من حركة النفاق والمنافقين:

حذر الله ﷻ في هذه الآية من ضعاف الإيمان الذين في قلوبهم مرض وهم الذين مالوا إلى الإسلام في مكة ولكن لم تصح عقيدتهم ولم تطمئن قلوبهم وخرجوا مع النفير مزعزين فأصبحوا يشككون في قوة المسلمين وكذلك أهل النفاق الذين يُظهرون خلاف ما يُبطنون ويكيدون للإسلام

(١) تفسير الكشاف، للزمخشري، (م٢، ص٤٢٣)، وتفسير البيضاوي، (م١، ص٣٨٧)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص٣٩).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، (م٢، ص٤٢٠).

(٣) انظر: تفسير البغوي، (م٢، ص٢١٤).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (م٢، ص٥٠٠).

(٥) انظر: تفسير صفوة التفاسير، للصابوني، (م١، ص٤٧٢).

والمسلمين، وهؤلاء موجودون في كل زمان ومكان، فهم لا يدركون حقيقة أسباب النصر وأسباب الهزيمة، لأنهم يرون ظواهر الأمور وليس لديهم إيمان ولا ثقة في الله، قلوبهم خاوية يسخرون من المؤمنين ويستخفون بعددهم وقوتهم، لأنهم يقاتلون من أجل الدنيا ويكروهون الموت ولا يقيسون الأمور بميزان الإيمان؛ لأنهم لا يبحثون عن إحدى الحسنين النصر أو الشهادة (الجنة) مثل العصابة المؤمنة التي ترى بنور الله وهده وتتوكل عليه وتتبع تعاليمه <sup>(١)</sup>، حيث يقول ﷺ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩].

والذي يُشاهد اليوم كما أرى أن مثل هذه الأصناف من الناس موجود في كل واقع وفي كل زمان، فعلى أن نحتاط منهم ونحذرهم؛ لأنهم من أشد الفئات عداءً للإسلام والمسلمين، فهم الطابور الخامس، المرجفون في المدينة الذين يُحطمون كل معاني العز والفخر والتمسك بشرع الله ﷻ، وما أكثرهم في هذه الأيام يصدحون بكل لون، ومذهب، ويفسدون علينا الدين والعقيدة، ويحاربون الإسلام بشتى الطرق، خاصة في وسائل الإعلام الحديثة، يحاولون كسر الهمم لدى الشباب المسلم بزرع الفتن والأكاذيب والافتراءات مرة على العلماء ومرة على الإسلام وأهله، ومرة على القادة العظماء الذين حملوا لواء هذا الدين العظيم، ولكن نقول لهم لن يتركهم الله أعمالكم، ونقول لهم كما قال عز من قائل في محكم كتابه ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩].

والله غالب على أمره، ورغم كل ما يفعلونه ويقولونه في عصرنا الحاضر، إلا أن الإسلام بخير وأهله بخير والله معنا ولن يخذلنا كما وعدنا، فالجميع يعلم صفات هؤلاء الجبناء، أهل الغدر والخيانة منذ عهد النبي ﷺ فقد أخبرنا عن صفاتهم في حديثه الشريف حيث ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر) <sup>(٢)</sup>، ويقول عنهم رب العزة: ﴿فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٠].

(١) انظر: تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب، (ص ١٥٣٢).

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامات النفاق، (م ١، ص ٨٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الوفاء بالعهد، (م ٢، ص ٦٩٠).

## ٢- الناس كمعادن:

الناس كمعادن الأرض منهم الطيب اللين، ومنهم الصلب الخبيث، فالناس أنواع، وتحدثت الآيات عن أصحاب الأرض السوء<sup>(١)</sup>، أهل الجرائم والغدر والخيانة.

والذي استخلصته بعد تحليلي لمعاني الآية الكريمة أنها تتحدث عن أصناف فاسدة في معادن الناس، وللأسف ذاقوا حلاوة الإيمان ثم ارتدوا وضعفوا ولم يحسن إسلامهم ولم تطمئن نفوسهم للعقيدة السليمة الصحيحة، فالمنافقين والذين في قلوبهم مرض تناولتهم آيات كثيرة في القرآن الكريم للتحذير منهم، وهذا ما نعاني منه اليوم في واقعنا الفلسطيني من بعض هؤلاء، الذين يبيعون الدين بعرض من الدنيا ويبيعون الوطن ويتآمرون عليه بحجة السلام، وأي سلام هذا مع عدو صهيوني غاشم سرق أرضنا، لم يترك فيها أخضراً ولا يابساً إلا وقضى عليه، يسلب أراضينا ومقدساتنا، ويقصف هنا ويدمر هناك، ويقتل ويغتال ويحرق ويسرق، ويُهَوِّد الأرض والمسرى ويدنسه بأقدامه اللعينة، والعالم مكتوف الأيدي لا من مجيب لنداءات المشردين، والمحرومين، والمنكوبين في هذه الأرض الطاهرة، المباركة، التي أمرنا الإسلام بالحفاظ عليها وتطهيرها من دنس المحتل الصهيوني الظالم، حيث ورد في الحديث عن جابر بن عبد الله<sup>(٢)</sup> قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة)**<sup>(٣)</sup>.

فهذا الحديث الشريف يعطي بارقة الأمل لفلسطين وأهل الشام بأن الناس معادن، فكما فيهم المنافقون وأصحاب القلوب المريضة الخاوية، فيهم الطائفة المنصورة بإذن الله تعالى، الطائفة المؤمنة، المخلصة، الثابتة على الحق المدافعة عن كرامتها، وكرامة الشعوب والأمم، الحامية للأقصى والمقدسات، المدافعة عن رسالة محمد ﷺ في هذه الأرض المباركة الطيبة أرض الأنبياء والرسالات، وعن واثلة<sup>(٤)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ: **(عليكم بالشام فإنها صفوة بلاد الله يسكنها**

(١) استمتع بحياتك، د. محمد بن عبد الرحمن العريفي، (ص ٧٨).

(٢) جابر بن عبد الله: الأنصاري، الخزرجي، السلمي، أبو عبد الله، أسلم قبل الهجرة وحضر مع أبيه بيعة العقبة وهو صغير، وكان مجاهداً، غزا تسع عشرة غزوة مع النبي ﷺ، ولم يشهد بديراً ولا أحداً، بسبب منع أبيه له، ولما قتل أبيه في غزوة أحد، لم يتخلف عن غزوة قط، وكان من الرواة الكثيرين، فقد روي له ١٥٤٠ حديثاً، توفي بالمدينة سنة ٧٤هـ. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، والبداية والنهاية، لابن كثير، (م ٣، ص ٦٢)، حياة الصحابة، للكأندهلوي، (م ١، ص ٤، ٢٨، ٢٩).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: **(لا تزال طائفة من أمتي ...)**، (ب ٥٣، ح ١٩٢٣)، (ص ٥٠٣).

(٤) واثلة: هو واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر بن ليث بن عبد مناة (أبو الأسقع) الكناني الليثي، صحابي أسلم والنبي ﷺ يتجهز إلى تبوك، وشهداها معه، ثم شهد فتح دمشق وحمص، وكان من أهل الصفة في المدينة، توفي بدمشق عن عمر مائة وخمس سنين، سنة ٨٦هـ، وروي له ٨٦ حديثاً. ينظر: تهذيب التهذيب، (م ١١، ص ١٠١).

خيرته من خلقه فمن أبى فليلحق بيمنه وليسق من غدره فإن الله تكفل لي بالشام وأهله (١).

### ٣- التوكل على الله سبب للنصر والعزة:

هذا درس عظيم يعلمه الله للأمم في كل زمان ومكان ومن خلال هذه الآية ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩]، وهذا ما تدركه القلوب المؤمنة وتطمئن إليه، وما هو محجوب عن القلوب الخاوية فالذي وضع العصبة المؤمنة لمقابلة جحافل الطاغوت في عنفوانه في هذه المعركة الفاصلة بين الحق والباطل، هو العقيدة والثبات والتوكل على رب العزة والغيرة على ألوهية الله وعلى حُرَمَاتِ الله وكل ذلك بدافع الثقة بنصر الله، والتوكل على الله العزيز الحكيم الذي دائماً وأبداً يُؤيد وينصر أوليائه الثابتين المخلصين وهذه هي عدتهم وعتادهم في المعركة العجيبة التي انتصر فيها الحق على الباطل (٢).

والذي أراه: أننا يجب علينا أن نتعلم من هذا الدرس جيداً خاصة ونحن نعيش اليوم مثل هذه المعركة تماماً مع العدو الصهيوني الغاشم على أرضنا ومقدساتنا، وميزان القوى المادية لديهم أكبر بكثير فهم من يُسمُّون أنفسهم بأنهم الشعب الذي لا يُقهر وأنهم من أقوى وأعتى الدول عدة وعتاداً، ولكن سلاح المؤمنين وعدتهم وعتادهم هو الإيمان الصادق بالله تعالى، والثبات، والصبر، واليقين بأن النصر من عند الله تعالى، فعلينا ونحن نعيش نفس المحن التي عاشها الصحابة مع الرسول ﷺ في غزواته أن نتحلى بالقوة الإيمانية ونتوكل على الله تعالى حيث يقول تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، وعنه ﷺ ذكر أنه يدخل الجنة من أمته سبعون ألفاً لا حساب عليهم، ففي الحديث عن عمران بن حصين (٣) أن رسول الله ﷺ قال: (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب)، قالوا: من هم يا رسول الله! قال: (هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون، ولا يكتون، وعلى ربهم يتوكلون) (٤)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، (م ٢٢، ص ٥٨، ١٣٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، رقم الحديث (٤٠٧٠)، (ج ٢، ص ٧٥١).

(٢) انظر: تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٣٣).

(٣) عمران بن حصين: الخزاعي الكعبي، أبو نجيد، أسلم عام خيبر، وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات، بعثه عمر بن الخطاب إلى البصرة ليفقه أهلها، وكان مُجاب الدعوة، ولم يشهد الفتنة، توفي بالبصرة سنة ٥٢هـ، روي له في كتب الحديث ١٨٠ حديثاً. ينظر: الطبقات الكبرى، (م ٥، ص ٣٣٢)، الأعلام، للزركلي، (م ٥، ص ٧٨).

(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، (ب ٩٤، ح ٢١٨)، (ص ٦٧)، ورواه البخاري في كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوي غيره، (م ١٠، ص ٣٠)، (ص ١٣١).

رسول الله ﷺ كان يقول: (اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي القيوم الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون) (١).

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد، باب وهو العزيز الحكيم، ١١/١٠١، ومسلم في الذكر باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ٢٧١٧.

## المبحث الثالث

### مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٥٠-٥٤)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مشاركة الملائكة في بدر الكبرى.

المطلب الثاني: سنة الله في إهلاك الطغاة.

## المبحث الثالث

### مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٥٠-٥٤)

#### التدخل الإلهي في المعركة:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ \* ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمُ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ \* كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ \* ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ \* كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأنفال: ٥٠-٥٤].

#### المطلب الأول

##### مشاركة الملائكة في بدر الكبرى

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ \* ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمُ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥٠-٥١].

#### أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعدما تحدث في الآيات السابقة عن هزيمة المشركين النكراء وما حدث معهم في هذا اليوم العظيم، يوم الفرقان، الذي عجل الله لهم فيه العذاب وهزمهم في بدر شرَّ هزيمة، ومكَّن المسلمين منهم، إنما هذا خذلان من الله لهم، جاء الحديث هنا في هذا المقطع من الآيات، يصف ما لقيه المشركون من العذاب حيث شاركت الملائكة في قتلهم، فهذه الآيات تخبر بما حدث للمشركين في بدر من ضرب وقتل من المسلمين والملائكة تزيدهم عذاباً عند نزع أرواحهم<sup>(١)</sup>.

#### ثانياً: التفسير التحليلي:

##### ١- معاني المفردات:

\* "يَتَوَفَّى": من التوفي أي الإمامة وسميت توفياً لأنها تنهي حياة المرء أو تستوفيها<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٥، ص ٢٣٩).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٥، ص ٢٤٠).



"يتوفى" أي يتوفاهم ملك الموت عند قبض أرواحهم، وورد قتل الملائكة لهم حين قاتلوهم يوم بدر<sup>(١)</sup>.

وورد: تقبض ملائكة العذاب أرواح الكفرة المجرمين<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - البلاغة:

- "ولو ترى": خطاب عام يعم كل مخاطب ولا يعني الرسول ﷺ وأهل بدر، ولكن يُحمل على ظاهره ليشمل كل كافر، بل غير النبي ﷺ أولى به منه، والإتيان بالمضارع مكان الماضي لاستحضار تلك الحالة العجيبة وهي حالة ضرب الوجوه والأدبار ليخيل للسامع أنه يشاهد تلك الحالة، فجاء التعبير بالمضارع على مقتضى الظاهر<sup>(٣)</sup>.

- "عذاب الحريق": إضافة العذاب إلى الحريق من إضافة الجنس إلى نوعه، لبيان النوع، أي عذاباً هو الحريق فهي إضافة بيانية<sup>(٤)</sup>.

- "ذلك بما قدمت أيديكم": جيء بإشارة البعيد لتعظيم ما يشاهدونه من الأهوال والعذاب، والجملة مستأنفة لقصد التوكيد والتشفي، وذكر الأيدي استعارة مكنية بتشبيه الأعمال التي اقترفوها، تشبيه المعقول بالمحسوس، وذكر رديف المشبه وهو الأيدي التي هي آلة الاكتساب، أي: بما قدمته أيديكم لكم<sup>(٥)</sup>.

## ٣ - الإعراب:

- "ولو ترى": جواب (لو) محذوف تقديره: لرأيت أمراً عجبياً<sup>(٦)</sup>.

- "يضربون وجوههم وأدبارهم": إما في موضع الحال إن كان المراد من التوفي قبض أرواح المشركين يوم بدر، أو بدل اشتمال من جملة "يتوفى" إن كان المراد بالتوفي توفياً يتوفاه الملائكة الكافرين<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: النكت والعيون، تفسير الماوردي، (م٢، ص٣٢٦)، وتفسير البغوي، (م٢، ص٢١٥).

(٢) انظر: تفسير صفوة التفاسير، للصابوني، (م١، ص٤٧٢).

(٣) انظر: تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص٤٠).

(٤) المرجع السابق، (م٥، ص٤١).

(٥) المرجع السابق، (م٥، ص٤١)، وصفوة التفاسير، للصابوني، (م١، ص٤٧٤).

(٦) المرجع السابق، (م٥، ص٤١)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص٤١).

(٧) المرجع السابق، (م٥، ص٤١)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م٤، ص٣٨٦).

- "وذوقوا عذاب الحريق": جملة معطوفة على جملة "يضرِبون" بتقدير القول، أي ويقولون ذوقوا عذاب الحريق" أي مقدمة عذاب النار (١).

### ٣- القراءات:

- "يَتَوَفَّى": قَرَأَ يَتَوَفَّى بالياء وتتوَفَّى بالتاء على قراءة ابن عامر (٢).  
- قرأ الجمهور: يَتَوَفَّى بياء الغائب - وقرأه ابن عامر تتوَفَّى بتاء التأنيث رعيًا لصورة جمع الملائكة (٣).

### ثالثاً: التفسير الإجمالي:

تتحدث هذه الآيات الكريمة عن تعذيب الملائكة للكفار يوم بدر حيث يقول الله ﷻ لنبيه الكريم: "ولو ترى أيها الرسول حال الكفار، حين تتوفاهم الملائكة لرأيت أمراً عظيماً مخيفاً فهم يضرِبون وجوههم وظهورهم بمقامع من حديد، وينزعون أرواحهم بشدة وعنف، ويقولون لهم: تذوقوا عذاب النار الشديد الإحراق" (٤).

والخطاب لكل سامع ومخاطب ليرى حال الكفار حين تقبض ملائكة العذاب أرواحهم بشكل فيه من التهويل والشدة، حتى يَعتبر كل فاجر ومجرم، وهذا العذاب بما كسبوا من الكفر والآثام، فالله سبحانه عادل ليس بذئ ظلم لأحد من العباد حتى يعذبه بغير ذنب (٥).

فإذا كان أعداء الإسلام يعصون رباً لا يعرفونه ولا يوقرونه، فحريٌّ بالمسلمين أن يلزموا الطاعة ويحذروا المخالفة وأن يتقوا النار التي أُعدت للكافرين، وقد كان عمر بن الخطاب يُوصي جنده وهم يقاثلون الفرس بالبعد عن المعاصي ويقول لهم إنه لا يخاف عليهم كيد عدوهم قدر ما يخاف عليهم تسلل المعاصي إليهم، لذلك على المسلمين أن يتعظوا مما حل بالكافرين من عذاب شديد في الدنيا قبل الآخرة على ما فعلوا بالإسلام والمسلمين (٦).

(١) تفسير الكشاف، للزمخشري، (م٢، ص٤٢٣).

(٢) انظر: تفسير الكشاف، للزمخشري، (م٢، ص٤٢٣)، وتفسير البيضاوي، (م١، ص٣٨٧).

(٣) تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص٤٠).

(٤) التفسير الوجيز وعلم معاني القرآن العزيز، وهبة الزحيلي، (ص١٨٤).

(٥) انظر: تفسير صفوة التفسير، للصابوني، (م١، ص٤٧٣).

(٦) انظر: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، (ص١٣٥).

## رابعاً: المقاصد والأهداف:

### ١- الملائكة جند من جنود الله:

بيّن الله سبحانه لكل سامع ومخاطب لآيات الله كيف سخر الله جنده في هذه المعركة العجيبة بين الحق والباطل، وكيف شاركت الملائكة في تعذيب الكفار بنزع أرواحهم بشدة للتحويل والتخويف، وكيف تضربهم بمقامع من حديد من أمامهم وخلفهم وعلى وجوههم وظهورهم لتشتعل جراحاتهم ناراً<sup>(١)</sup>.

واستخلصتُ أن هذا درساً عظيماً لكل الأمة الإسلامية، ولكل فرد مسلم مؤمن بالله وبأن النصر بيد الله، وعلينا جميعاً أن نتحلى بالصبر واليقين بأن النصر صبر ساعة وأن الله معنا ولن يتركنا وحدنا حتى لو تخلى الجميع عنا، فسوف يرسل لنا جنده ويرينا في أعدائنا ما يُثلج صدورنا مما فعله الأعداء بنا من قصف وتدمير وتشريد وتعذيب، وسوف نري العالم أجمع أن فلسطين أرض عربية إسلامية مباركة يدافع عنها أهل السماء مع أهل الأرض ليتحقق وعد الله بالنصر والعزة حيث قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧].

### ٢- العدل في منهج الله تعالى:

تبين الآيات مقصد عظيم للأمة أن الله ﷻ الفرد، الصمد، الواحد، الأحد، الحكم، العدل لا يجوز تبارك وتعالى على أحد من عباده تقديس وتنزه عن فعل ذلك، وجاء في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أن الله تعالى يقول: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"<sup>(٢)</sup>.

والذي أراه أن هذا درساً قوياً لكل طواغيت الأرض حتى يكونوا عبرة كما كانت قريش في طغيانها وكفرها وظلمها للإسلام والمسلمين فعذبها الله سبحانه بسبب ظلمها فإله عادل لا يظلم العباد حيث أنزل عليهم الكتب والرسول ولكن أعرضوا وكذبوا، وعاندوا، وما زالوا طواغيت اليوم من الحكام يمارسون أبشع الجرائم في حق شعوبهم من قتل وتدمير وتعذيب وتشريد، ولكن نحن على يقين بأن الله ﷻ لن يترك الظلام يعيشوا فساداً في الأرض، وحتماً سوف ينصر الشعوب المقهورة، المظلومة الثابتة على الحق والدين بإذنه تعالى.

(١) انظر: تفسير القرطبي، (م ٤، ص ٣٨٦)، وتفسير صفوة التفسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٧٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، (باب تحريم الظلم)، (ب ١٥، ح ٢٥٧٧)، (ص ٦٥٨).

### ٣- الجزء من جنس العمل:

بعد تحليل معنى الآيات استخلصت هذا المقصد العظيم الذي ينفذ كل مسلم اليوم، لأننا لا يقع علينا العذاب سواء بالدنيا أو الآخرة إلا بما كسبت وقدمت أيدينا من أعمال وأفعال، وعلينا أن نعمل ليوم الحساب والبعث والحشر والعرض والوقوف بين يدي الله ﷻ، ويوم تتطير الصحف علينا، فالمؤمن يأخذ كتابه بيمينه ويحاسب حساباً يسيراً، أما الكافر والفاجر والطاغية يأخذ كتابه بشماله ويحاسب حساباً شديداً، ويجعله الله سبحانه عبرة ويفضحه على رؤوس الأشهاد، لذلك يجب على كل عاقل، راشد أن يستعد ويجهز نفسه لهذا اليوم؛ لأنه قريب كما أخبر ﷺ في كتابه العزيز حيث يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ \* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٨-١٩] (١).

## المطلب الثاني

### سنة الله في إهلاك الطغاة

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ \* ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ \* كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٢-٥٤] .

أولاً: التفسير التحليلي:

مناسبة الآيات لما قبلها:

كما أمر الله تعالى بقتال المشركين، وذكر هزيمتهم ببدر، وكيف نصر الله سبحانه المسلمين عليهم، تحدث عن الذين شاركوهم في الكفر والتكذيب بالله سبحانه ورسوله، وجحدهم، وإنكارهم لوحداية الله تعالى، وهم آل فرعون، فأهلكهم الله ﷻ بالغرق بسبب فسادهم وطغيانهم في الأرض (٢)، وهذه هي سنة الله تعالى في فرق الكافرين المعاندين المكذبين (٣).

(١) مختصر منهاج القاصدين، (ص ٣٥١).

(٢) ينظر: تفسير التحرير والتوير، لابن عاشور، (٥، ص ٤٦)، وصفوة التفسير، الصابوني، (١، ص ٤٦٩).

(٣) ينظر: فتح القدير، للشوكاني، (١، ص ٦٩٤).

## معاني المفردات:

"كذاب": الدأب: العادة، "وأصله في اللغة إدامة العمل، يُقال: فلان يدأب في كذا أي يدوم عليه ويواظب ثم سميت العادة دأباً لأن الإنسان مداوم على عادته" (١).

والدأب: السيرة المألوفة، أي دأب وعادة المشركين، كعادة ودأب آل فرعون من قبلهم بالتكذيب للرسول (٢)، حيث أيقنوا آل فرعون أن موسى ﷺ نبي من الله فكذبوه، كذلك المشركين جاءهم محمد ﷺ بالصدق فكذبوه (٣)، وكان جزاء المشركين القتل والسبي كما جُوزي آل فرعون بالغرق لأن دأبهم واحد في الكفر والتكذيب (٤).

## النحو:

"كذاب": خبر مبتدأ محذوف، فإن العرب إذا تحدثوا عن شيء ثم أتوا بخبر دون مبتدأ علم أن المبتدأ محذوف فقدر بما يدل عليه الكلام السابق (٥).

## البلاغة:

"كذاب آل فرعون": تكرير للتأكيد والتسميع لقصد تقرير الإنذار والتهديد، وخُلف بين الجملتين تفناً في الأسلوب، وزيادة في الفائدة، بذكر التكذيب هنا في قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٤]، بعد ذكر الكفر في الآية التي سبقتها في قوله تعالى: ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، وهما سببان للأخذ والإهلاك والعقاب الشديد من الله (٦).

"بذنوبهم": الباء للملابسة: أي فأخذهم متلبسين بذنوبهم غير تائبين عنها (٧).

"ذلك" إشارة إلى ما حل بهم، يعني ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أن الله لم ينبغ له ولم يصح في حكمته أن يُغير نعمته عند قوم ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]، من الحال (٨)، فهم للأسف

(١) تفسير الرازي، التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب فخر الدين، (م ١٥، ص ١٨٩)، وتفسير البيضاوي، (م ١، ص ٣٨٧).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ٤٣).

(٣) تفسير البغوي، معالم التنزيل، للإمام البغوي، (م ٢، ص ٢١٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (م ٤، ص ٣٨٧).

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ٤٣)، وينظر: فتح القدير، للشوكاني، (م ١، ص ٦٩٤).

(٦) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ٤٦).

(٧) فتح القدير، للشوكاني، (م ١، ص ٦٩٤).

(٨) الكشاف، للزمخشري، (م ٢، ص ٤٢٣).

غيروا حالهم من سيء إلى أسوأ من الشرك بالله وعبادة الأصنام، إلى تكذيب القرآن ورسالة محمد ﷺ، فحق عليهم العذاب.

### علوم القرآن:

الآية تتحدث عن آل فرعون، وعادتهم وهي الكفر والتكذيب والتعدي على الربوبية والألوهية لله ﷻ وقد تقدم آية مشابهة، ومثلها في القرآن الكريم في سورة آل عمران، وذلك لتخصيص آل فرعون بالذكر فجاء في الأنفال ﴿ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ وفي آل عمران ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾، وفي الأنفال نهاية الفاصلة ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾، وفي آل عمران ﴿ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾، فكان ذلك تحذيراً لقريش بأن يحلَّ عليها ما حلَّ بغيرهم من الأمم الذين بطروا النعمة فعاقبهم الله أشد العقاب (١).

### ثانياً: التفسير الإجمالي:

حذر الله ﷻ المشركين في هذه الآيات الكريمة من أن ينتهجوا طريق المكذبين المعتدين من قبلهم أمثال آل فرعون، لأن دأبهم كان مماثلاً لدأب آل فرعون الكفار الذين أجرموا في حق الله ﷻ، فعملوا مثل أعمالهم، ومن تقدمهم من الأمم السابقة كقوم نوح وعاد وثمود في العناد والتكذيب والكفر والإجرام، حيث جحدوا ما جاءهم به الرسل من عند الله تعالى، ﴿ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾، أي أهلكتهم بكفرهم وتكذيبهم فهو تعالى قوي البطش شديد العقاب، لا يلغبه غالب ولا يفوته هارب، والعذاب الذي حلَّ بهم من الله تعالى بسبب أن الله عادل في حكمه لا يُغَيِّرُ نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه، وأنه لا يُبَدِّلُ النعمة بالنقمة ﴿ حَتَّى يُعَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾، أي حتى يُبَدِّلُوا نعمة الله بالكفر والعصيان، كتبديل كفار قريش نعمة الله من الخصب والسعة والأمن والعافية، بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين، وكذبوا بنعمة الهداية التي أرسلها الله لهم وهي رسالة محمد ﷺ، فكفروا به وكذبوه وحاربوه، فحماه الله منهم ونقله إلى المدينة، وحلَّ بالمشركين العقاب، من سبي وقتل نتيجة طغيانهم، فالله سبحانه سمع لما يقولون عليم بما يفعلون، وكرر سبحانه الحديث عن آل فرعون زيادةً في التشنيع والتوبيخ على إجرامهم، أي شأن هؤلاء وحالهم كشأن وحال المكذبين السابقين حيث غيروا حالهم فغيَّرَ الله نعمته عليهم، وأهلكهم بسبب ذنوبهم بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالخسف، وبعضهم بالحجارة، وبعضهم بالغرق، فكلهم كانوا ظالمين

(١) يُنظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م، ٥، ص ٤٣).

لأنفسهم بالكفر والمعاصي حيث عَرَّضُوا للعقاب والعذاب (١).

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- إهلاك الله للطغاة سُنَّة ماضية: هذه الآيات الكريمة قررت قانوناً إلهياً أكدَّ الله ﷻ عليه، منذ أن خلق الله الخليقة، وسوف يبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهذا القانون هو أخذ الكاذبين الضالين الكافرين بالعذاب والهلاك، فهذه سنة ماضية إلى قيام الساعة، وفيها تطمين لقلوب المؤمنين الصابرين المخلصين، الذين وهم في أشد اللحظات ضيقاً وحرماً من اعتداء المشركين عليهم وعلى الدين، يتدخل القانون الإلهي من السماء، بإرسال الملائكة لتشارك في أخذ الذين كفروا بالتعذيب والهلاك في صورة منكرة ومهينة لهم جزاء استكبارهم على الإسلام والمسلمين وعلى رسالة محمد ﷺ (٢)، وهذا كان فيه تحذير لطواغيت قريش بأن يكفروا عن إيذاء الإسلام والمسلمين، وعن المكابرة والمعاداة لرسالة محمد ﷺ وإلا سوف يكون جزاءهم مثل جزاء جميع الأمم التي سبقتهم أمثال قوم فرعون وثور وهود ولوط، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴾ [محمد: ١٠]، وهذه الآيات فيها رسالة إلى كل طواغيت العصر، بأن يكفؤا عن اعتداءاتهم على الإسلام وأهله، يعودوا إلى رشدهم، قبل فوات الأوان، قبل أن يصبح مصيرهم كمصير كل من سبقهم من طغاة الأرض فهذه هي سنة الله في أرضه، والحرب سجال، والأيام دُول، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٥٢].

٢- لا يُغَيِّرُ اللهُ قوماً حتى يُغَيِّرُوا ما بأنفسهم: قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣]، فالله سبحانه لا يغير حال قوم إلا إذا غيروا ما بأنفسهم وأفعالهم وسلوكهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]، فيجب علينا اليوم نحن المسلمين أن يبدأ كل واحد منا في تغيير نفسه إلى الأفضل ويتمسك بالإيمان فهو عمود الأمر وأساسه، وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، فبه تصلح أمورهم وأمور معاشهم، ومعادهم ويحقق مصالحهم ويبدل الله حالهم من حال إلى حال، فإذا تمسكوا بالإيمان قاعدة الشريعة، الفرقان بين الحق والباطل، المميز بين ركب الناجحين

(١) يُنظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٧٣)، والتفسير الوجيز، وهبة الزحيلي، (ص ١٨٤-١٨٥).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٣٣)، وينظر: تهذيب كتاب مشارع الأشواق في فضائل

الجهاد إلى مصارع العشاق، أحمد بن إبراهيم ابن النحاس، هذبه د. صلاح الخالدي، (ص ٦).

وركب الهالكين، كتب لهم الله أفضل حال، وغير حالهم من الضعف والخنوع إلى القوة والعزة والتمكين، واليقين بنصر الله سبحانه، والنعيم في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>، وفي الحديث الشريف الذي يؤكد أننا كلما بدلنا نفوسنا واقتربنا من الله، وتنافسنا على طاعته، بدل الله حياتنا إلى سعادة وأمن وأمان، ومغفرة ورضا في الدنيا والآخرة، فعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: (يقول الله ﷻ: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة)<sup>(٢)</sup>.

٣- الكفر والفجور سبب لتبديل النعمة بالنقمة: الآيات الكريمة وجَّهت رسالة لكل مسلم عربي وغير عربي حر بأن يتمسك بدينه ولا يحيد عنه إلى طريق الكفر أو الشرك أو النفاق، لأن البُعد عن دين الله وطريقه ومنهجه القويم يقود المرء إلى الهلاك والضياع في الدنيا والآخرة، فرأينا كيف دلت الآية الكريمة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ أن الله سبحانه بدل حال المشركين من رخاء ورغد في العيش وسلام وأمن إلى شقاء وحرب وهلاك وأخذ بسبب ذنوبهم وكفرهم بالله ﷻ، فما أصاب المشركين يوم بدر، هو ما يصيب المشركين المعتدين والعصاة في كل وقت، وقد أصاب آل فرعون والذين من قبلهم<sup>(٣)</sup>، وهذا درس فيه العظة والعبرة لكل مسلم على وجه الأرض إذا أراد النعمة والسعادة من الله سبحانه فعليه التمسك بشرعه وعقيدته وعليه أن يجدد التوبة دائماً مع الله سبحانه، ويكثر من الاستغفار والدعاء، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيِّنٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢]، فعلينا أن نحب ما يحبه الله ورسوله من المقاصد والمصالح الشرعية، فنبتعد عن طريق الهوى والجاهلية، والغزو الفكري التي يغزو بلاد المسلمين اليوم من أجل ضياع دينهم، ونسيان قرآنهم وتهويد مقدساتهم، فعلينا أن لا ننجر لمثل هذه الضلالات، والانحرافات عن الدين، حتى لا

(١) ينظر: مسافر في قطار الدعوة، د. عادل الشويخ، (ص ٣١)، وتهذيب مدارج السالكين، لابن القيم الجوزية، (ص ٢٤٠-٢٤٢).

(٢) مختصر صحيح مسلم، للإمام المنذري، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، (ب ٢، ح ٢٦٨٧)، (ص ٥٠٨).

(٣) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٣٥).



تقلب علينا نعم الله سبحانه إلى نقمه، إذا ما راعيناها وأدبنا واجبنا نحوها بالشكر والطاعة له سبحانه، لا بالاستكبار والتعصب والتحزب لمخالفة أوامر الله ﷻ، فنعلم أن خير الكلام كله الله، وخير نهج هو نهج وطريق الإسلام العظيم، وخير الهدى هدى محمد ﷺ<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الإسلام والإيمان أصلان وهما كون العمل خالصاً لله، صواباً موافقاً للسنة والشريعة، وذلك أن إسلام الوجه لله هو متضمن القصد والنية لله، والإحسان هو فعل الحسنات وهو ما أمر الله به، هو الذي شرعه الله، وهو الموافق لسنة رسوله، فمن كان محسناً في عمله، فإنه مستحق للثواب سالم من العقاب"<sup>(٢)</sup>، وهكذا إذا ابتعد المسلم عن المعاصي، وخالف الهوى، وخلصت طاعته لله ﷻ وصح دينه بالصبر والثبات على طاعته، قال تعالى: ﴿أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ \* جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَنْسَوْنَ الْقُرْآنَ﴾ [إبراهيم: ٢٨-٢٩]، استحق الثواب والنعيم من الله سبحانه<sup>(٣)</sup>، لذلك علينا كمسلمين أن نبتعد عن أمراض القلوب، وحب الهوى، والشهوات حتى لا نقع في وحل الرذائل والفتن والمنكرات، فسبب غضب الله وإعلان الحرب على المرء هو الخروج عن حدود الله بارتكاب المحرمات والكبائر، وسبب النجاة والنعيم هو تركية النفس باتباع الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]، وقال: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]، وهكذا تعاليم الإسلام تنتقل البشر من الشقاء إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب وأخلاق الإسلام فهي أصول الحياة التي تنتقل الإنسان إلى نعيم الدارين<sup>(٤)</sup>، وهو يعمل بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ \* فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٧-٨] ، وأيضاً بمقتضى هدى النبي ﷺ حيث ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: (بادروا بالأعمال الصالحة، فستكون فتن كقطع الليل

(١) ينظر: مسافر في قطار الدعوة، عادل شويخ، (ص ٨٢-٨٤).

(٢) الفتاوى الكبرى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (م ٢٨، ص ١٧٥).

(٣) أدب الدنيا والدين، للماوردي، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، (ص ٢٧٧).

(٤) خلق المسلم، محمد الغزالي، (ص ٢٦).

المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا<sup>(١)</sup>، فأسال الله لي ولجميع المسلمين أن يختم بالصالحات أعمالنا وأن يحسن ختامنا فهو القادر ﷻ عما يصفون.

٤- **عدل الله المطلق في معاملة العباد:** بينت الآيات الكريمة مدى عدل وعظمة الله تبارك وتعالى في معاملته لعباده، حيث لا يسلبهم نعمة وهبهم إياها إلا بعد أن يغيروا نواياهم، ويبدلوا سلوكهم ويقبلوا أوضاعهم، فاستحقوا أن يغير ما بهم مما أعطاهم إياه من النعمة التي لم يقدرها ولم يشكروها، فهذه قمة العدل من الله، حيث يجعل التغيير القدرى في حياة الناس مبنياً على التغيير الواقعي في قلوبهم ونواياهم وسلوكهم وعملهم وأوضاعهم التي يختارونها لأنفسهم، فإذا اختاروا الطريق القويم طريق الهداية نالوا السعادة والنعيم، وإن أنكروا الدين بالتكذيب وانحرفت نواياهم وخطواتهم ضد الإسلام والمسلمين، كتب الله عليهم الشقاء والذل والهوان والنقمة والغضب في الدنيا والآخرة، وهذه حقيقة تمثل جانباً من جوانب التصور الإسلامي لحقيقة الإنسان، وعلاقة قدر الله به في هذا الوجود الذي يجري من خلال حركته وعمله ونيته وسلوكه، فإذا خضع واستسلم للمذاهب المادية والذي والخنوع وخالف شرع الله فسوف يغير الله حاله بكسر شوكته، وأخذه بالهلاك والتدمير، فالجزاء من جنس العمل، فالله سبحانه عادل ولا يُظلم عنده أحد، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، فهم لم يعذبهم إلا بعد تكذيبهم لآيات وشرع الله تعالى وهذه هي سنة الله في رحمته وعدله بعباده ﷻ<sup>(٢)</sup>، وجاء في الحديث الطويل عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا...)<sup>(٣)</sup>، وهذا فيه تحذير من الظلم والقهر الذي ما أكثره في هذا الزمان، فالله سبحانه العدل وجميع أنبيائه الكرام عليهم أفضل السلام اتصفوا بالعدل، وخلفاء المسلمين من الصحابة اشتهروا بالعدل، والله أوصانا في كتابه بالعدل، وجعل الخلافة في الأرض بالإصلاح والعدل، فأقامة شرع الله في الأرض مبنية على العدل، لذلك يجب أن نتمسك بالعدل لنحيا كراماً، فكم نحن نفتقده اليوم من حكام الأرض، فنقول لهم كما علمهم رب العزة في الأنفال أقيموا دولة

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتنة، (ب ٥١، ح ١١٨)، (ص ٣٩).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٣٦)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ٤٥-٤٦).

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (ب ١٥، ح ٢٥٧٧)، (ص ٦٥٨).

الإسلام على العدل، كفاكم ظلماً وعدواناً، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الظلم ظلمات يوم القيامة)<sup>(١)</sup>، وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله ﻛﻠﻰﻣﻰ للظالم فإذا أخذه لم يفلته)<sup>(٢)</sup> ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، نسأل الله العدل في أقوالنا وأفعالنا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

٥- الإسلام كرم الإنسان أعظم تكريم: تكريم الله للإنسان في الأرض لأنه سبحانه أكرم البشر وأنعم عليهم بنعم وخيرات لا تعد ولا تحصى، ورزقهم من فضله، ومكّن لهم في الأرض، وجعلهم خلئف فيها، ولكنهم كفروا ولم يشكروا، وطغوا وبغوا بما أعطوا، فصاروا جبابرة وطواغيت، ومع كل طغيانهم وفجورهم لم يهلكهم الله إلا بعد التكذيب بآياته ورسوله، ولم يهلكهم قبلها سبحانه مع أنهم كانوا كافرين، لأن هذه سنته ﷻ، ومدى رحمته وفضله وتكرمه على عباده، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، فمن تكريم الله للإنسان في الأرض أعظم تكريم، أن أرسل له الرسل، لينذروه ويكونوا له سبيلاً إلى طريق الهداية والصلاح، فينجو من العقاب في الدنيا والآخرة، ويحميه الله من الذل والهوان<sup>(٣)</sup>، وهذا ما فعله الله سبحانه في بدر مع المشركين المعاندين، فبعد تكذيبهم ومحاربتهم لرسالة محمد ﷺ، أنذرهم الله سبحانه، ثم أمهلهم للتوبة والدخول في الإسلام، ولكن بعدما سيطرت عليهم جاهلية عقولهم، وغطرستهم وكبريائهم أخذهم الله بالهلاك، وسلب منهم النعمة، والاستقرار، ودمر عليهم تدميراً، لأنهم أصموا آذانهم عن سماع الحق، ولم يكن لديهم بصر ولا بصيرة، ولم يدركوا أن الإنسان مُقَدَّر في ميزان الله، ولكن ما حدث معهم، هو نتيجة أفعالهم وصنيعهم بأنفسهم، فإله سبحانه كرمهم وأراد لهم الخير والهداية وطريق السعادة والرشاد، ولكن صدوا وعارضوا وحاربوا، فكانت نتيجةهم الذل والتحقير والهوان لأنهم هم الذين أرادوا لأنفسهم هذه النهاية، وهذا دَيْدَن كل طاغية وكل منافق، وعاصي الله، خارج عن حدوده، وكل الفرق الضالة المنحرفة عن طريق الحق والهداية، وأوجه رسالة لكل مسلم في أمة المليار وما يزيد، إن الله كرمكم فقال في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فكونوا أهل لهذا التكريم من الله سبحانه، وقابلوا هذا التقدير بالرجوع إلى الله ولزوم طاعته، فالدنيا دار ابتلاء وامتحان، لينظر سبحانه هل تشكرون أم

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (ب ١٥، ح ٢٥٧٩)، (ج ٤، ص ١٩٩٧).

(٢) المرجع السابق، (ب ٦١، ح ٢٥٨٣)، (ج ٤، ص ١٩٩٧).

(٣) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٣٥).

تكفرون، هل ستقيمون شرع الله في الأرض، أم تستبدوا وتتجبروا في الأرض، فنقول لكم يا أشرار العالم، إن دوام الحال من المحال، فالدنيا تتحول، والأحوال تتبدل، والعالم يتغير، فكم من غني افتقر، ومن فقير اغتنى، وكم من عزيز ذل، وذليل عز<sup>(١)</sup>، فتمسكوا بدينكم وحافظوا على شرف أمتكم فإن الله كرمكم.

٦- **فاعلية الإنسان في مصير نفسه والأحداث من حوله:** الآيات الكريمة أوعزت للإنسان، أن قدر الله به ينفذ ويجري عن طريق حركته وعمله، ويجعل التغيير القدرى في حياة الإنسان ومن حوله، من خلال التغيير الواقعي في قلبه ونواياه وأوضاعه وأحواله وسلوكه، وحسب ما يختار لنفسه قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، فعندما خلق الله الإنسان في الأرض وميزه عن سائر مخلوقاته بالتكريم والخلافة في الأرض، جعل عليه تبعات عظيمة تقابل التكريم العظيم، فهو الذي يملك من خلال عقله الذي ميزه الله به، أن يستبقي نعمة الله عليه، فإذا عرف شكر، كما يملك أن يزيل هذه النعمة عنه إذا هو أنكر ويطر وانحرفت نواياه فانحرفت خطاه، وهذا يمثل جانباً من جوانب التصور الإسلامي لحقيقة الإنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، فعلى الإنسان أمانة كبيرة، أهله الله ﷻ لحملها، بأن كرمه بالعقل والخلافة في الأرض، فيجب عليه أن يعمل واجبه كاملاً تجاه هذا الدين العظيم، لأن تبعات ما يحصل له ولغيره والأحداث من حوله تعتمد على مدى قوة إيمانه أو ضعفه، ومدى إخلاصه لهذا الإسلام العظيم<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: المبشرات بانتصار الإسلام، د. يوسف القرضاوي، (ص ٩٤).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٣٧).

## المبحث الرابع

### مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٥٥-٦٣)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: شر الدواب الذين لا يسمعون كلام الله.

المطلب الثاني: حكم خائن العهد والميثاق.

المطلب الثالث: إعداد العدة لإرهاب أعداء الله.

المطلب الرابع: جواز عقد الهدنة مع غير المسلمين.

## المبحث الرابع

### مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٥٥-٦٤)

سياسة الضبط التشريعي لعلاقة المجتمع المسلم مع غيره:

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ عَاهَدتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ \* فِيمَا تَثَقَفْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدْتَهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ \* وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ \* وَلَا يُحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِيْتَهُمْ لَا يُعْزِزُونَ \* وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ \* وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* وَإِنْ يَرِيدُوا أَنْ يَخُدُّوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ \* وَاللَّفَّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٥-٦٤].

## المطلب الأول

### شر الدواب الذين لا يسمعون كلام الله

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ عَاهَدتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥].

أولاً: التفسير التحليلي:

مناسبة الآية لما قبلها:

استئناف ابتدائي انتقل به من الكلام على عموم المشركين إلى ذكر كفار آخرين وصفهم بشر الدواب؛ لأن من ينكر الإسلام ويغدر ويخون ويجحد يكون كمن لا عقل له، وقصد بهم اليهود والمنافقين<sup>(١)</sup>، فهم أصروا على الكفر ورسخوا فيه فلا يتوقع منهم إيمان، مطبوعين على الكفر بأنهم لا يؤمنون<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ٤٨).

(٢) تفسير البيضاوي، (م ١، ص ٣٨٨).

## سبب النزول:

نزلت هذه الآية في يهود بني قريظة وبني النضير، حيث نُقل عن مجاهد وغيره أنها نزلت في الذين عاهدوا النبي ﷺ ثم خانوا وغدروا وأعانوا الكفار ضد الإسلام واستمروا على الكفر والخيانة، وورد أنها نزلت في ستة رهط من اليهود منهم كعب بن الأشرف<sup>(١)</sup> وأصحابه<sup>(٢)</sup>.

## المفردات الغريبة:

**شر الدواب:** أي شر ما يدب على الأرض من المخلوقات عند الله في حكمه وعلمه الذين كفروا بوحدانية الله تعالى وكمال قدرته، وهم أهل الخيانة والغدر الصم البكم الذين لا يعقلون وهم يهود بني قريظة<sup>(٣)</sup>.

## البلاغة والنحو:

"إن شر الدواب عند الله": شبه الكفار بالبهائم، بل جعلهم شراً منها، وهذا منتهى البلاغة والإعجاز حيث إنهم لا يسمعون الحق، فهم كالبهائم، والفاء في قوله "فهم لا يؤمنون" عطف صلة على صلة، فأفادت أن الجملة الثانية من الصلة، والمقصود: أي الذين كفروا من قبل الإسلام فاستمر كفرهم فهم لا يؤمنون بعد سماع دعوة الإسلام، وهذا الوصف هو الذي جعلهم شر الدواب عند الله، وعطف هنا بالفاء للإشارة إلى أن سبب إجراء ذلك الحكم عليهم هو مجموع الوصفين وأتى بصلة "فهم لا يؤمنون" جملة اسمية لإفادة ثبوت عدم إيمانهم وأنهم غير مرجو منهم الإيمان<sup>(٤)</sup>.

## ثانياً: التفسير الإجمالي:

يوجه الله ﷻ وصف خطير لكل من يخون الله ورسوله، وينفي عنهم الإيمان، بسبب كفرهم وغدرهم لله ورسوله، فوصفهم بشر الدواب، أي شر من يدب على وجه الأرض في علم الله وحكمه، فهم أصروا على الكفر ورسخوا فيه فلا يتوقع منهم إيمان بالله ﷻ، والمقصود في هذه الآية اليهود والمنافقون وخاصة يهود بني قريظة الذين خانوا وغدروا أكثر من مرة<sup>(٥)</sup>.

(١) كعب بن الأشرف: زعيم يهود بني قريظة، آذى المسلمين بمكره وخداعه، وقال رسول الله ﷺ: مَنْ لَعِبَ بِنِ

الأشرف فإنه آذى الله ورسوله، فقام محمد بن سلمة ﷺ، وقتله، وبعد قتله قام النبي تلك الليلة يصلي، ويكبر،

بسبب قتله وتخليص المسلمين من شره، وخاف اليهود من يومها ولم ينطقوا. ينظر: الأعلام، للزركلي،

(م٥، ص٢٢٦)، والبداية، لابن كثير، (م١، ص٧).

(٢) أبواب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، (ص٢١٥).

(٣) التفسير الوجيز، لوهبة الزحيلي، (ص١٨٥).

(٤) تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص٤٧)، وصفوة التفسير، للصابوني، (م١، ص٤٦٣).

(٥) تفسير صفوة التفسير، للصابوني، (م١، ص٤٧٣).

### ثالثاً: الأهداف والمقاصد:

١- **كيفية التعامل مع المعسكرات المجاورة للمجتمع المسلم:** إن الذين يعاهدون المعسكر الإسلامي ثم يخلفون عهدهم معه هم شر الدواب على الأرض، ويجب على المعسكر الإسلامي أن يؤدبهم حتى يكونوا عبرة لمن تراودهم الخيانة والغدر أو فيه مهاجمة المعسكر الإسلامي<sup>(١)</sup>.

٢- **الحذر من اليهود:** الذي يظهر من خلال تحليل الآية، أنه يجب الحذر كل الحذر من اليهود خاصة، ونحن نعيش حالة الحرب مع اليهود في واقعا في فلسطين، ولكن للأسف الشديد اليوم هو زمن الروبيضة الذي يُصدق فيه الخائن، ويكذب فيه المؤمن، فكلما نجد خيانة وغدر من اليهود اليوم نجد من يضع يده في يدهم ويدافع عنهم.

٣- **الحذر من أخطر فئة على المجتمع الإسلامي:** بينت الآية الحالة القائمة في حياة الجماعة المسلمة عند نشأة الدولة المسلمة بالمدينة المنورة، وكيف ظهرت أخطر فئة تعادي الإسلام، وهم المنافقون الذين بينهم وبين اليهود قاسم مشترك، هو الغدر والخيانة ونقض العهود، وهم شر الدواب عند الله تعالى<sup>(٢)</sup>، ومع ذلك نرى اليوم في واقعا المنافقين يدافعون عن الباطل وعن الطغيان في الأرض، كعادتهم ودينتهم منذ عهد النبي ﷺ في الخيانة والغدر، ومساندتهم للأعداء دوماً.

٤- **نفي الإيمان عن اليهود والمنافقين:** يظهر من خلال الآية أن الله تعالى نفى الإيمان عن هذه الفئة الجاحدة الغادرة سواء كانوا من اليهود أو من المنافقين طواغيت الأرض حيث فسدت فطرتهم وبناتوا من شر الدواب على الأرض، بسبب كفرهم وعدم إيمانهم فتجردوا من خاصية الإنسانية وأصبحوا كالبهائم في أخلاقهم لا ضابط لهم<sup>(٣)</sup>.

٥- **الخدلان والضعف موجود في واقع المسلمين اليوم:** والذي يظهر من خلال واقعا الذي نحياه، ومن خلال أحداث الربيع العربي، وكذلك أحداث غزة خلال حروبها مع الاحتلال الصهيوني سواء حرب الفرقان، أو حرب حجارة السجيل، أو حرب العصف المأكول، كيف وقفت الأنظمة العربية التي اشتهرت بالخدلان والخيبة والعار في وجه الإسلام والمسلمين؛ لأن هذا زمن غريب يصدق فيه الخائن ويكذب فيه الصادق، ولذلك يعيش المسلمون المستضعفون في الأرض مكلومين، منكوبين مقهورين في الأرض التي من حقهم العيش فيها بكرامة وأمان

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٣٨).

(٢) المرجع السابق، (م ٣، ص ١٥٣٩).

(٣) المرجع السابق، (م ٣، ص ١٥٤١).



وعِزَّةٌ، ولكن وعد الله آتٍ بإذن الله ينصر الإسلام والمسلمين كما وعدنا في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨] ، وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢] ، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم: ٤٧] .

## المطلب الثاني

### حكم خائن العهد والميثاق

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ \* فِيمَا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ \* وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٦-٥٨] .

أولاً: التفسير التحليلي:

مناسبة الآيات لما قبلها:

تحدث الله ﷻ في هذا المقطع من الآيات عن الذين خانوا وغدروا ونقضوا العهد مع النبي ﷺ وهم الذين كفروا واستمروا على الكفر؛ لأن الدلالة على أحقية الإسلام دلالة عقلية بيّنة، فمن يجحده فهو أشبه بما لا عقل له، فقد اندرج هؤلاء الكفار في جنس "شر الدواب" الذي ورد في الآية السابقة لهذه الآيات وهم يهود بني قريظة والنضير وغيرهم من بعض قبائل المشركين ومنهم المنافقون: عبد الله بن أبي ومن معه، فهؤلاء غلب عليهم الكفر كما وصفهم الله في القرآن<sup>(١)</sup>.

سبب النزول:

نزلت الآية (٥٨) ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً...﴾ يوم قريظة حيث ورد عن ابن شهاب قال: دخل جبريل على رسول الله ﷺ فقال: قد وضعت السلاح وما زلت في طلب القوم، فاخرج فإن الله قد أذن لك في قريظة، وأنزل فيهم ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً...﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص٤٧).

(٢) أبواب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، (ص٢١٦).

## المفردات الغريبة:

"فإِذَا تَتَقَفَّنَهُمْ" فيه وجهان أحدهما: تصادفهم، والثاني: تظفر بهم (١).

"فَشَرِدَ بِهِمْ" فيه ثلاثة أوجه أحدهما: أُنذر بهم من خلفهم، والثاني: قتلهم والنكاية فيهم، والثالث: التفريق والتبديد أي فرق بهم جمع كل ناقض (٢).

"فَانْبِذَ إِلَيْهِمْ": فاطرح إليهم عهدهم أي فألق إليهم عهدهم حتى لا ينسبوك للعدو بهم والنبذ هو الإلقاء (٣).

"عَلَى سِوَاءٍ" فيها خمسة أوجه: أحدها: على مهل، والثاني: على طريق مستوٍ قُصد بقطع مكشوف للعهد حتى لا تكون خيانة، والثالث: استواء في العلم بنقض العهد، والرابع: على استواء في العداوة، والخامس: على عدل من غير حيف (٤).

## القرئات:

"فَشَرِدَ بِهِمْ": قرأ ابن مسعود رضي الله عنه "فشرذ" بالذال المعجمة بمعنى ففرق، كأنه مقلوب "شذر" من قولهم "ذهبوا شذر مدر" ومنه الشذر: الملتقط من المعدن لتفرقه.

وقرأ أبو حيوه "مِنْ خَلْفِهِمْ" بكسر الميم والفاء ومعناه: فافعل التشريد من ورائهم، لأن الوراثة جهة المشردين، لعل المشردين يتعظون، والمعنى واحد في كلا القراءتين سواء أكان التفريق أو التتكيل (٥).

## البلاغة والنحو:

"الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ": بدل من الذين كفروا، أي الذين عاهدتهم من الذين كفروا جعلهم شر الدواب؛ لأن شر الناس الكفار، وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين منهم، الناكثون للعهود (٦).

(١) تفسير الماوردي، (م٢، ص٣٢٧)، وتفسير البيضاوي، (م١، ص٣٨٨).

(٢) تفسير البغوي، (م٢، ص٢١٦).

(٣) تفسير الماوردي، (م٢، ص٣٢٨)، وتفسير الكشاف للزمخشري، (م٢، ص٤٢٤).

(٤) تفسير الماوردي، (م٢، ص٣٢٨)، وتفسير الكشاف، (م٢، ص٤٢٤).

(٥) ينظر: حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد أبو زرة ابن زنجلة، (ص٤٤٣)، وتفسير البيضاوي، (م١، ص٣٨٨)، وتفسير الكشاف، (م٢، ص٤٢٤)، وتفسير القرطبي، (م٤، ص٣٨٩).

(٦) تفسير الكشاف، (م٢، ص٤٢٤).

و"منهم" من: للدلالة على أن العهد كان يتضمن التزاماً من جانبهم، لأنه يُقال أخذت منه عهداً، أي التزماً، وجاءت "ينقضون" فعل مضارع: للدلالة على أن ذلك يتجدد منهم ويتكرر ولا ينتهون عنه<sup>(١)</sup>، فأصبح نقض العهد والميثاق صفة ملازمة لهم وواقعة فيهم.

"على سواء": صفة لمصدر محذوف، أي نبذا على سواء أو حال من الضمير في "انبذ" أي حالة كونك على سواء<sup>(٢)</sup>.

### الأحكام الشرعية:

ورد في بيان الآية: ﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾

[الأنفال: ٥٨] ثلاث مسائل فقهية:

١- إذا بادر العدو بالغش والخداع ونقض العهد "فانبذ إليهم على سواء" أي اطرح عهدهم وبلغهم بقيام الحرب ضدهم، لأن خيانتهم ظاهرة ومشهورة<sup>(٣)</sup>.

٢- إذا قيل كيف يجوز نقض العهد مع خوف الخيانة، والخوف ظن لا يقين معه، نقول أن الخوف قد يأتي بمعنى اليقين، أو جواب آخر: إذا ظهرت آثار الخيانة وثبتت دلائلها وجب نبذ العهد بتبليغ العدو بانتهاء العهد بسبب الغدر والخيانة التي وقعت منهم<sup>(٤)</sup> لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

٣- تحريم غدر الإمام، فقال العلماء: إنما كان الغدر في حق الإمام أعظم وأفحش منه في غيره لما في ذلك من المفسدة، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (لكل غادر لواء يوم القيامة يُرفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة)<sup>(٥)</sup>.

### ثانياً: التفسير الإجمالي:

تتحدث الآيات الكريمة عن الذين جمعوا خصال ثلاث الكفر، وعدم الإيمان والخيانة والغدر، بحيث لا يثبتون على عهد عاهدوه، ولا قول قالوه، وهم في الحرب ليس لهم عهد أو ميثاق،

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م، ٥، ص ٤٧).

(٢) المرجع السابق، (م، ٥، ص ٥٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م، ٤، ص ٣٨٩).

(٤) المرجع السابق، (م، ٤، ص ٣٨٩).

(٥) المرجع السابق، (م، ٤، ص ٣٨٩)، والحديث في صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، (باب تحريم الغدر)،

(ب، ٤، ح ١٧٣٨)، (ص ٤٥٣).

فيجب التتكيل بهم حتى يكونا عبرة لمن بعدهم من أهل الخيانة والغدر لعلمهم لا يفعلون مثلهم، وهذه من فوائد العقوبات في الإسلام لأنها سبب لازدجار من لم يعمل المعاصي، وبل زجراً لمن عملها أن لا يعاودها، ولا يجوز في الإسلام نقض العهود والمواثيق ولكن إذا غدر العدو بالعهد والميثاق وظهر منه قرائن ودلائل على خيانتة وغدره فيجب هنا نبذ عهدهم بإخبارهم أنه لا عهد لهم حتى يستوي العلم بين الطرفين بانتهاء العهد بينهما؛ لأن الله ﷻ لا يحب الخائنين (١).

### ثالثاً: الأهداف والمقاصد:

١- **يهود الأمس هم يهود اليوم:** الذي يظهر في الدراسة أنه منذ بعثة النبي ﷺ وحتى وفاته واليهود هم اليهود ليس لهم عهد ولا ذمة ولا ميثاق، والذي وجدناه من يهود بني النضير وبني قريظة بالأمس هو ما نجده اليوم من اليهود الصهاينة الذين ليس لهم عهد ولا ذمة ولا ميثاق، يغدرون ليل نهار بالشعب الفلسطيني يدمرون ويقتلون ويكون بينهم وبين المجاهدين عهد وهدنة بوقف الحرب لمدة زمنية محددة، ولكن في كل مرة لا يجد الشعب منهم إلا الفساد في الأرض، والخراب والدمار لأن هذا هو ديدنهم من عهد النبي ﷺ فهم أهل غدر وخيانة، فعلى المسلمين أخذ الحيطة والحذر منهم (٢).

٢- **تأمين المعسكر الإسلامي من العدو:** وهذا ما جاء واضحاً في هذه الآيات الكريمة بأن الله ﷻ يأمر رسوله ﷺ بأن يأخذ موقفاً صارماً ممن اعتادوا الغدر والخيانة ومردوا على نقض العهد والميثاق، حتى يمنع كل من يجرؤ في الوقوف في وجه الإسلام، ومنهجه العادل في التعامل مع المعسكرات الأخرى الظالمة طواغيت الأرض، فيظهر بذلك مدى هيبة وعظمة الإسلام العظيم فيجب أن يُضرب الناقضين للعهد والميثاق وإرهابهم وإرهاب مَنْ وراءهم بالضرية القاصمة المروعة لهم جزاء فعلهم من الغدر والخيانة (٣).

٣- **وجوب نبذ العهد مع أهل الغدر والخيانة:** دعت الآيات الكريمة إلى نبذ العهد مع القوم الخائن الذي غدر العهد والميثاق في قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨]، فالإسلام يعاهد ويصون عهده، فإذا خاف الخيانة من غيره نبذ العهد القائم جهرةً وعلانيةً، ولم يخن أو يغدر أو يغش ويخدع كما يفعل أهل الغدر والخيانة وعليه مصارحتهم بانتهاء العهد وأنه لم يعد لهم أمن وأمان وبهذا يرتفع الإسلام بالبشرية إلى آفاق من الشرف والاستقامة فلا يغدر حتى وهو يخشى الخيانة من جانب العدو، وإنما بعد نبذ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ص ٣٢٤).

(٢) يُنظر: منهج السيرة الحركية، منير الغضبان، (ج ٣، ص ١٥٢).

(٣) انظر: في ظلال القرآن الكريم، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٤٢).

العهد يستعمل الخدعة فالحرب خدعة، لأن كل خصم أخذ حذره فهو جائز ولا يُعد غدراً، فهذا هو الإسلام العظيم بتعاليمه فهو يكافح لأسمى الغايات وأشرف المقاصد، ولا يسمح للغاية الشريفة أن تستخدم الوسيلة الخسيسة، التي تعتمد على المكر والخديعة والغش والغدر فليس مسلماً من يبرر الوسيلة بالغاية فهذا المبدأ غريب عن فكر ومنهج الإسلام العظيم بأفكاره وتعاليمه ومنهجه بالتعامل مع الآخرين<sup>(١)</sup>.

٤- **قانون الغاب هو الذي يحكم عالمنا اليوم:** والذي يتضح في يومنا هذا أن طواغيت الأرض جميعاً سواء كانوا من اليهود أو من العرب أو من غيرهم يحكمون بقانون الغاب، فيغدرون ويفسدون، ويدمرون، ولا أحد يسمع، وليس هنا مجيب لآهات المنكوبين في الأرض، والمستضعفين من المسلمين، الكل يُنادي بتطهير البلاد من الفساد وباحترام العهود والمواثيق، وباحترام حقوق الإنسان التي ينادون بهذه المبادئ ليل نهار ولكن هي بمثابة شعارات رنانة فقط، ولا نجد هنا أو هناك، بفلسطين أو مصر أو سوريا أو العراق أو غيرهم إلا تطبيق قانون الغاب، بالهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين، ولا نسمع من إعلامهم اليوم إلا الروبيضة الذين يتصفون بالغدر والخيانة والغش والخداع لأنفسهم، ولدينهم ولشعوبهم ولأوطانهم، وصدق قول الله فيهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأَنْفَال: ٥٨].

٥- **وجوب احترام العهود والمواثيق:** إن الإسلام العظيم بيّن أن من أخطر الأمور على المجتمعات والدول والأمم والشعوب هو غدر وخيانة العهود والمواثيق، وأسّس ذلك منذ عهد النبي محمد ﷺ معلم البشرية، الذي علّم حتى القوانين الدولية بأن تحرم نقض العهود والمواثيق، فلم تكن أوروبا تعرف شيئاً عن المعاملات الدولية إلا ما تقتبسه في أثناء تعاملها مع العالم الإسلامي، وعرفوا ما يُسمى بالقانون الدولي، ولكن للأسف الكفر هو الكفر، فهم أهل غدر وخيانة، ولكن الإسلام يُعلمهم ليومنا هذا وجوب احترام العهود والمواثيق<sup>(٢)</sup>، والذي أراه اليوم من الأنظمة المعاصرة أنها تهرب من تطبيق شرع الله في الأرض، الذي يحقق العدالة للجميع، ولكن للأسف يتم وضع قوانين وعهود ومواثيق ولكن يضعونها ولا يحترمونها، لأنهم لو قارنوا بين منهج الإسلام والواقع المعاصر بتطبيق الأنظمة العلمانية، والعهود الدولية القاهرة والظالمة للشعوب والأمم، لوجدوا الحل في تطبيق شريعة الله في الأرض، حتى يحل السلام والأمن والعدل.

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٤٢).

(٢) المرجع السابق، (م ٣، ص ١٥٤٣)، والرحيق المختوم، للمباركفوري، (ص ٢٥١).

## المطلب الثالث

### إعداد العدة لإرهاب أعداء الله

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ \* وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٥٩-٦٠].

أولاً: التفسير التحليلي:

١- مناسبة الآيات: بعد الحديث في الآيات السابقة عن خيانة العهد والغدر من اليهود والمنافقين، جاءت هذه الآيات الكريمة تسليية للنبي ﷺ على ما أبدأه به أعداؤه من الخيانة أمثال عبد الله ابن أبي بن سلول وغيرهم من فلول المشركين الذين نجوا يوم بدر، وطمأنة له وللمسلمين بأنهم سينالون منهم ويأتون على بقيتهم، وفيها أيضاً تهديد للعدو بأن الله سيمكن منهم المسلمين (١)، وبداية الآيات كلام مستأنف أي إنهم لا يُعجزون ربه، بل هو قادر على الانتقام منهم في كل لحظة، لا يعجزه أحد في الأرض ولا في السماء وأمر المؤمنين بأن يستعدوا، ويعدوا العدة لقتال أعداء الله (٢).

٢- سبب نزول الآية: ورد عن الزهري أنها نزلت فيمن أفلت وهرب من فلول المشركين يوم بدر وورد أنها نزلت في يهود المدينة، وكان زعيمهم الطاغوت كعب بن الأشرف، وهو فيهم كأبي جهل في مشركي مكة (٣).

٣- المفردات الغريبة: رباط الخيل: إناث الخيل وعلى قول الجمهور الذكور والإناث من الخيل (٤).

٤- القراءات:

- "ولا تحسبن" الجمهور قرأ بالفوقية "تحسبن" وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص وأبو جعفر بالياء التحتية "يحسبن" على أن الفاعل ضمير أحد أو من خلفهم، أو الذين كفروا والمفعول الأول أنفسهم فحذف للتكرار أي لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سبقوا، وقيل حذف الفاعل لدلالة الفعل عليه، والتقدير: ولا يحسبن حاسب (٥).

(١) تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ٥٣).

(٢) تفسير الكشاف، للزمخشري، (م ٢، ص ٤٢٤).

(٣) صفة التفاسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٧٤).

(٤) النكت والعيون، تفسير الماوردي، (م ٢، ص ٣٣٠).

(٥) حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، (ص ٤٤٥)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور،

(م ٥، ص ٥٤)، وتفسير البيضاوي، (م ١، ص ٣٨٩)، وتفسير البغوي، (م ٢، ص ٢١٧).

- "إنهم لا يعجزون": قرأ الجمهور بكسر همزة "إنهم" استئناف بياني جواباً عن سؤال جملة ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾، وقرأ ابن عامر "أنهم" بفتح همزة "أن" على حذف لام التعليل، فالجملة في تأويل مصدر هو علة للنهي، أي لأنهم لا يعجزون<sup>(١)</sup>، وورد أن كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل إلا أن المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح<sup>(٢)</sup>.

- "ومن رباط الخيل" قرأ الحسن "ومن رُبط الخيل" بضم الباء وسكونها جمع رباط وهذا يدل على تخصيص للخيل من بين ما يتقوى به ويتربط المسلمون فيه على أعدائهم من الخيل التي تربط في سبيل الله.

- "ترهبون" قرئ بالتخفيف والتشديد، وقرأ ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما "تخزون" والضمير في "به" راجع إلى "عدو الله وعدوكم" وهم إما أهل مكة أو اليهود أو المنافقون<sup>(٣)</sup>.

## ٥- البلاغة والنحو:

- "من قوة": مجاز مرسل تطلق على القوة المعنوية بمدى قوة الجيش والقوة المادية بقوة سلاحه وعتاده.

- "رباط الخيل": عطفت على "القوة" من عطف الخاص على العام، للاهتمام بذلك الخاص، و"الرباط": صيغة مفاعلة للمبالغة لتدل على قصد الكثرة من ربط الخيل للغزو، أي احتباسها ورباطها انتظاراً للغزو عليها، وسميت بالرباط لأن المكان الذي تربط فيه الخيل رباطاً فكانوا يربطون على الثغور راكبين على أفراسهم.

- عطف "وعدوكم" على "عدو الله" من عطف صفة موصوف واحد، لأن أعداء الله هم أعداء رسوله ﷺ وهم أعداء المسلمين أولياء دين الله والقائمون به وأنصاره<sup>(٤)</sup>.

## ٦- الأحكام الشرعية الواردة:

١. الأمر من الله ﷻ بإعداد القوة لإخافة الأعداء، والأعداء على عمومها إلا ما ورد فيه نص بقول أنهم الجن بقوله تعالى: "هم الجن" لأنه ورد عن رسول الله ﷺ أن الجن لا تقرب داراً فيها فرس وأنها تنفر من سهيل الخيل<sup>(٥)</sup>، وفي صحيح البخاري عن عروة بن أبي الجعد

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص٥٤)، وتفسير البيضاوي، (م١، ص٣٨٩)، تفسير البغوي، (م٢، ص٢١٧).

(٢) تفسير الكشاف، للزمخشري، (م٢، ص٤٢٤)، والتفسير الوجيز، لوهبة الزحيلي، (ص١٨٥).

(٣) حجة القراءات، ابن زنجلة، (ص٤٤٥).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص٥٥-٥٦).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م٤، ص٣٩٦).

البارقي (١) أن رسول الله ﷺ قال: (الخيـل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والمغنم) (٢).

٢. الخيل المقصودة هي الإناث والذكور على قول الجمهور والمستحب فيها الإناث لأن بطنها كنز وظهرها عز ولكن الخيل أجودها أعظمها أجراً وأكثرها نفعاً، وبها يُجال في الميدان خصها بالذكر تشريفاً وأقسم بغيرها تكريماً ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١] (٣).

٣. جواز وقف الخيل والسلاح على القول الراجح بين الأئمة (٤)، وهو من باب الإنفاق في سبيل الله لقوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

### ثانياً: التفسير الإجمالي:

بدأ هذا المقطع من الآيات الكريمة بكلام مستأنف أي أن هؤلاء الأعداء لا يعجزون ربهم، بل هو قادر على الانتقام منهم في كل لحظة، لا يعجزه أحد في الأرض ولا في السماء، وأمر المسلمين أيضاً بالاستعداد لهم وإعداد العدة بجميع أنواعها سواء كانت قوة مادية أو معنوية، فنصر الله للفئة المؤمنة دائماً يأتي بعد استعداد وتخطيط وتجهيز حتى يتعلم المسلمون درساً بأن النصر بيد الله تعالى ولكن لا بد من الاستعداد الجيد لإرهاب العدو أعداء الله وأعداء الإسلام والمسلمين سواء فعلهم من العرب أو اليهود أو المنافقين أو يعلمهم الله، فعُدو الله هو عدو للإسلام والمسلمين وفي نهاية الآيات الكريمة أكد على الإنفاق في سبيل الله وخاصة الإنفاق في الجهاد حتى يجزيها الله ﷻ الجزاء وافياً كاملاً يوم القيامة، ولا ينقص من ذلك الأجر العظيم شيئاً (٥).

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- الكفار لا يعجزون الله في الأرض ولا في السماء: والذي أراه أن هذا من أروع المقاصد الواردة في الآيات حيث يعطي هذا المقصد القوة والعزة للإسلام والمسلمين، فالمؤمن يستمد العزة

---

(١) عروة بن أبي الجعد البارقي: وقيل: الأزدي، سكن الكوفة وروى عنه الشعبي، والسبيعي، وآخرون، كان ممن سيره عثمان ﷺ إلى الشام من أهل الكوفة، وقال شبيب بن غردقة: رأيت في دار عروة بن الجعد سبعين فرساً مربوطة للجهاد في سبيل الله ﷻ، وقيل: سمّي بارق لأنه نزل عند جبل اسمه "بارق" فنسب إليه. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير الجزري، (م، ٤، ص ٢٦).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب "الخيـل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"، (ب ٧٩/٢٦، ح ٤٨٨٢)، (ص ٩٢٩)، وفي صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير، (ح ٢٨٥٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م، ٤، ص ٣٩٢).

(٤) المرجع السابق، (م، ٤، ص ٣٩٤-٣٩٥).

(٥) صفوة التفاسير، للشيخ الصابوني، (م، ١، ص ٤٧٤).



والقوة من الله، ويعلم تماماً أن الله دائماً ينصر أوليائه الصادقين المخلصين، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢] ، وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] ، وهذا يحقق الهدف المنشود من قتال العدو وهو إعلاء كلمة الله تعالى ونصرة الحق والعدل في الأرض وهذا يرفع الروح المعنوية اليوم عند المسلمين الذين يعانون ويلات طواغيت الأرض فهم لا يعجزون الله أبداً، ولكن الله يمهل ولا يهمل جبابرة الأرض ولا بد من كسر شوكتهم بقدره ومشيئة الله تعالى فهذا اختبار للصادقين المؤمنين على الصبر والابتلاءات والمحن.

٢- الأمر بإعداد العدة للقتال: أمر الله ﷻ في هذا الجزء من الآيات الكريمة الاستعداد والتجهيز وإعداد العدة والعتاد لقتال العدو على حسب حدود الطاقة إلى أقصاها للدفاع عن المنهج الرباني في الأرض، وليقيم شعائر وتعاليم الإسلام، فالمسلم لا يدافع من أجل السلطان، والفساد والظلم في الأرض وإنما ليقوم العدل والأمن والأمان وهكذا هي دولة الإسلام لا تدافع عن رأسمالية أو علمانية أو شيوعية أو غيرها وإنما تعد العدة لإقامة المد الإسلامي، لإقامة منهج الله في الأرض وتحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالى<sup>(١)</sup>، والذي أراه اليوم أنه بفضل الله تعالى بدأ الإسلام يقوى، وتقوى شوكته في الأرض، وبدأ الناس يعودون لله ﷻ ويجدون أن الحل الوحيد لجميع المشاكل التي تعاني منها الشعوب هي بالعودة للإسلام وتطبيق منهج الإسلام كمنهج حياة، وأدركوا أنه لا بد من إعداد العدة جيداً لمحاربة كل من يعادي الإسلام والمسلمين، وما أكثرهم في هذا الزمان، ويجب أن نُوجِّه القوة في وجه العدو الأول، الغاشم على أرضنا وهو العدو الصهيوني المجرم الذي ما زال يدمر ويقتل ويسلب الحقوق والعقول والمقدسات، وأدرك الشعب الفلسطيني الذي بدأ بإعداد العدة للعدو منذ زمن، حيث بدأ بحجارة السجيل، ووصل اليوم إلى حرب السجيل الذي بدأ جلياً للجميع أن الجيش المسلم بالفعل بدأ يطور من نفسه شيئاً فشيئاً بدأ بالحجارة ثم السكين ثم الأمكستين ثم الصواريخ ثم الطير الأبابيل وهي طائرات تستطلع أخبار العدو، فكل ذلك امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وهذا يؤكد أنه لا يجوز للعصبة المسلمة القعود عن سبب من أسباب القوة، وعليها التكليف بالاستعداد الجيد للمعارك والمواجهة مع العدو بكل ما أوتيت من قوة، وكل ذلك بفضل قدرة وعظمة الله ﷻ.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٤٤).

٣- إرهاب العدو: أكد الله ﷻ على الغرض الأول من إعداد القوة وهو إرهاب العدو، وإلقاء الرعب والخوف والرهبنة في قلوبهم وذلك في قوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾ [الأنفال:٦٠] ، وهؤلاء المجرمون أعداء الله ترهبهم قوة الإسلام، والمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين في الأرض، ولتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله لله (١)، وهذا ما أراه اليوم في واقعنا أن العدو أهون من بيت العنكبوت، ويضعف ويخر من أقوال وكلمات الإسلام والمسلمين، فما بالنا عندما يتفاجأ خلال ثلاث حروب خاضها الشعب الفلسطيني في قطاع غزة مع هذا العدو المجرم حيث أعدوا للعدو الغاصب المفاجآت تلو المفاجآت مرةً بالصواريخ ومدى قوتها في إيثان العدو، ومرةً بحرب الأنفاق التي كانت الفاجعة للعدو حيث وصلوا إليه في عقر داره وأغاروا عليه من نقطة الصفر وأثخنوا فيه ضرباً وقتلاً وأسراً، وهذا أثبت للعالم أجمع أن الجيش الذي كان يتغنى بأنه الجيش الذي لا يقهر قهره المجاهدون في فلسطين، وكل العالم رأى بأن الإسلام يستطيع أن يهزم العدو بحراً وبراً وجواً من خلال إعداده وتخطيطه وأخذه بالأسباب وتوكله على الله ﷻ حيث يقول: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩] ، وقال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران:١٢٣] ، وقال: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٦].

٤- الدعوة إلى إنفاق المال في سبيل الله: هذه الدعوة جاءت بعد الأمر بإعداد العدة والاستعداد الجيد لمقاتلة العدو الغاشم، ولما كان إعداد العدة يقتضي أموالاً، والنظام الإسلامي في الأصل يقوم على أساس التكافل، اقترنت الدعوة إلى الجهاد بالدعوة إلى إنفاق المال في سبيل الله ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٦٠] ، وفي الحديث عن عمر بن الخطاب ؓ قال: "أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك عندي ما لا فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً فقال: فجئت بنصف مالي فقال رسول الله: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال يا أبا بكر: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: والله ما أسبقه إلى شيء أبداً" (٢)، ويجرد الإسلام الجهاد والنفقة في سبيله من كل غاية أرضية، ومن كل دافع شخصي، ومن كل شعور قومي أو

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٣م، ص ١٥٤٤).

(٢) سنن الترمذي، (٦م، ص ٥٦)، أبواب المناقب، (ح ٣٦٧٥)، وحسنه الألباني: صحيح وضعيف، وسنن الترمذي، (٨م، ص ١٧٥).

طبقي ليكون خالصاً لله، ابتغاء رضوانه ومرضاته وحتى تسود ألوهيته، وسلطانه وحاكميته في الأرض، ويحرر الجهاد في سبيل الله الأرض من الظلم والقهر والذل والهوان الذي تعيشه الشعوب والأمم<sup>(١)</sup>، وبين الله ثواب الإنفاق في سبيل الله في الآخرة يوفى الحساب بالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وورد في حديث ابن عمر في الفرس الذي حمل عليه في سبيل الله وقوله ﷺ في حق خالد: (وأما خالد فإنكم تظلمون خالدًا فإنه قد احتبس أذراعه في سبيل الله) أي جعلها وقفاً لله تعالى، عندما طلب منه زكاة العتاد ظناً منهم أن الزكاة في حقها واجبة فامتنع خالد وأطلقها وقفاً لله تعالى، فدافع عنه النبي ﷺ لأنه كان من أهل الإنفاق في سبيل الله<sup>(٢)</sup>.

"فالإنفاق في سبيل الله فريضة واجبة، ويشمل كل ما ينفق لإعلاء كلمة الله، والدفاع عن الإسلام، ونشره بين الناس، وإقامة أحكامه، ومن واجب كل مستخلف على مال الله أن ينفق منه في هذا السبيل"<sup>(٣)</sup>.

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "قال رجل: أي الناس أفضل يا رسول الله؟ قال: مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله..."<sup>(٤)</sup>.

والذي أراه اليوم أنه بفضل الله أولاً، ثم بتكافل الشعب الفلسطيني والعربي وإنفاقهم في سبيل الله من أجل الدفاع عن المقدسات الإسلامية، القدس مسرى الحبيب محمد ﷺ، وعن نصرته الدين الإسلامي العظيم، وقهر كل من يعادي الإسلام والمسلمين من طواغيت الأرض، ومن الطابور الخامس الذي يساند العدو ضد شعبه ودينه ومقدساته، لذلك تضافرت كل الجهود لبذل المال من أجل صنع النصر العظيم على طواغيت الأرض وهذا ما نجده من أمهات وشابات وشباب الإسلام في بذلهم وعطائهم حيث يقدمون كل ما بوسعهم لخدمة هذا الدين ويبدلون الغالي والتمين من أجل الدفاع ونصرة هذا الدين العظيم فرأينا نماذج كثيرة ممن قدموا وما زلنا نقدم إما من حُلِيِّهن أو من زكاة أموالهن أو من ميراثهن، وهذا إنما يؤكد على عظمة الشعب الفلسطيني رغم ما يعاني من حصار، فهو شعب فيه الخير إلى يوم القيامة بإذن الله تعالى.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٣م، ص ١٥٤٤، ١٥٤٥).

(٢) رواه البخاري في الزكاة (١٤٦٨)، باب (٤٩) وفي سبيل الله، ورواه مسلم في الزكاة (٩٨٣)، باب (٣) في تقديم الزكاة ومنعها.

(٣) المال والحكم في الإسلام، عبد القادر عودة، (ص ٥٣).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط، (٣م، ص ١٥٠٣)، (ح ١٨٨٨).

## المطلب الرابع

### جواز عقد الهدنة مع غير المسلمين

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ \* وَاللَّفَّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

أولاً: التفسير التحليلي:

١ - مناسبة الآيات لما قبلها:

انتقل من بيان أحوال معاملة العدو في الحرب من وفائهم بالعهد، وخيانتهم وكيف يحل المسلمون العهد معهم إن خافوا خيانتهم وغدرهم، والأمر بالاستعداد لهم؛ إلى بيان أحكام السلم إن طلبوا السلم والمهادنة وكفوا عن حالة الحرب<sup>(١)</sup>.

٢ - المفردات الغريبة:

﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾: الجنوح: الميل، يُقال جنح الرجل إلى الرجل: مال عليه، ومنه قيل جنحت الإبل: إذا مالت أعناقها في السير، ومنه قيل للأضلاع جوانح<sup>(٢)</sup>.

٣ - القراءات:

لِلسَّلْمِ: ثرى بفتح السين عند الجمهور، وكسرهما عند حمزة وأبو بكر وخلف، والمعنى ضد الحرب. فَاجْنَحْ: ثرأت بضم النون، والمعنى: إما بإعطاء الجزية أو المودعة<sup>(٣)</sup>.

٤ - النحو والبلاغة:

- اللام في قوله: (لِلسَّلْمِ) واقعة موقع (إلى) لتقوية التنبيه على أن ميلهم إلى السلم ميل حق.
- (فَاجْنَحْ لَهَا) جيء بفعل (اجنح) لمشاكلة قوله: (جنحوا)<sup>(٤)</sup>، وجاءت لها مؤنثة تأنيث ضدها

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص ٥٨).

(٢) فتح القدير، للشوكاني، (م١، ص ٦٩٨).

(٣) الكشاف، للزمخشري، (م٢، ص ٤٢٥)، وتفسير البيضاوي، (م١، ص ٣٨٩)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص ٥٩).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص ٥٩).

وهي الحرب (١).

- (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) هذا الأسلوب يسمى  
بـ (الإطناب) وفائدته التذكير بالمنة الكبرى والنعمة العظمى على الرسول والمؤمنين (٢).

## ٥- الأحكام الشرعية:

يجوز للحاكم المسلم أن يميل إلى المسالمة، أي الصلح مع العدو إن مال إليه، ويجب أن يكون الصلح في مصلحة الإسلام والمسلمين لنفع يجتلبونه، أو ضرر يدفعونه، فلا بأس أن يبتدئ المسلمون به إذا احتاجوا إليه، فقد صالح رسول الله ﷺ أهل خيبر وأهل نجران وقريشاً وغيرهم (٣).

## ٦- علوم القرآن (الناسخ والمنسوخ):

اختلف العلماء في الآية رقم (٦١) من الأنفال: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ هل هي منسوخة أم لا بقوله تعالى: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة:٥]. قال قتادة وعكرمة أن براءة نسخت كل موادة حتى يقولوا لا إله إلا الله.

وقال ابن عباس: الناسخ لها، ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ [محمد:٣٥]، والراجح عند جميع المفسرين أنه لا نسخ، فالآية ليست بمنسوخة ولكن إذا كان المسلمون في حال العزة والقوة والمنعة والشدّة فلا صلح، وأما إن كانوا في حال من الضعف فيجوز الصلح لمصلحة الإسلام والمسلمين (٤).

والأصل الجمع بين الآيتين أولى فإن دعوا إلى السلم قبل منهم إن فيه مصلحة للمسلمين وإن كان المسلمون في قوة ومنعة وعدة فلا صلح (٥).

## ثانياً: التفسير الإجمالي:

تدعو الآيات الكريمة إلى الميل إلى الصلح والمهادنة من قبل الإمام المسلم حسب ما تقتضيه مصلحة الإسلام والمسلمين، وعليه أن يفوض الأمر كله لله فهو سبحانه السميع

(١) تفسير الكشاف، للزمخشري، (م٢، ص٤٢٥).

(٢) صفوة التفاسير، للصابوني، (م١، ص٤٧٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م٤، ص٣٩٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م٤، ص٣٩٨)، وفتح القدير، للشوكاني، (م١، ص٦٩٨).

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص٦٠).

لأقوال العليم بالنيات، فهو سبحانه الحسيب، فهو الذي ينصر الفئة المؤمنة، ويذكر بنعمته تعالى على نبيه ﷺ حيث نصره وشد أزره بالمؤمنين وألف بين قلوبهم، أي جمع قلوبهم على المحبة والترابط بدلاً من العداوة والبغضاء التي كانوا عليها في الجاهلية، فهذه كانت نعمة وآية عظيمة من آيات الله تعالى على عباده نصر وأيد بها نبيه محمد ﷺ حيث ألف بين قلوب العرب بالإيمان بدلاً من العصبية القبلية التي لو أنفق ما في الأرض جميعاً فعل ذلك بينهم ما قدرت على تأليف قلوبهم واجتماعها على محبة بعضها بعضاً، ولكن الله ﷻ بقدرته وعظمته وجلاله جمع ووفق بينهم وأصلح ذاتهم، فإنه المالك للقلوب، يقلبها كيف يشاء، إنه عزيز حكيم، أي غالب على أمره لا يفعل شيئاً إلا عن حكمة (١).

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

#### ١- إقامة عهود تعايش بين المعسكرات المختلفة:

قررت الآيات الكريمة إمكان عقد عهود تعايش بين المسلمين والمعسكرات المختلفة، بشرط احترام هذه العهود وعدم خيانتها؛ لأن العدو إذا اتخذ هذه العهود ستاراً للغدر والخيانة، فإن على القيادة المسلمة أن تنبذ وتستعد لقتالهم وتتوكل على الله، وإن لم يخونوا عهدهم توادعهم ولا ترفض الموادعة، كما فعل النبي ﷺ في أول هجرته إلى المدينة عندما صار الكفار معه ثلاثة أقسام، قسم صالحهم ووادعهم على ألا يحاربوه، وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة، وقسم تاركوه فلم يصلحوه ولم يحاربوه مقابل كل طائفة بما أمره الله تبارك وتعالى، وهذه كانت أوضاع مؤقتة، تواجه أحوالاً واقعة، ولم تكن أحكاماً نهائية من العلاقات الدولية الإسلامية، وعُدلت فيما بعد بما نزل من أحكام شرعية في سورة براءة، استقر عليها حكم التعامل مع المعسكرات المختلفة (٢).

والذي أراه في واقعنا اليوم أن القوى الإسلامية والوطنية في فلسطين خاصة في غزة، وعلى رأسها حركة المقاومة الإسلامية عقدت وقف لإطلاق النار بناءً على ما يطلب المحتل، فإن جنح للسلم بوقف إطلاق النار والدمار والقصف والتخريب قبلت منه الحركة الإسلامية، ومالت لطلبهم، ولكن إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام وللشعب الفلسطيني والتزاماً بالحقوق والثوابت وعدم التنازل عن حق العودة والأسرى والمسرى، ويكون محدد بشروط يفرضها على المحتل، وتكون محددة بزمان معين، وهذا من منطلق قوة الحركة ورجالها الذين تربوا على مائدة القرآن الكريم، وساروا في ذلك على سنة وهدى الحبيب محمد ﷺ.

(١) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٧٧).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٤٠).

## ٢ - الإسلام أو الجزية أو القتال:

هذه هي الوسائل الثابتة في منهج الإسلام، التي تعامل بها النبي ﷺ، والتي لم تعجب المنهزمين روحياً وأخلاقياً وعقلياً، الذين لا يريدون تطبيق منهج الله في الأرض، وهم كثيرون في أيامنا وزماننا يُعلنون الحرب دائماً على الإسلام وفكره ومنهجه، ويخرجون علينا بأسماء جديدة غريبة علينا، وعلى منهج الإسلام وفكره العظيم، فإن المنهج الحركي لهذا الدين يواجه الواقع دائماً بوسائل مكافئة، وهو منهج متحرك مرن، واضح وقوي، متين يتوافق مع حاجات الواقع وضروراته<sup>(١)</sup>، وهذا ما جاء في حديث أخرجه الإمام مسلم: عن النعمان بن مقرن<sup>(٢)</sup> قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميراً على سرية أو جيش أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيراً، وقال: (اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال فأيتهن أجابوك إليها فاقبل منهم، وكف عنهم، ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأعلمهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين وأن عليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الفياء والغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم)<sup>(٣)</sup>.

## ٣ - الإسلام دين سلام لا دين حرب:

إن الإسلام ما جاء للحرب، بل جاء للسلام، ويقول القرآن: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا...﴾ [النساء: ٩٤]، فهو دين السلام، وما كانت الحرب إلا لتأييد السلام وليكون على العدل، وما حارب النبي ﷺ المشركين إلا بعد أن فتنوا الناس عن دينهم، وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم، وشردوا المؤمنين، فكان لا بد من القتال لمنعهم من الظلم والفساد في الأرض، فإن جنحوا للسلام وامتنعوا عن الفتنة والفساد، زال سبب القتال وعاد الأمر إلى أصل الإسلام الذي هو أصل

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٤٦).

(٢) النعمان بن مقرن: هو النعمان بن مقرن بن عائذ المزني، أبو عمرو، ويقال أبو حكيم، صحابي مشهور، استشهد بنهاوند سنة ٢١هـ، روي له عن رسول الله ﷺ (٦) أحاديث، ينظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر، (م ١٠، ص ٤٤٩).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها، (م ٢، ح ١٧٢٨-١٧٣١)، (ص ٤٥١).

وأساس العلاقة الإنسانية بين المسلمين وغيرهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١] (١)، حتى إن الرسول ﷺ كان إذا أمر أميراً على جيش، أو صاه بتقوى الله، فلا يغدر، ولا يخون، ولا يقتل وليداً أو امرأة، ولا يعتدي على الضعفاء غير المحاربين للإسلام والمسلمين (٢)، وهذا هو هدي النبي ﷺ في التعامل مع غير المسلمين سهل الخلق، لين الجانب حتى مع أشر القوم (٣).

#### ٤ - السلم في حال قوة الإسلام ضعف وخنوع:

قررت الآيات الكريمة أن المؤمنين في حال القوة والعدة والمنعة لا يطلبوا الصلح مع العدو؛ لأن هذا يُعد ضعف وخنوع، ويضعف هيبتهم وقوتهم، ويجعل العدو يقوى عليهم، فالصلح أو السلام لا يكون إلا حيث تكون شوكة العدو قد خضعت وقلت حدتها، لذا قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]، أي الاعتماد على الله في حصول الأمن والنصر للإسلام حيث إن الله هو حامي دينه وعاصم نبيه وناصر أوليائه، فهو سميع لكل ما يقولون عليم بكل ما يفعلون، لذا قال ﷺ: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنُصْرِهِ وَإِلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]، لذلك نرى القوة في السلم تقوي العزيمة في الدعوة المحمدية ولا تضعف، وتزيد من قوة الإسلام عندما يجنح المشركون إلى السلم وهم في حال من الضعف والخنوع، والمسلمون في حال الغلبة والقوة، لذلك نهى الإسلام بنص القرآن عن أن يعرض المسلمون الصلح على المشركين وهم في حال القوة والغلبة، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالِكُمْ﴾ [محمد: ٣٥] (٤).

#### ٥ - الله ناصر أوليائه:

والذي أراه أن هذه قاعدة تؤكد سنة الله في الدعوات، أن الله سبحانه دائماً ينصر أوليائه الصالحين، ويؤيد أنبيائه وعلى رأسهم إمامهم محمد ﷺ فحذر النبي في هذه الآيات من خديعة ومكر الأعداء، وأمره بالثبات أمامهم بدون تردد؛ لأن الله حسبه، وناصره، وعاصمه، وكافيه وحاميه، مما يكيد له الأعداء من الغدر والخيانة والخديعة والمكر، فالله وحده بقوته وقدرته القاهرة الظاهرة سوف يؤيده بنصره وينصر المؤمنين وسوف يعز الإسلام والمسلمين، وهذا ما نراه اليوم في

(١) زهرة التفاسير، للإمام محمد أبو زهرة، (٦م، ص ٣١٧٧).

(٢) تحفة الذاكرين، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (ص ٢١١).

(٣) الشمائل المحمدية، لأبي عيسى محمد بن سورة الترمذي، (ص ٢٠٧، ٢١١).

(٤) ينظر: زهرة التفاسير، للإمام محمد أبو زهرة، (٦م، ص ٣١٧٨).



واقعنا وزماننا، الكل يكيد للإسلام ولكن الله حافظه، والطواغيت يفسدون في الأرض، ولكن الله مع المؤمنين، فأبينا هذا في الحروب التي خاضتها غزاة العزة مع العدو الصهيوني، فرغم الفرق الهائل في القوة والعدة، لكن الله أيد عباده الموحدين المخلصين الطاهرين، المرابطين في أرض فلسطين بإخلاص، لذلك نصرهم الله وأيدهم بجند من عنده، وتوفيق منه ﷺ، وهذا ما ثبت بالصوت والصورة خاصة في آخر حرب مع العدو (العصف المأكول) في العمليات البطولية مثل عملية زكيم وغيرها، فقد أثبتت هذه البطولات أن الله مع المؤمنين وناصرهم رغم ضعف عدتهم إلا أنه أيدهم وأعزهم على مرأى ومسمع العالم أجمع، وأثبت مدى ضعف وخور العدو الذي يعبر عن خسائره بالقصف والتدمير والخراب، وصدق الله حيث يقول في كتابه العزيز: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

## ٦- تأليف القلوب بين المؤمنين من الآيات الباهرة:

المحبة والأخوة والترابط الذي حدث بين المؤمنين من الآيات الباهرة، والمعجزات التي أيد الله بها نبيه محمد ﷺ حيث لا يقدر على ذلك إلا من الله العلي القدير، مقلب القلوب، ومؤلف الأرواح، وقد بين الله استحالة ذلك غلا من الله تعالى حيث قال: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وهذا ما نراه في السابق في عهد النبي ﷺ حيث حصلت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ووحدت قلوبهم على المحبة والإيثار والترابط والحب الذي حصل للأوس والخزرج، وقضى على الفتن والحروب التي كانت بينهم، وأزالت العصبية الجاهلية، وأصبحت جماعة الإسلام جماعة قوية متألفة متآزرة كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وهذا لو أنفق كل مال الأرض على ذلك لن يتحقق إلا بأمر الخالق القادر العظيم، فهذه القوة هي التي أوجدت الجماعة الإسلامية الأولى، وهي الخلية والبذرة الأولى للإسلام وتعاليمه التي قامت على التأليف بين القلوب، والوحدة والترابط، والجمع على كلمة واحدة ومنهج واحد ينظم حياتهم، وهذا جعل الإسلام قوياً عزيزاً غالباً إلى يومنا هذا بقوة الله وقدرته<sup>(١)</sup>.

## ٧- الله عاصم لنبيه ولعباده المؤمنين:

هذه حقيقة يؤكد الله عليها منذ بعثة النبي محمد ﷺ إلى أن لقي الله، وهو مؤدي الرسالة وتمم للأمانة، فكما أيد الله ونصره خلال ثلاث وعشرين سنة من الجهاد والصبر، والتضحيات

(١) ينظر: زهرة التفاسير، للإمام محمد أبو زهرة، (م٦، ص ٣١٨١).

والمحن، يؤكد الله ﷻ أنه ناصر من اتبعه من المؤمنين، وهذا هو سر نجاح المسلمين اليوم وسر قوتهم؛ لأنهم يعتمدون على الله ﷻ ويتوكلون عليه حتى لو تعرضوا إلى الخيانة والخداع والمكر من العدو<sup>(١)</sup>؛ لأنهم تربوا في مدرسة محمد ﷺ الذي علمهم باليقين بأن الله هو حاميمهم وعاصمهم من كل شر وفتنة، كما وعد نبيه بأنه عاصمه من الناس في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

فهذا يعطينا اليوم عزة وقوة ونحن نعيش أصعب الظروف القاسية من العدو القريب الصديق، والعدو الغاشم على أرضنا، فالكل يُدبر لنا وللإسلام والمسلمين في كل بقعة فيها الإسلام ويعلو شأنه، فعندما يعلم المؤمن وهو يربط في الشام أن الله ناصر لعباده المؤمنين يرفع من الروح المعنوية لديه ويمده بالصبر والثبات والقوة، واليقين بأن النصر حليف الإسلام والمسلمين مهما طال الزمن أو قصر، وصدق الله القائل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

فهذا كله اقتداءً بدأت خير الأمة وسيدها محمد ﷺ حيث نسير على خطاه ونتبع هداه في حال السلم والحرب، ونكون على جاهزية تامة للعدو لو بدأ بالحرب أو نقض العهد أو خان في الصلح، فإن الله كافٍ ومؤيد وناصر لعباده المؤمنين الموحدين<sup>(٢)</sup>، فالصادق مع ربه منصور، والغادر مدحور، والصابر على الجهاد والتضحية مشكور مأجور، فمن كان الله حسبه نصره بلا عشيرة، وقواه بلا مال، وأعزه بلا جاه<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٤٨).

(٢) ينظر: تفسير المراغي، للأستاذ أحمد مصطفى المراغي، (م ١٠-١٢، ص ٢٩).

(٣) ينظر: التفسير الميسر، للدكتور عائض القرني، (ص ٢٢٦).

## المبحث الخامس

### مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٦٥-٦٦)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فريضة الجهاد على المسلمين.

المطلب الثاني: قوة المؤمنين في ميزان الله.

## المبحث الخامس

### مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٦٥-٦٦)

الأمر بتحريض المؤمنين على القتال بثقة ويقين أن النصر لهم بإرادة الله:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ \* الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٥-٦٦].

### المطلب الأول

#### فريضة الجهاد على المسلمين

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٥].

أولاً: التفسير التحليلي:

١ - مناسبة الآية لما قبلها:

جاءت الآية نداء للنبي ﷺ لتتويجه على القتال؛ لأنه لما تكفل الله له الكفاية والحماية له وللمؤمنين، احتيج إلى بيان كيفية كفايتهم وهي قتال أعداء الله، وأعداء الدين<sup>(١)</sup>.

٢ - سبب النزول:

أخرج إسحاق ابن راهويه في مسنده عن ابن عباس قال: لما افترض الله عليهم أن يقاتل الواحد عشرة ثقل ذلك عليهم وشق، فوضع الله عنهم إلى أن يقاتل الواحد الرجلين، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ... ﴾ [الأنفال: ٦٥]<sup>(٢)</sup>.

٣ - القراءات:

"حَرِضٌ" من التحريض: المبالغة في الحث على الأمر من الحرص، وفُرئ "حَرِصٌ" بالصاد غير المعجمة، من الحرص على هذا الأمر<sup>(٣)</sup>.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ٦٦).

(٢) لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، (ص ٢١٧).

(٣) تفسير الكشاف، للزمخشري، (م ٢، ص ٤٢٦).

#### ٤- النحو والبلاغة:

ضمير "منكم" خطاب للنبي ﷺ وللمؤمنين.

﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ...﴾ جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، لأنها جعلت بياناً لإجمال، لأنه من شأنه أن يثير سؤال سائل عما يعمل إذا كان عدد العدد كثيراً، فقد صار المعنى: حرص المؤمنون على القتال بهذه الكيفية، والمعنى أن يكونوا مسلمين صابرين لا يتزلزلون، ولا يكون فيهم من هو ضعيف النفس فيفشل الجيش<sup>(١)</sup>، وهذه الآية من النوع البديع يسمى "الاحتباك" ففيه الكلام الفصيح الذي أثبت شرط الصبر للمبالغة في أهمية المطلوب، لذلك ختمت الآيات بقوله ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ وهذا يدل على مدى فصاحة وبلاغة القرآن الكريم وروعته<sup>(٢)</sup>.

#### ٥- أحكام شرعية:

فرض الجهاد على المسلمين بأن يقاتلوا في سبيل الله، وأن لا يفر واحد من عشرة كما جاء في الآية: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ...﴾ [الأنفال: ٦٥]، ثم جاء التخفيف فقال: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ...﴾ [الأنفال: ٦٦]، وذلك لما شق عليهم حطّ الفرض إلى ثبوت الواحد للثنتين، فخفف عنهم وكتب عليهم ألا يفر مائة من مائتين<sup>(٣)</sup>.

#### ثانياً: التفسير الإجمالي:

جاء النداء في الآية الكريمة للنبي ﷺ ليحث المؤمنين حثاً شديداً وحضهم على قتال الأعداء من المشركين وغيرهم، فإن يكن من معشر المؤمنين عشرون صابرون في المعركة، يغلبوا مائتين، وإن يكن منهم مائة صابرة مقاتلة يغلبوا ألفاً من الكفار، ذلك بسبب أن الكفار قوم لا يدركون حكمة الحرب، ويقاثلون على غير بصيرة، ولما شق ذلك على المؤمنين، وخصّ الله لهم وخفف عنهم، لما علم من وجود ضعف عن قتال الواحد عشرة أمثاله، وصار الواجب الصمود أمام اثنين فقط، فإن يكن من المؤمنين مائة صابرة يغلبوا مائتين، وإن يكن منهم ألف يغلبوا ألفين من الكفار الأعداء بإرادة الله ومشينته، والله يُعين الصابرين<sup>(٤)</sup>.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ٦٦، ٦٧).

(٢) صفوة التفسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٧٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م ٤، ص ٤٠٢).

(٤) التفسير الوجيز، للزحيلي، (ص ١٨٦).

وبعد أن طلب الله ﷻ من النبي ﷺ أن يحض المؤمنين على قتال المشركين ويرغبهم بكل جهده، أخبرهم بوعد الله له ولهم وهو وعد كريم منه، ﷻ بغلبة كل جماعة من المؤمنين على عشرة أمثالهم أي إن كان منهم عشرون صابرون على شدائد الحرب يغلبوا مائتين من عدوهم، بعون الله وتأييده وإن يوجد منهم مائة بشرط الصبر عند اللقاء يغلبوا ألفاً من الكفار بمشيئة الله تعالى وكان بثبات الواحد للعشرة فرضاً، ثم لما شقَّ عليهم فأصبح ثبات الواحد للثنتين فرضاً، وسبب ذلك أن الكفار قوم جهلة لا يفقهون حكمة الله، ولا يعرفون طريق النصر وسببه لذلك يُغلبون (١).

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- قوة الله العزيز القوي أمام قوة البشر: استعرضت الآية الكريمة القوة التي لا راد لها ولا معقب عليها قوة الله القوي، القاهر، المتعالي، العزيز أمام القوة العاجزة الهزيلة التي تتصدى لكثائب الله ﷻ، فإذا الفرق شاسع واليون بعيد وإذا هي معركة مضمونة العاقبة، معروفة النهاية، مقررة المصير، وهذا كله يتضمنه ويصدقه قول الله تعالى بوعد له لنبيه ومن تبعه بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤] ، فجاء الأمر بعد ذلك بالحض على القتال، وهم في قوة واستعداد وثقة ويقين بأن النصر بيد الله (٢).

وهذا ما نراه في زماننا من خلال الحروب التي خاضها الشعب الفلسطيني مع العدو الصهيوني، وكيف برزت مدى قوة وعظمة وقدرة الله تعالى عليهم فانتصار غزة على العدو كان بمعونة وقدرة الله ومشيئته وعظمته لأنه ﷻ دائماً وأبداً يؤكد لنا كمؤمنين صابرين ومحتسبين أن الله ينصر الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكبيرة الباغية، وهذه هي سنة الله في الدعوات.

٢- ميزان القوى بين المؤمنين الذين يفقهون والكافرين الذين لا يفقهون: إن الله أمر نبيه ﷺ بتحريضهم على قتال عدوهم وهم لعدوهم وعدو الله كفاء، وإن قل عددهم وكثر أعداؤهم وأعداء الله حولهم، وعلل ذلك ﷻ بتعليل صادق وعميق بأنهم لا يفقهون، فصلة الغلبة والنصرة لها صلة حقيقية بالفقه، فالفئة المؤمنة وإن كانت قليلة فإنها تمتاز بأنها تفقه دينها، ومنهجها وطريقها، وتدرك حقيقة وجودها وغايتها، تفقه العبودية والألوهية بأنها لله وحده، فتقاتل من أجل ذلك، لتعلي كلمة الله وتجاهد في سبيل الله، وتعمر الأرض بالخير والعدل والحق، لذلك تنتصر بوعد من الله وقدرته، بينما الأعداء لا يفقهون ذلك، قلوبهم مغلقة، وبصائرهم مطموسة، وقوتهم

(١) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٧٧).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٤٩).

رغم تفوقها عاجزة أمام قوة الله الأعظم، والنسبة في ميزان القوى بينهم هي واحد لعشرة وحتى في أضعف حالات المسلمين الصابرين فإن النسبة هي واحد لاثنتين (١).

## المطلب الثاني

### قوة المؤمنين في ميزان الله

قال تعالى: ﴿الآن خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦].

أولاً: التفسير التحليلي:

١ - مناسبة الآية لما قبلها:

هذه الآية الكريمة نزلت بعد نزول الآية التي قبلها بمدة، والمناسبة بينهما أن هذه الآية جاءت لتخفيف الحكم على المؤمنين، حيث إنه لما أوجب الله ﷻ على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم، وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنتين، وورد أنه كان فيهم قلة فأمروا بذلك ثم لما كثروا خفف الله عنهم، وتكرير المعنى الواحد بذكر الأعداد المتناسبة للدلالة على حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن، وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها (٢).

٢ - سبب النزول:

حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس في هذه الآية، قال: كُتِبَ عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين، ثم خفف الله عنهم فقال: ﴿الآن خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا...﴾ فلا ينبغي لمائة أن يفروا من مائتين، وورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نزلت فينا أصحاب محمد ﷺ وروي أنه لما ثقل عليهم أن يقاتل الواحد عشرة وشق عليهم ذلك نزلت هذه الآية فخفف الله عنهم ووضع عنهم إلى أن يقاتل الواحد الرجلين (٣).

وإن رسول الله ﷺ قد بعث حمزة ؓ في ثلاثين راكباً، فلقي أبا جهل في ثلاثمائة راكب، ثم ثقل عليهم ذلك، وذلك بعد مدة طويلة فَرَفَعَ الحكم وخفف الله عنهم وذلك بمقاومة الواحد

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٥٠).

(٢) تفسير البيضاوي، (م ١، ص ٣٩٠).

(٣) لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، (ص ٢١٧)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (م ٢، ص ٥٠٩).

الاثنتين (١).

### ٣ - القراءات:

"ضَعْفًا" قُرأت بالفتح "ضَعْفًا" والضم "ضُعْفًا" وورد في معناه بالضم على قراءة الجمهور الضعف في البدن وفي قراءة الفتح بقراءة عاصم وحمزة وخلف المعنى ضعف الرأي والعقل أو في البصيرة والاستقامة في الدين فكانوا متفاوتين في ذلك، وقرأ أبو جعفر "ضعفاء" بفتح العين والمد على الجمع (٢).

"يَكُن" قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب "تكن" بالفوقية (التاء المثناة) لمراعاة تأنيث اللفظ والبقية قرأ بالتحثية لأن التأنيث غير حقيقي (٣).

### ٤ - النحو والبلاغة:

"الآن" اسم ظرف للزمان الحاضر، وقيل أصله أوان، بمعنى زمان، ولما أريد تعيينه للزمان الحاضر لازمته لام التعريف بمعنى العهد الحضورى، فصار مع اللام كلمة واحدة ولزمه النصب على الظرفية، والوقت المستحضر بقوله "الآن" هو زمن نزولها وهو الوقت الذي علم الله عنده انتهاء الحاجة إلى ثبات الواحد من المسلمين للعشرة من المشركين، بحيث صارت المصلحة في ثبات الواحد لاثنتين، لا أكثر رفقاً بالمسلمين واستبقاء لعدددهم.

"ضعفًا" جاءت نكرة للتبويح إما أن يكون الضعف في عموم الجسد أو في بعضه، ضعف الرهبة من لقاء العدو الكبير في قلة فيكون ضعف في البدن والجسم أو في الرأي والعقل، لذلك أوجب التخفيف في التكليف (٤).

### ثانياً: التفسير الإجمالي:

اقتضت رحمة الله بعباده لإعلاء كلمته في الأرض ونصرة دينه، وإظهاره على الدين كله، وذلك بتخفيف الحكم عليهم، وهذه الآية بينت مدى قوة المؤمنين في ميزان الله تعالى، وأن الله يمتن عليهم بما جعل فيهم من الشجاعة الإيمانية حيث فرض عليهم في بداية الأمر أن الواحد لا يجوز له أن يفر من العشرة، والعشرة من المائة، والمائة من الألف، ثم إن الله خفف ذلك، فصار لا يجوز

(١) تفسير الكشاف، للزمخشري، (م٢، ص٤٢٦).

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين النيسابوري، (ص٤٣٣).

(٣) تفسير البغوي، (م٢، ص٢١٩)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص٧١)، والكشاف، للزمخشري، (م٢، ص٤٢٦).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص٦٩).



فرار المسلمين من مثلثهم من الكفار<sup>(١)</sup>، فرجع الله ﷻ عنهم ما فيه مشقة عليهم لأنه علم ضعفهم فخفف عنهم، ورحمهم في أمر القتال، وحثهم على الالتزام بالصبر، ورغبهم بالثبات وزيادة الإيمان والصبر لأن هذه العوامل من أسباب النصر، وبشرهم بالنصر، أي أن الله ناصرهم وهو معهم بالحفظ والرعاية والنصرة إن كانوا صابرين، مخلصين، صادقين ومن كان الله معه فهو الغالب بعون الله وتأييده ومعيته<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- رحمة الله واسعة: الله ﷻ دائماً وأبداً رحيم بعباده المؤمنين المخلصين الصادقين، وخاصة عند قتالهم لأعدائهم أعداء الله والدين، والمنهج القويم، حيث كان ذلك واضحاً، عندما دعا المؤمنين إلى الجنوح إلى السلم وإن أراد العدو الغدر بهم فهو سبحانه حسبهم وحافظهم وكافيهم من كل شر، ثم وعدهم بتأييده ونصره لهم، وفي هذه الآيات عندما حرضهم على القتال بين لهم أنهم الفئة المنصورة بإذن الله، وثبتهم وثبت قلوبهم على الثقة والطمأنينة بأن النصر حليفهم بقوة ومشينة الله رغم قلة عددهم وعتادهم، ثم جاءت رحمة الله بهم متكررة دائماً وأبداً حيث بين الله سبحانه مدى معيته وحبه ونصره لأوليائه الصالحين الصادقين الصابرين، وخفف عنهم الحكم كما جاء في الآيات تدريجياً لبيان مدى رحمة وعظمة الله بعباده الموحدين الطاهرين الصابرين فبعد أن كان ميزان القوى أن يتصدى الواحد للعشرة وشق عليهم ذلك أصبح ميزان القوى أن يتصدى الواحد للاثنتين وهذه حقيقة من تقدير قوة المؤمنين في مواجهة عدوهم في ميزان رحمة الله العلي القدير، القوي العزيز الذي أراد بهذه الحقيقة أن تطمئن قلوبهم، وتثبت أقدامهم وتكون الغلبة والنصرة لهم أمام قوى الباطل العاجزة أمام قدرة وقوة ورحمة الله تعالى بعباده، حيث يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ \* وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلٌ أَعْمَاهُمْ ﴾ [محمد: ٧-٨] ، وقال عز من قائل: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ٤]<sup>(٣)</sup>.

٢- التأييد والنصرة للمؤمنين: كان التأييد والنصرة والغلبة للمؤمنين، الصابرين، الصادقين لأنهم عرفوا طريقهم، وغايتهم، وعرفوا أنهم - الأمة المسلمة - المهتدية بهدي الله، المنطلقة في

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن السعدي، (ص ٣٢٦).

(٢) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٧٧).

(٣) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٥٠).

الأرض بإذن الله لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، وأنها هي المستخلفة عن الله في الأرض لتُعَلِّي كلمة الله وتجاهد في سبيل الله لإظهار الحق والعدل، ولتعمُر الأرض بالحق، وتحكم بين الناس بالقسط، وتقيم في الأرض مملكة الله التي تقوم على العدل بين الناس<sup>(١)</sup>، لذلك كانت سنة الله في الدعوات إلى يومنا هذا كما نرى أن التأييد والغلبة والنصرة تكون دائماً للإسلام وبالإسلام ومع الإسلام رغم القهر والتعذيب والحصار والتكذيب والافتراء على الإسلام وأهله إلا أن الله ﷻ دائماً مع الإسلام وأهله يرفع لواءه ويُعَلِّي شأنه.

٣- توازن الرعب والردع: بعد قراءتي وتتبعي للآيات الكريمة ومقاصدها، استنتجت أن الله ﷻ عندما أمر المؤمنين الطاهرين بالإعداد والاستعداد الجيد لقتال الفاسدين في الأرض بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِبُونَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، بدأ يُعدهم الإعداد الجيد، لإرهاب العدو وبدأت بذلك تتعادل موازين الرعب والردع وهذا ما رأيناه من خلال جهاد النبي ﷺ في بدر وغيرها من الغزوات ومن خلال تتبع سيرته ﷺ، وكيف علم المسلمين اليوم دروس في التخطيط، والاستعداد الجيد، والأخذ بالأسباب، ثم التوكل على الله بالدعاء والثبات والصبر، ومن هنا يأتي النصر بإذن الله، وها هو التاريخ يُعيد نفسه، ونرى اليوم أن موازين الردع والرعب للعدو الصهيوني الغاشم على أرض فلسطين قد تحققت بفضل الله ﷻ أولاً، ثم بفضل المجاهدين الطاهرين المرابطين الصابرين، القاهرين لعدوهم وذلك بالإعداد والتحضير والتصنيع والتكتيك العسكري الجيد، كما أمرهم الله ﷻ، وكما تعلموا من معلمهم الأول محمد ﷺ<sup>(٢)</sup>، حيث بعد أن أعدوا الحجر والسكين والزجاجات الحارقة، الآن يصنعون مجدهم ونصرهم وعزهم بصناعة الصواريخ والطائرات التي دخلت عقر العدو الغاشم، وهزت كيانه، وعادلت موازين الرعب والردع من جديد، وعَلَّمَ مجاهدو غزة العالم أجمع بأن الجيش الذي طالما تغنى بأنه الجيش الذي لا يقهر، قهرته غزة العصية على الغزاة دائماً وأبداً، وقهرته جنود غزة الميامين وأثبتت للعالم أن الحقوق والمقدسات والأرض لا تُسترد إلا بالقوة، وقوة المقاومة الفلسطينية في غزة العزة قهرت الجيش الصهيوني الجبان بإمكانياتها المتواضعة أمام أعتى وأقوى سلاح الدمار الشامل، ورغم ذلك كله انتصرت غزة وما زالت تنتصر على أيدي سواعدها الأبطال الذين ما زالوا يجهزون للعدو مفاجآت جديدة تحطم كل معاني التخاذل، والضعف والهوان، وترسم

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٥٠).

(٢) قضايا إسلامية معاصرة على بساط البحث للدكتور يوسف القرضاوي، ص ١٨-١٩، وفرسان الشهادة، لإسلام

ناصر، ص ١٢، ومنهاج المسلم، لأبي بكر الجزائري، ص ٢٧١.

معادلة جديدة في موازين الرعب والردع للعدو، وقرر الله سبحانه ذلك بأن المائة منهم تغلب مئتين والألف يغلب ألفين وهذا يُبين مدى قدرة وعظمة الله ﷻ ومدى نصرته وتأيبده، ودعمه للإسلام وأهله في كل عصر وحين.

٤- **النصر مع الصبر:** أكد الله ﷻ في هذه الآيات الكريمة على أهمية قيمة التحلي بالصبر وأن الصبر يُعد عاملاً أساسياً من عوامل الانتصار في المعارك والحروب وكرر الصبر عدة مرات في هذا المقطع من الآيات الكريمة ليؤكد على أهمية التخلق بهذه الصفة الرائعة، صفة الأنبياء، فالصابرون مع الصديقين والأنبياء يوم القيامة وحسن أولئك رفيقاً كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩]، وجعل الصبر شرطاً للنصر والغلبة فمرة قال تعالى: ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٥] ، ومرة قال ﷻ: ﴿ فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٦] ، ثم ختم الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٦]، فهذا يؤكد لنا جميعاً كما بين تبارك وتعالى في الآيات الكريمة أن الصبر هي صفة المؤمنين، المخلصين، الموحدين، المرابطين، المنتصرين، بإذن الله على عدوهم وقاهرين له، وهذا درس عظيم يُعلم الشعوب والأمم المقهورة والمظلومة من حكامها الطواغيت، بأن يصبروا ويثبتوا على أرضهم، فإن الله مع الصابرين، وورد في الحديث الشريف عن أبي الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: ( لا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ فَإِذَا لَقَيْتَهُمْ فَاصْبِرُوا )<sup>(١)</sup>، وهكذا يؤكد النبي ﷺ في الحديث على أهمية الصبر، وأمر المسلمين بالصبر عند لقاء عدوهم، لأن الثبات والصبر وقوة الإيمان هي عوامل أساسية للنصر في الغزوات والمعارك، وهذا هو طريق الشهادة والجنة، فالجنة تحت ظلال السيوف الصادقة، المؤمنة، الصابرة، الثابتة على الحق وعلى إعلاء كلمة الله في الأرض<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر: ٥١].

(١) صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، كتاب الجهاد والسير، باب كراهية تمنى لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء، (ب، ٦، ح ١٧٤١)، (ص ٤٥٣).

(٢) جند الله ثقافة وأخلاقاً، سعيد حوى، (ص ١٥٢)، ومختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي، (ص ٢٦٨).

## المبحث السادس

مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٦٧-٧١)

### حكم الأسرى في الإسلام

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأسر بعد الإثخان في الأرض.

المطلب الثاني: أفضلية إسلام الأسرى عند الله من فديتهم.

المطلب الثالث: تحذير الأسرى من خيانة الرسول ﷺ.

## المطلب الأول

### الأسر بعد الإثخان في الأرض

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ \* لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٩] .

أولاً: التفسير التحليلي:

#### ١- مناسبة الآيات لما قبلها:

استئناف ابتدائي مناسب لما قبله سواء نزل بعقبه أم تأخر نزوله عنه فكان موقعه هنا بسبب موالاة نزوله لنزول ما قبله، أو كان لهذه الآية بوضعها في هذا المكان توقيف خاص، وهذه الآيات نزلت في قضية فداء أسرى بدر، وبيان ما وقع من تشريع خاص بقضية الأسرى<sup>(١)</sup>، بعد بيان مدى قوة وعظمة جيش الإسلام، وأنه يستمد القوة والغلبة من الله سبحانه القادر القوي، وأن النصر والعزة لأهل الصبر والثبات.

#### ٢- سبب النزول:

- سبب نزول قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾. قال مجاهد<sup>(٢)</sup>: كان عمر بن الخطاب يرى الرأي فيوافق رأيه ما يجيئ من السماء، وأن رسول الله ﷺ استشار في أسارى بدر فقال المسلمون بنو عمك أفدهم، قال عمر: لا يا رسول الله اقتلهم، قال: فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>.
- وقال ابن عمر: استشار رسول الله ﷺ في الأسارى أبا بكر فقال: قومك وعشيرتك خل سبيلهم، واستشار عمر فقال: اقتلهم، ففاداهم رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>، فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص ٧٢).

(٢) مجاهد: مجاهد بن جبر، مولى بني مخزوم، تابعي، ولد سنة ٢١هـ، مفسر من أهل مكة، قال عنه الذهبي: شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأل عنها، تنقل في الأسفار، واستقر بالكوفة، يقال أنه مات وهو ساجد، وكان ذلك في سنة ١٠٤هـ. ينظر: الأعلام، للزركلي، (م٥، ص ٢٧٨).

(٣) أسباب النزول، للواحيدي، (ص ١٩٨)، ولباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، (ص ٢١٨).

(٤) الرواية في المستدرک علی الصحیحین، للحاکم النیسابوری، برقم (٣٢٧٠)، (ج ٢، ص ٣٥٩)، صحیح علی شرط مسلم.

أَسْرَى حَتَّى يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ \* لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿[الأنفال: ٦٧-٦٩]﴾، وفي رواية أخرى قال أبو بكر: أهلك لعل الله يتوب عليهم، وقال عمر: كذبوك وأخرجوك فقدمهم فأضرب أعناقهم، حتى يعلم الله ﷻ أنه ليس في قلوبنا هودة للمشركين، فهوى رسول الله ﷺ ما قاله أبو بكر، فلما كان من الغد قال عمر: غدوت إلى النبي فإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وإذا هما يبكيان، فقال النبي ﷺ: أبكي للذي عرض عليّ من الفداء، لقد عرض علي عذابهم وأنزل الله ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ \* لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٨] (١).

وورد في روايات أخرى لما كان يوم بدر والتقوا وهزم المشركون وقتل فيهم سبعون رجلاً وأسر منهم سبعون رجلاً منهم العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، وكان العباس معه عشرون أوقية من الذهب، فطلب أن تكون له فداء من الأسر فرفض رسول الله ﷺ ونزلت فيهم الآيات: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ \* لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٨] (٢).

### ٣- المفردات الغريبة:

(يُنْخَنَ): أي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقبل حزيه، ويعز الإسلام ويستولي أهله، وأصله النخانة (٣).

والإثخان: هو القتل، والظهور على الأرض (٤)، ومنه قولهم: أثخنه الجراحات حتى تنقل عليه الحركة وأثخنه المرض إذا أثقله، فهو كثرة الجراح والقتل، ثم الأسر بفوز وقوة الإسلام بالغلبة والقهر (٥).

(١) أسباب النزول، للواحي، (ص ١٩٨)، ولباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، (ص ٢١٨).

(٢) أسباب النزول، للواحي، (ص ١٩٩)، ولباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، ص ٢١٨.

(٣) تفسير البيضاوي، (م ١، ص ٣٩٠).

(٤) فتح القدير، للشوكاني، (م ١، ص ٧٠٢).

(٥) تفسير الكشاف، للزمخشري، (م ٢، ص ٤٢٦).

#### ٤- القراءات:

- **لنبي:** فُرئت للنبي على التعريف بأنه شرع خاص بالنبي ﷺ<sup>(١)</sup>.
- **أسرى:** فُرئت أسارى بضم الهمزة وفتحها، والمعنى **الأسرى:** هم غير الموثقين عندما يُؤخذون، **والأسارى:** هم الموثقون ربطاً<sup>(٢)</sup>.
- **يُثخن:** فُرئت بالتشديد لبيان مدى القوة والشدة والغلظة مع الكفار والمبالغة في قتلهم وجراحاتهم<sup>(٣)</sup>.
- **أن يكون له:** قرأ الجمهور - بتحتية - على أسلوب التذكير، وقرأه أبو عمر، ويعقوب وأبو جعفر - بمثناة فوقية - على صيغة التأنيث لأن ضمير جمع التكسير يجوز تأنيثه بتأويل الجماعة<sup>(٤)</sup>.

#### ٥- البلاغة والنحو:

- **(تريدون عرض الدنيا):** استفهام إنكاري، ينكر حب المال، وسمي عرضاً لأن الانتفاع به قليل فأشبهه الشيء العارض الذي يؤخذ للاستمتاع به فقط، ولكن الله يحب للمؤمنين الصابرين الثواب وقوة الدين، ولا يريد لهم النفع الدنيوي.
- **جملة (والله عزيز حكيم):** عطف على جملة: **(والله يريد الآخرة)** عطفاً يبين أن هذين الوصفين يؤكدان على أنه يريد الآخرة فهو كالتعليل يفيد أن حظ الآخرة هو الحظ الحق، ولذلك يريده العزيز الحكيم<sup>(٥)</sup>.

#### ٦- الأحكام الشرعية:

١. لا يجوز أن يكون للنبي ﷺ أسرى قبل الإثخان في الأرض، وجاء العتاب من الله ﷻ لأصحاب نبيه ﷺ لأنهم هم من أشاروا عليه بأخذ الفدية، وكان الأولى يوم بدر قتل الأسرى الذين فودوا بالمال؛ لأن المسلمين كانوا يومئذ قليل، ولكن لما كثروا واشتد سلطانهم وقويت شوكتهم أنزل الله ﷻ في سورة محمد (القتال) حكم جديد بشأن الأسارى **(فإما مناً بعدُ وإما فداءً)**، فكان حقهم

(١) الكشاف، للزمخشري، (م٢، ص٤٢٦)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص٧٤).

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، (ص٤٣٦)، فتح القدير، للشوكاني، (م١، ص٧٠٠)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م٤، ص٤٠٢).

(٣) تفسير الكشاف، للزمخشري، (م٢، ص٤٢٦).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص٧٥).

(٥) المرجع السابق، (م٥، ص٧٤، ٧٥).

يوم بدر أن ينتظروا الوحي ولا يستعجلوا بأخذ الفدية وترك قتال صناديدهم وساداتهم الطغاة.

٢. أحل الله ﷺ الغنائم بعد أن كانت محرمة بقوله تعالى: (لولا كتاب من الله سبق) فهي كانت محرمة على من قبلنا، فلما كان يوم بدر أسرع الناس إلى الغنائم فأنزل الله ﷻ: (لولا كتاب من الله سبق) أي بتحليل الغنائم، ومغفرة الله لأهل بدر والعفو عنهم<sup>(١)</sup>.

٣. ظاهر الآية يبين أن الغنيمة كلها للغانمين، وأنهم مشتركون فيها على السواء، في قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩]، ولكن قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمُسَهُ...﴾ [الأنفال: ٤١]، بينت الآية وجوب إخراج الخمس منه وصرفه في الوجوه المعروفة والمذكورة سابقاً، وقد تقدم القول في هذا<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: التفسير الإجمالي:

الآيات الكريمة تناولت عتاب للنبي ﷺ وأصحابه على أخذ الفداء، والمعنى: لا ينبغي لنبي من الأنبياء أن يأخذ الفداء من الأسرى إلا بعد أن يكثر القتل ويبالغ فيه، ويستخدم الشدة والقوة والغلظة مع العدو حتى يتمكن منه، لذلك أخبر الله سبحانه أنه كان من الأولى يوم بدر قتل المشركين بدلاً من أسرهم وفدائهم، فإله يريد إعزاز دينه، وقتل أعداء الدين، ويريد ثواب الآخرة الدائم للمؤمنين بدلاً من الدنيا ومتاعها الزائل، فإله سبحانه عزيز في ملكه لا يقهر ولا يُغلب، حكيم في تدبير مصالح العباد، والله سبحانه سبق في علمه أنه سيحل لهذه الأمة الغنائم بعد أن كانت محرمة على سائر الأمم، وكتب أنه سيغفر لأهل بدر ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر، ولا يعذب المخطئ في اجتهاده، وإلا لأصاب المؤمنين عذاب عظيم في أخذهم الفداء من الأسرى، ولكنه بعد ذلك أصبح أخذ الغنائم حلالاً طيباً، وهذا من رحمة الله بعباده، ومغفرته لمن تاب من عباده بإباحة الغنائم لهم لأنهم خافوا الله ﷻ واتبعوا أوامره، وانتهوا عن مخالفة أمره<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

#### ١ - حق ترسيخ مبدأ الشورى في الإسلام:

وهذا ما فعله النبي ﷺ في قضية أسرى بدر، حيث إنه استشار أصحابه رضوان الله عليهم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الله بن رواحة، وغيرهم في هذا الأمر العظيم، عندما ورد عن أبي عبيدة، عن عبد الله قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: (ما تقولون في

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٤م، ص ٤٠٦).

(٢) المرجع السابق، (٤م، ص ٤٠٧).

(٣) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (ص ٤٧٨).



الأسارى؟) فقال أبو بكر: يا رسول الله، قومك وأهلك استبقهم واستتبهم لعل الله أن يتوب عليهم ... وقال عمر: يا رسول الله، كذبوك وأخرجوك فقدمهم فاضرب أعناقهم ... وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله أنت في واد كثير الحطب، فأضرم الوادي عليهم ناراً، ثم ألقهم فيه! فسكت رسول الله ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً، فأنزل الله ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُخَنِّ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧] (١).

وهذا يُعلم طواعيت اليوم من حُكَّام ورؤساء وملوك كيف يتعاملون مع شعوبهم، فهذا القائد الرباني العظيم محمد ﷺ يُعطي حق الشورى في كثير من القضايا في السلم والحرب ليعلم الأمة درساً عظيماً في ترسيخ مبدأ الشورى في الإسلام فهو حق للأمة.

## ٢ - حرية الاجتهاد وفق الضوابط الشرعية:

كانت غزوة بدر هي المعركة الأولى بين المسلمين والمشركين، وكان المسلمون لا يزالون قلة، والمشركون ما يزالون كثرة، وعندما أعز الله الإسلام بالنصر العظيم وأسروا منهم سبعون رجلاً، احتار رسول الله ﷺ ماذا يفعل معهم، ونادى أصحابه وشاورهم في قضية الأسرى، فاجتهد كل واحد منهم، وهذا يدل على فتح باب الرأي والاجتهاد فيما لا نص فيه، بشرط عدم مخالفة الشريعة، واستمع النبي ﷺ لأرائهم واجتهاداتهم حسب ما تقتضيه مصلحة الإسلام والمسلمين، ولكن رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان هو الرأي السديد في ذلك الوقت؛ لأن قتلهم لطمغة مشركين ومفسدين في الأرض، يكسر شوكة العدو، ويُقلل من عدد المحاربين للإسلام وهو ما زال في ضعف وقلة عدد، ويكسر كبريائهم ويعجزهم في معاودة المحاربة للإسلام والمسلمين، وهذا يُعد هدفاً عظيماً، لا يعدله المال مهما كانوا بحاجة إليه، لذلك عبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوة وصرامة وثبات وهو يقول: "وحتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هودة للمشركين"، لذلك وافق القرآن الكريم ما قاله عمر واجتهد فيه؛ لأنه كان يناسب الظروف الواقعية في ذلك الوقت بين المسلمين والمشركين، فكره الله ﷻ أن يكون حكم الفداء للأسرى بالمال في المعركة الأولى بينهم ليحق الحق ويبطل الباطل، لذلك عاتبهم الله ﷻ بقوله: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُخَنِّ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧] (٢).

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير، (ح ١٧٦٣)، باب (١٨) في الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، (ص ٤٥٩).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٥٢).

ونرى في عصرنا الحاضر وخاصة في صراعنا الدائم مع العدو الغاشم، المحتل لأرضنا ومقدراتنا، كيف يجتهد المجاهدون في حربهم لليهود الصهاينة وكيف يقدر علماء الإسلام متى نعقد هدنة معهم ومتى نتوقف، هل يجوز عقد اتفاقيات سلام مع هؤلاء الجبناء أم لا، وهكذا فهم يجتهدون حسب ما تقتضيه مصلحة الإسلام والمسلمين، ولكن لا تأخذهم الهوادة بهم، ولا يخافون في الله لومة لائم.

### ٣- حكم الغنائم في الإسلام:

بعد أن بين الله ﷺ أنه يريد الخير للمسلمين، ويريد لهم الآخرة والتجرد من الدنيا وما فيها من مال وغيره، من عرض الدنيا، وقدر لهم النصر والعزة والتمكين على أعدائهم، وسبق حكم الله ﷻ وقضائه بأن يغفر لأهل بدر ما يفعلون، فهو قاهر سبق قضاؤه فيهم ما كان يستحقه أخذهم الفداء من العذاب العظيم، وبعد ذلك حكم لهم الوهاب، القادر، العظيم بفضل كبير، فجعل ﷻ حكم غنائم الحرب حلالاً لهم - ومنها الفدية التي عوتبوا فيها - وكانت محرمة في الديانات السابقة قبلهم على أتباع الرسل، فهذا فضل عظيم ومنة كبرى أنعم الله بها عليهم، حتى يذكروا فضله ويرجعوا له، بالتقوى والتوبة والمغفرة<sup>(١)</sup>.

### ٤- مغفرة الله تعالى أعظم من كنوز الدنيا:

وهذا يتضح جلياً بعد إعلان الله تبارك وتعالى عن مغفرته لأهل بدر ما يفعلون، فواقهم العذاب العظيم، حيث قال تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٨] حيث ورد في معنى الكتاب السابق أنه مغفرة الله لأهل بدر ما تقدم أو تأخر من ذنوبهم، ودلالة ذلك ما قاله النبي ﷺ لعمر في أهل بدر: (وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)<sup>(٢)</sup>، وهذا يُعلمنا اليوم كمسلمين كيف نحمد الله ﷻ على نعمة الإسلام ليل نهار، وكيف نعود دائماً وأبداً إلى الله تعالى ونستغفره في كل صغيرة وكبيرة ونتوكل عليه ونلجأ له بالدعاء بأن يغفر لنا ولشعبنا ولأمتنا حتى يكتب لنا النصر والعزة والتمكين على أعدائنا، وكيف نتمسك بسيد الاستغفار، ويكون ورداً يومياً للفرد المسلم في حياته، فإذا كنا كذلك حتماً سوف يكتب النصر دائماً لأهل المغفرة والتوبة والاستقامة والصلاح.

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م٣، ص١٥٥٣).

(٢) رواه الإمام البخاري في المغازي، (٣٩٨٣)، باب (٩) فضل من شهد بدرًا، والإمام مسلم في فضائل الصحابة، (٢٤٩٤)، باب (٣٦) من فضائل أهل بدر، واللفظ له.

## المطلب الثاني

### أفضلية إسلام الأسرى عند الله من فديتهم

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٠] .

أولاً: التفسير التحليلي:

مناسبة الآية لما قبلها:

استئناف ابتدائي، وهو إقبال على خطاب النبي ﷺ بشيء يتعلق بحال سرائر بعض الأسرى، بعد أن كان الخطاب متعلقاً بالتحريض على القتال وما يتبعه، فكانت هذه الآية ترغيب لهم في الإسلام في المستقبل، لذلك قيل لهم هذا القول، حتى يكون لديهم محبة للإيمان، ثم ينالوا بها مغفرة من الله تعالى لهم (١).

سبب نزول الآية:

نزلت الآية في العباس بن عبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث وكان العباس أسير يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب كان خرج بها معه إلى بدر ليطعم بها الناس، وكان أحد العشرة الذين ضمنوا إطعام أهل بدر، وبعد أسره أخذت معه، حيث أخذها رسول الله ﷺ منه، قال: فكلمت رسول الله ﷺ أن يجعل لي العشرين الأوقية الذهب التي أخذها مني فداء، فأبى وقال: أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا، وكلفني فداء ابن أخي عقيل بن أبي طالب عشرين أوقية من فضلة، فقلت له تركتني والله أسأل قريشاً بكفي والناس ما بقيت، قال: فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل قبل خروجك إلى بدر وقلت لها إن حدث بي حدث في وجهي هذا فهو لك ولعبد الله والفضل وقنم، قال: قلت وما يدريك؟ قال أخبرني الله بذلك، قال: أشهد أنك لصادق وإني قد دفعت إليها ذهباً ولم يطلع عليها أحد إلا الله، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، قال العباس: فأعطاني الله خيراً مما أخذ مني، كما قال: لي عشرين عبداً كلهم يضرب بمال كبير مكان العشرين أوقية، وأنا أرجو المغفرة من ربي (٢).

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ٨٠).

(٢) أسباب النزول، للواحدي، (ص ١٩٩)، ولباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، (ص ٢١٩).

## البلاغة والنحو:

﴿لَنْ فِي أَيْدِيكُمْ﴾: الأيدي استعارة عن الملك، أي من في ملككم ووثاقكم<sup>(١)</sup>، كأن أيديكم قابضة عليهم<sup>(٢)</sup>.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾: عطف على قوله تعالى ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ فبين هذا العطف تفضيلاً في خصائص النوع، فكان الإيمان ثم مغفرة الله ﷻ وهو خير الآخرة المترتب على الإيمان بالله خير من مال الدنيا<sup>(٣)</sup>.

## القراءات:

"مِنَ الْأَسْرَى": قرأ الجمهور "الأسرى" بفتح الهمزة وراء بعد السين وقرأها أبو عمرو، وأبو جعفر "من الأسارى" بضم الهمزة وألف بعد السين<sup>(٤)</sup>.

## ثانياً: التفسير الإجمالي:

يُوجه الله ﷻ الخطاب للنبي ﷺ، ويقول له: يا أيها النبي قُلْ لهؤلاء الذين وقعوا في الأسر من الأعداء والمراد بهم أسرى بدر، إن يعلم الله في قلوبكم إيماناً وإخلاصاً، وصدقاً في دعوى الإيمان يؤتكم خيراً، أني يُعطيكم أفضل مما أُخذ منكم من الفداء، ويغفر لكم ويمحو عنكم ما سلف من الذنوب، فالله ﷻ واسع المغفرة، عظيم الرحمة لمن تاب وأناب، وكان من هؤلاء الأسرى العباس ﷺ عم النبي ﷺ، حيث تاب وأناب إلى الله تعالى، وصدق إسلامه، فتاب الله عليه، وأبدله خيراً مما أخذ منه ﷻ ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠] <sup>(٥)</sup>.

## ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- الإيمان يحمي صاحبه: الذي أراه وأستنتجه دائماً من نصوص القرآن الكريم وخاصة من هذه الآية الكريمة، أن الإيمان بالله تعالى دائماً يحمي الإنسان من العثرات ويحميه من شياطين الإنس والجن، يحميه من الدنيا وشهواتها، يحميه من أمراض القلوب المستعصية إلا بفضل

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص ٨٠).

(٢) الكشاف، للزمخشري، (م٢، ص ٤٢٧).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص ٨١).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص ٨١)، وتفسير البيضاوي، (م١، ص ٣٩٢)، وتفسير البغوي، (م٢، ص ٢٢١).

(٥) صفة التفسير، للصابوني، (م١، ص ٤٧٨).

ورحمة من الله تعالى كما أكرم مجموعة كبيرة من الأسرى، وأوقف فطرتهم للهدى، والخير، والصلاح والإيمان بالله تعالى، وفتح لهم نافذة الرجاء والأمل بمستقبل مشرق رحيم بهم يشيع فيه النور وبحياة كريمة في ظل حماية ورعاية الله تعالى لهم الذي وعدهم في هذه الآية الكريمة بالتوبة والمغفرة والرحمة فقال جل وعلا ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠] (١).

٢- صدق نبوة محمد ﷺ سبب من أسباب قوة الإسلام: دائماً وأبداً يظهر الله سبحانه وتعالى مدى صدق نبوة محمد ﷺ وتأييده له بالمعجزات الباهرة، والمواقف الكثيرة التي أيدته ﷺ وأكد عليها الله سبحانه في كتابه العزيز، كذلك في السنة النبوية المشرفة وكانت سبباً في الالتفاف حول الإسلام ومدى قوته وعظمتها، وهذا ما أثبتته قصة العباس ﷺ عم النبي ﷺ الذي نزلت في شأنه هذه الآية كما أوضحت من قبل، وورد في هذه القصة موقف يؤكد على مدى صدق نبوته ﷺ عندما سأل العباس عن المال الذي دفعته إلى أم الفضل وقال لها إن حصل لي شيء فهذا المال لبني الفضل فاندھش العباس ﷺ لما يرويه النبي لأن هذا الشيء ما أحد يعلمه غيره وأم الفضل، فهذا كان سبب في إعلان إسلامه صراحةً بين يدي النبي ﷺ ونطقه بالشهادتين، وكان هذا سبباً في مغفرة الله له، وقبوله رجلاً جديداً قوياً ينصر الإسلام وينتصر الإسلام به (٢).

وصدق الله ﷻ القائل: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩] ، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ \* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٣-٥] .

٣- التقوى وصلاح القلوب سبب في الرزق: مقصد رائع دللت عليه الآية الكريمة وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠] ، وهذا ما وعد الله به بعض الأسرى إن تابوا وأسلموا لله وصلحت قلوبهم، لأنه يعلم بحال سرائر قلوبهم بأنها تميل إلى الإسلام وإلى الخير الذي قصده ﷺ وهو الإيمان والعزم عليه، فإن آمنوا بعد فدائهم، سوف يؤتهم الله خيراً مما أخذ منهم من مال لفدائهم وكان منهم العباس ﷺ، وعقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث ابن عبد المطلب وقد فداهم العباس، وبعدها قال للنبي ﷺ تركتني أتكف قرياً وهذا بعد فقد كل أمواله في فدائه، وفي فداء

(١) يُنظر في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٥٣).

(٢) يُنظر: أسباب النزول، للواحيدي، (ص ١٩٩).

ابنا أخويه، ولكن بعد ذلك رزقه الله سبحانه الخير الكثير، ويسر له أسباب الثروة والعتاء من أموال الغنائم وغيرها، فقد أعطى رسول الله ﷺ العباس بعد إسلامه من فيء البحرين، من ثم سلمه ماء زمزم فكانت أعظم من كل مال، ثم أنعم عليه بالأفضل من المال ومن كنوز الدنيا وهو مغفرة الله سبحانه له والإيمان الذي لا يحصل إلا للمؤمن<sup>(١)</sup>، وهذا الدرس الذي يجب على كل إنسان تعلمه، أن التقوى وصلاح الإيمان هو سبب في النجاح والتقدم والفوز بالدنيا والآخرة حيث يقول ﷺ في ذلك: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وقال تعالى: ﴿أَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧].

### المطلب الثالث

#### تحذير الأسرى من خيانة الرسول ﷺ

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧١].

أولاً: التفسير التحليلي:

مناسبة الآية لما قبلها:

بعدما تحدث الله ﷻ في خطاب للنبي ﷺ متعلق بحال سرائر بعض الأسرى من ميلهم للإسلام، واصل الخطاب في هذه الآية الكريمة للنبي ﷺ بأن يبلغ الأسرى بأنهم لا يغلبون الله ورسوله وقد طمأن الله ﷻ نبيه ﷺ بهذه الآية الكريمة بأن الأسرى لو فكروا في الخيانة والغدر بعد عودتهم ورجوعهم إلى قومهم ونكثوا عهدهم وعادوا إلى القتال، فإن الله ﷻ سوف يُمكن المسلمين منهم مرة أخرى، وينصرهم عليهم، وهذا وعد من الله ﷻ كما ورد في هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

سبب النزول:

قال قتادة: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي السرح الكاتب حين ارتد ولحق بالمشركين وعن ابن عباس نزلت في العباس وأصحابه<sup>(٣)</sup>، حيث قالوا: لننصحن لك على قومنا وفُسرت

(١) يُنظر لتفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م، ٥، ص ٨١).

(٢) ينظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م، ٤، ص ٤٠٨)، ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير،

(م، ٢، ص ٥١٥)، يُنظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م، ٥، ص ٨١).

(٣) التحرير والتنوير، (م، ٥، ص ٨١).

على العموم وهو أشمل وأظهر، أنها نزلت في عموم الأسرى.

#### المفردات الغريبة:

"فَأَمَكْنُ مِنْهُمْ": أمكن بمعنى أقدر وهو إما مشتق من المكان أو من الإمكان بمعنى الاستطاعة أو المكانة بمعنى الظفر، وأمكنته جعلت له عليه قدرة وقيل بمعنى جَعَلَ، أي جَعَلَ له منه مكاناً أي مقراً، أي لن ينفلتوا من سطوة وقدرة المسلمين عليهم (١).

#### البلاغة والنحو:

"وإن يريدوا": أسلوب شرط، أي وإن يريدوا الأسرى خيانتك بنقض العهد والعودة إلى الكفر أو الشرك

بالله، وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله: ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧١] ، وتقديره: فلا تضرك خيانتهم أو لا تهتم بها، فإنهم إن فعلوا أعادهم الله إلى يدك كما أمكنك منهم من قبل (٢).

#### الأحكام الشرعية:

١- جواز إعطاء الأسير (الذي دخل في الإسلام حديثاً) والمحرر بالفدية مالا من الغنائم، ليقوى على التمسك بدينه ولا يُفنتن مرة أخرى، فيعود للكفر والشرك بالله، وهذا ما بينه الله سبحانه بعد ذلك في حكم مصارف الزكاة، عندما ذكر منهم (المؤلفة قلوبهم)، وهذا يشبه ما حدث مع العباس ؓ عندما أنفق كل أمواله في فداء نفسه وابنا أخويه يوم بدر، فعوضه الله حيث أعطاه النبي من الغنائم التي حصل عليها من البحرين، وأكرمه الله بعد ذلك بالمال الوفير، لأنه صدق في إسلامه ولم يخن الله ورسوله (٣).

٢- أن من تكلم بالإيمان في قلبه وبلسانه ولم يمض فيه عزيمة لم يكن مؤمناً، وهذا ما حصل من بعض الأسرى المشركين يوم بدر حيث تكلم قوم منهم بالإسلام ولم يمضوا فيه أو يعترفوا به اعترافاً جازماً وهؤلاء يريدون أن يقربوا من المسلمين ولا يعبدوا من المشركين فهذا لا يُعد مؤمناً، وإذا وُجد مثل ذلك من المؤمن كان كافراً إلا ما كان من الوسوسة التي لا يقدر على دفعها، فإن الله قد عفا عنها وأسقطها (٤).

(١) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م، ٥، ص ٨٢).

(٢) يُنظر: المرجع السابق، (م، ٥، ص ٨٢).

(٣) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م، ٤، ص ٤٠٩).

(٤) يُنظر: المرجع السابق، (م، ٤، ص ٤١٠).

٣- وجوب مقاتلة كل من يخون الله ورسوله: وهذا تبين من قول الله ﷻ ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ ﴾، إن خانوا الله ورسوله ومكروا بعد إطلاق سراحهم وعودتهم إلى أقوامهم وعادوا إلى محاربة الإسلام والمسلمين، فإن الله سبحانه لهم بالمرصاد ﴿ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾، أي سوف يمكن الله المسلمين من قتالهم مرة أخرى والقدرة عليهم ليحذروا المكر والخيانة لله ورسوله (١).

#### ثانياً: التفسير الإجمالي:

وجه الله ﷻ الخطاب للنبي ﷺ يخبره أن الأسرى، إن أرادوا خيانتك بما أظهروا من القول ودعوى الإيمان فقد خانوا الله من قبل، أي قبل غزوة بدر ففواك ونصرك الله عليهم، وجعلك تتمكن من رقابهم، فإن عادوا إلى الخيانة مرة أخرى فسيمكنك منهم، وينصرك عليهم فإن الله عالم بجميع ما يجري، ويفعل ما تقضي به حكمته البالغة (٢).

لذلك يحذر الله ﷻ من معاودة خيانتهم ومحاربتهم للإسلام ولكنه مع ذلك يطمئن النبي ﷺ بأنه منتصر عليهم، لأنهم تحت قبضة وقدرة الله تعالى فهو تكفل بكفائتهم ورد شرهم إن أرادوا الخيانة (٣).

#### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- الشرك يُعد خيانة لله تعالى: قال تعالى: ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧١] بينت هذه الآية مدى خطورة الشرك بالله، لأنه خيانة لله ﷻ، وخيانة للألوهية والربوبية، وخيانة للفطرة السليمة التي خلقنا الله ﷻ عليها، فحذر في هذه الآية أسرى بدر من العودة للخيانة والمكر والغدر وذلك بالعودة للشرك والكفر مرة أخرى، وبين لهم عاقبة خيانتهم بإيقاع العقاب بهم (٤)، حتى يكونوا عبرة لكل من يجرؤ على الاعتداء على الله ﷻ بعدم الإيمان به، أو إشراك معه غيره في العبادة، وذلك بمحاربة الإسلام والمسلمين وما نراه اليوم هو زمن الروبيضة الذي يُكذب فيه المؤمن، ويُصدَّق فيه المنافق، والذين يخونون الله والدين كثر في هذه الأيام، يعتدون على الدين، وعلى كلام الله، يُغَيِّرُونَ وَيُبَدِّلُونَ، ويتلاعبون

(١) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م ٤، ص ٤١١).

(٢) يُنظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٧٨).

(٣) يُنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص ٣٢٧).

(٤) يُنظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٥٤).



في نصوص الكتاب والسنة، على حسب أهوائهم وما يناسبهم ويناسب عداوتهم للإسلام والمسلمين، فليس لنا أن نقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل في مثل هؤلاء.

٢- **خيانة الله ورسوله من أبشع الجرائم:** أكد الله ﷻ في كتابه العزيز في كثير من الآيات القرآنية على تحريم الخيانة والغدر لله ورسوله واعتبر ذلك من أبشع الجرائم الخطيرة على الإسلام والمسلمين وحذر الله سبحانه في هذه الآية من خيانة الله ورسوله فقال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧١] فإن خانوا العهد مع الله ورسوله، فلينتظروا الحرب من الله ورسوله عليهم، وهذا عقاب كل من يخون ويغدر ويمكر بالإسلام ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ \* كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢٠-٢١] ، ورأينا كيف حارب الله ورسوله يهود بني قريظة عندما غدروا وخانوا ومكروا بعهد الله ورسوله، وهذه نتيجة كل غادر وحاقد على الإسلام والمسلمين<sup>(١)</sup>، فالיום نجد الخائنين والماكرين لدين الله كثر، اليهود الصهاينة المعادون للإسلام والمسلمين، الذين قالوا من قبل أن عزير ابن الله، والنصارى والصليبيين الحاقدين على الدين الذين اتخذوا رهبانهم أرباباً من دون الله، والمنافقون، والعلمانيون، والليبراليون، والملحدون، والشيعية، والشيعيون، وغيرهم الكثير من يخون الله والرسول والدين، ولكن الله سبحانه يرد عليهم جميعاً بقوله ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] .

٣- **اليقين بأن الله قادر على نصر دينه وأوليائه الصالحين:** أكد الله ﷻ في هذه الآية الكريمة أنه سوف يمكن المسلمين من النصر على أعدائهم فقال جل وعلى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧١] ، وهذا قانون إلهي من عند الله سبحانه أنه دائماً ينصر دينه وأوليائه، ويعز الحق وأهله، وبذل الباطل وطواغيته، وهذا القانون أكده الله في معظم آيات القرآن عامة، وفي سورة الأنفال خاصة، حيث أثبت أن الفتح والنصر المبين في بدر، هو بتأييد الله وعونه ونصرته، حتى يُعلمهم أخلاق الحرب، أن يحاربوا دون أن يغتروا أو يتكبروا رياءً وسمعة كما كانت تفعل العرب في الجاهلية، وإنما يجب أن يتوكلوا على الله سبحانه في كل أمر، ويطيعوه ويطيعوا رسوله ﷺ وابتعدوا عن الخيانة والغدر والمكر، فهذه دروس عظيمة تفرق بين حروب أهل الجاهلية ومبادئهم الفاسدة في الحروب، وبين قوانين التعامل في الحرب عند المسلمين، حيث تقوم على الأخلاق والقيم والمثل، وهذا يؤكد للدنيا

(١) يُنظر: الرحيق المختوم، للمباركفوري، (ص ٣٢٨).

كلها مدى عظمة وروعة الإسلام<sup>(١)</sup>.

وتُعد بدر وغيرها من الغزوات، دلالة على عظمة وقدرة الله ﷻ في تأييده، ودعمه، ونصره للفئة المؤمنة، على الفئة الباغية الظالمة وهذه هي سنة الله في الدعوات، من آدم ﷺ إلى يومنا هذا، حيث نجد في كل يوم اعتداء من هنا، واعتداء من هناك على الإسلام والمسلمين وعلى القرآن، وعلى النبي محمد ﷺ، ومع ذلك يُظهر الله الحق على الباطل، ويرجع فشل وهزيمة الأنظمة اليوم إلى غياب الأمانة والعدل والأمن، وانتشار الذل والظلم والقهر والغربة للشعوب، وتستبيح هذه الأنظمة الفاسدة العذر والخيانة بواسطة أجهزة أمنية فاسدة بعيدة عن الأمن والأخلاق والكرامة، ولكن وعد الله آتٍ بالتغيير والنصر والتمكين للإسلام والمسلمين<sup>(٢)</sup>.

---

(١) يُنظر: الرحيق المختوم، للمباركفوري، (ص ٢٥٠).

(٢) يُنظر: الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة القائد والداعية المجاهد، د. عاطف عدوان، (ص ١٧٥).

## المبحث السابع

مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٧٢-٧٥)

طبيعة العلاقات بين المجتمع المسلم والمجتمعات الأخرى

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: آصرة العقيدة بين المؤمنين.

المطلب الثاني: الولاية للمؤمنين في الإسلام.

المطلب الثالث: حكم التوارث على أساس الهجرة والقرباة.

## المبحث السابع

### مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٧٢-٧٥)

طبيعة العلاقات بين المجتمع المسلم والمجتمعات الأخرى:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ \* وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ \* وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ \* وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٢-٧٥].

## المطلب الأول

### آصرة العقيدة بين المؤمنين

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢].

أولاً: التفسير التحليلي:

١ - مناسبة الآية لما قبلها:

هذه الآية استئناف ابتدائي للإعلام بأحكام موالاتة المسلمين للمسلمين الذين هاجروا والذين لم يهاجروا، وعدم موالاتهم للذين كفروا، نشأ عن قول العباس بن عبد المطلب حين أسر ببدر أنه مسلم وأن المشركين أكرهوه على الخروج لبدر، ومعه مجموعة من الأسرى مثله لعلهم كانوا صادقين وعطفوا عليهم بعض المسلمين وظنواهم أولياء لهم، فأخبر الله المسلمين وغيرهم بحكم من آمن واستمر على البقاء بدار الشرك، وهذا له علاقة بما قبله حيث ما زال يتحدث عن أحكام الجهاد

والأسرى والولاية والنصرة<sup>(١)</sup>.

## ٢ - معاني المفردات الغريبة:

(هاجروا): أصل الهجرة الترك، واشتق منه صيغة المفاعلة لخصوص ترك الدار والقوم، والمهاجرة هجر البلاد، أي الخروج منها وتركها. وكانت الهجرة من أشهر أحوال المخالفين لقومهم في الدين، فقد هاجر إبراهيم عليه السلام، وهاجر لوط عليه السلام، وهاجر موسى عليه السلام بقومه، وهاجر محمد عليه السلام، وهاجر المسلمون، وتعد الهجرة مدح في الدين لأنها حباً لله ورسوله<sup>(٢)</sup>.

## ٣ - البلاغة والإعراب:

﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ﴾: الظرفية التي دلت عليها "في" ظرفية مجازية تؤول إلى معنى التعليل، أي: طلبوا إن تنصروهم لأجل الدين، أي لرد الفتنة عنهم في دينهم إذ حاول المشركون إرجاعهم إلى دين الشرك فانصروهم، و (عليكم النصر) من صيغ الوجوب، أي فواجب عليكم نصرهم، وقدم الخبر وهو (عليكم) للاهتمام به، (وأل) في النصر للعهد الذكري لأن (استنصروكم) يدل على طلب نصر، والمعنى: فعليكم نصرهم و(إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) استثناء من متعلق النصر، وهو أن الميثاق يقتضي عدم قتالهم، توفية بالوفاء بالعهد<sup>(٣)</sup>.

## ٣ - القراءات:

(ولايتهم): فُرى بالفتح عند جمهور القراء، والكسر عند حمزة، أي من توليهم في الميراث، ووجه الكسر أن تولي بعضهم بعضاً، كأنه بتولييه صاحبه يزاول أمراً وبيباشر عملاً<sup>(٤)</sup>.  
وورد أن الفتح أولى وأجود في المعنى، أي: ولاية النصر أو الميراث بين المهاجرين والأنصار، والمفسرين على أنها ولاية المؤازرة والمعاونة والنصرة دون الميراث، وورد أن قراءة الفتح والكسر وجهان متساويان مثل الدلالة فتح الدال وكسرها<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص٨٣).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (م٥، ص٨٤).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص٨٦).

(٤) ينظر: تفسير الكشاف، للزمخشري، (م٢، ص٤٢٨)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (م٢، ص٥١٦).

(٥) ينظر: حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة، (ص٤٦٢)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص٨٦).

#### ٤ - الأحكام الشرعية:

وجوب نصر المؤمنين حتى لو لم يهاجروا من أرض الحرب، ولكن بشرط أن لا يكون فيه نقض للعهود والمواثيق مع الكفار المحاربين لهم لقوله تعالى: ﴿فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ [الأنفال: ٧٢] (١).

#### ثانياً: التفسير الإجمالي:

هذا عقد موالاة ومحبة، عقدها الله بين المهاجرين والأنصار، بين الذين تركوا أوطانهم وهاجروا في سبيل الله، وبين الذين آووا رسول الله ﷺ وأصحابه وأعانوه في ديارهم وأموالهم وأنفسهم منهم أولياء بعض لكمال إيمانهم وتام اتصال بعضهم ببعض (٢).

وقال ابن عباس: أولياء بعض في الميراث حيث كانوا يتوارثون بالهجرة دون ذوي الأرحام، وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة انقطعت الهجرة وتوارثوا بالأرحام، وصار منسوخاً بقوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥] (٣)، والذين لم يهاجروا ولكن آمنوا ليس لهم ولاية، أي بالميراث حتى يهاجروا ولكن إذا استنصروا المؤمنين مثلهم في الدين وجب عليهم نصرهم، أي قتال من قاتلهم لأجل دينهم، ولكن بشرط أن لا يكون هناك عهداً بينكم وبين من يقاتلهم بترك القتال لتحريم نقض العهود والمواثيق، (والله بما تعملون بصير)، أي يعلم ما أنتم عليه من الأهوال، فيشرع من الأحكام ما يليق بكم فلا تخالفوه (٤).

#### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

#### ١ - بيان طبيعة العلاقات في المجتمع المسلم:

بيّن الله ﷻ طبيعة العلاقات في المجتمع المسلم، وبيّن الأحكام المنظمة لهذه العلاقات، والقاعدة التي ينطلق منها ويقوم عليها وهي أصرة العقيدة فلا تربطهم علاقات الدم، ولا علاقات الأرض ولا علاقات الجنس، ولا علاقات التاريخ، ولا علاقات اللغة، ولا علاقات الاقتصاد وليس هي قرابة أو وطنية أو قومية، وليست هي المصالح الاقتصادية، إنما هي علاقة العقيدة، وعلاقة

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٤م، ص ٤١٢).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ص ٣٢٧).

(٣) تفسير البغوي، (٢م، ص ٢٢٢).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص ٣٢٧).

القيادة، وعلاقة التنظيم الحركي، فالذين آمنوا وهاجروا إلى دار الإسلام، دار الهجرة متجردين من كل ما يمسكهم بأرضهم وديارهم وقومهم ومصالحهم، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والذين آوهم ونصروهم وارتبطوا معهم لعقيدتهم وقيادتهم في تجمع حركي واحد، أولئك بعضهم أولياء بعض، وهذا درسٌ للدعاة اليوم، وللمسلمين في كل أرجاء الأمة، بأن الإسلام دين عقيدة، يهجر كل صاحب هوى ويترفع عن المبادئ الأخرى لأهل الكفر والضلال، فالإسلام دولة ووطن أو حكومة وأمة وهو خلق وقوة، أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون، أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة، أو جيش وفكرة، وهو عقيدة صادقة وعبادة، وهو دين عظيم شامل<sup>(١)</sup>، وعقيدة راسخة قوية تُقدم الأهم على المهم تبعاً لميزان التوفيق بين المصالح والمفاسد وذلك بالحرص على درء المفاسد وجلب المصالح للإسلام والمسلمين، حسب الحاجات والطاقات، وهذا كله نتيجة الإيمان الفطري القوي، تلك أصرة العقيدة التي جمعت أبناء الأمة الإسلامية على كلمة واحدة، وقال ابن تيمية: (عقد الله سبحانه الموالاتة بين المهاجرين والأنصار وبين من آمن من بعدهم وهاجر إلى يوم القيامة، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه، والجهاد باقٍ إلى يوم القيامة)<sup>(٢)</sup>، لذلك انزع كل من نطق بالشهادتين في مكة من الولاء للأسرة أو العشيرة أو القبيلة، أو القيادة الجاهلية المتمثلة بقريش وأعطى ولأه للعقيدة الراسخة، عندئذٍ آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار على رابطة العقيدة التي قامت مقام رابطة الدم والنسب<sup>(٣)</sup>.

## ٢- منهج الإسلام في التعامل مع الذين لم يُهاجروا من المؤمنين:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ [الأنفال: ٧٢]، بينت هذه الآية الكريمة مقصد عظيم في سلسلة الدعوة الطويلة إلى الإسلام على مدار التاريخ البشري، وهي أن الحاكمية لله تعالى، لأن عكس ذلك يُعد شركاً، لذلك جاء الإسلام ليحرر العباد من حاكمية العباد إلى حاكمية رب العباد، من قيم وتقاليده وشريعة الجاهلية وسلطانها، إلى سلطان الله وحاكميته وشريعته وحده في كل شأن من شئون الحياة، فلا يجوز أن يكون منهج وسلطان، غير منهج الله تعالى الذي يحقق منهجاً كاملاً للحياة في داخل دار الإسلام وخارجها، لذلك لا يجوز لبعض المسلمين أن يكونوا تابعين للإسلام نظرياً دون تطبيق فعلي لمنهج الإسلام وقيادته، ويتبعون المنهج والتركيب العضوي للمجتمع الجاهلي ويتحركون طوعاً أو كرهاً له، بوعي

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٥٤).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية، (ص ٤٩).

(٣) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، م ٣، ص ١٥٥٨.

أو بغير وعي، ويدافعون عن كيان هذا المجتمع الجاهلي لأنهم تحت سيطرته، ويقومون بذلك بتقوية المجتمع الجاهلي لأنهم خلايا حية في كيانه تمده بعناصر البقاء والامتداد بدلاً من أن تُضعف هذا المجتمع وتقضي عليه، لإقامة المجتمع الإسلامي وينضموا للتجمع الجديد، تجمع الحق والقوة والعقيدة، المتمثلة بقيادة الرسول ﷺ، الذي يبني هذا المجتمع على أسس الحاكمية لله تعالى، لذلك يجب على كل مؤمن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله أن يخلع ولاءه من التجمع العضوي الحركي الجاهلي ومن قيادته سواء كانت دينية أو سياسية أو اجتماعية أو وطنية أو اقتصادية، وأن يحصر ولاءه في التجمع العضوي الحركي الإسلامي الجديد تحت قيادته المسلمة، لأن المجتمع المسلم لا يتحقق إلا بهذا وأفراده يعملون على تأصيل وجوده وتعميقه وتوسيعه، والدفاع عن كيانه ضد العوامل التي تهاجم وجوده وكيانه، ويقاومون كل من يعادي الإسلام ويعملوا على مكافحة ومقاومة وإزالة الوجود الجاهلي<sup>(١)</sup>.

والذي نراه اليوم في واقعنا الأليم أن الإسلام ينتشر نظرياً بين الناس، لا عملياً واقعياً، وهذا هو سبب ضعف الأمة الإسلامية اليوم، فلا يجوز خلط الحق بالباطل، والمداهنة لأهل الكفر والضلال، ولا يجوز مباركة أهل الطغيان من طواغيت الأرض، ولا يجوز جعل الإسلام وشريعته أداة لتقرير الفساد والظلم والطغيان في الأرض، وتميع الدين عند بعض المسلمين أدى إلى تمزيق الصف المسلم، وتمزيق وحدة الأمة، بسبب عدم هجرتها للفساد في الأرض<sup>(٢)</sup>.

### ٣- نصره المسلمين لكن دون التنازل عن العهود والمواثيق مع المعسكرات الأخرى:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢]، هذه الآية الكريمة توضح مقصد عظيم وهو عندما فتح الله للمسلمين دار الهجرة في المدينة، وبايعوا القيادة الإسلامية على الولاء المطلق والسمع والطاعة في المنشط والمكره، وحماية النبي والدين مما يحمون منه أموالهم وأولادهم ونساءهم وقامت الدولة الإسلامية بقيادة الرسول ﷺ على أساس العقيدة والدين لذلك أكد الإسلام على نصره المسلمين التي تربطهم رابطة العقيدة رغم أنهم لا ولاية لهم لأنهم ليسوا أعضاء في المجتمع المسلم ولكن إذا اعتدى عليهم عدو يقاوتهم في دينهم حتى يُفنتوا عن دينهم فيجب على المسلمين في دار الإسلام أن ينصروهم في هذه وحدها، على شرط أن لا يخل هذا بعهد من عهود المسلمين مع المعسكر الذي يحاربهم<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٥٧).

(٢) يُنظر: في المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير محمد الغضبان، (م ٣، ص ٥٦).

(٣) يُنظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٥٨).



فالمسلمون الذين أسلموا ولم يهاجروا من دار الشرك لا يتحمل المسلمون تبعاتهم ولا يدخلون فيما جروه لأنفسهم من عداوات، وقوله ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تحذير للمسلمين لئلا يحملهم العطف على المسلمين على أن يقاتلوا قوماً بينهم ميثاق وهذا تنويه بأهمية الوفاء بالعهد وعدم نقضه إلا بأمر صريح في انتهاء مدته أو مخالفته وظهور الغدر والخيانة منهم كما قال تعالى في ذلك: ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨] (١).

ولكننا نرى اليوم في واقعنا الأليم عكس مقصد هذه الآية الكريمة من بني جلدتنا، وأقولها للأسف من العرب المسلمين، كما شاهدنا في الربيع العربي كيف تتفسخ العلاقات بين العرب للوضع الجبري للطغاة الذين يكيّدون ليل نهار للإسلام وللمشروع الإسلامي، فتجد القتل والدمار والفساد بكافة أشكاله من قادة مسلمين ضد شعوبهم المسلمة، المضطهدة المقهورة المستضعفة في الأرض، ولكن حتماً سوف يُغيّر الله الحال كما وعدنا في كتابه بنصر الحق على الباطل أينما وُجد، ولا بد للربيع الإسلامي بأن يحل محل الربيع العربي الذي تصارع من أجل السلطة والنفوذ والمال كما هي عادة طواغيت الأرض، وأقول الأيام دُول، وحسبنا الله هو نعم المولى ونعم النصير.

## المطلب الثاني

### الولاية للمؤمنين في الإسلام

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾

[الأنفال: ٧٣].

أولاً: التفسير التحليلي:

مناسبة الآية لما قبلها:

هذه الآية بيان لحكم القسم المقابل لها في الآية السابقة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ [الأنفال: ٧٢] وذلك بأن الذين كفروا ليسوا بأولياء للمسلمين، حيث جاء النهي في نهاية الآية عن موالاتة المسلمين إياهم بقوله ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ أي إن لم تفعلوا قطع الولاية معهم تحدث الفتنة ويكثر الفساد في الأرض (٢).

(١) يُنظر: التحرير والتتوير، لابن عاشور، (٥م، ص ٨٧).

(٢) المرجع السابق، (٥م، ص ٨٧).

## سبب نزول الآية:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾ [الأنفال: ٧٣]، أخرج ابن جرير والسدي عن أبي مالك قال: قال رجل: نُورِثَ أرحامنا المشركين فنزلت ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>(١)</sup>.

## المفردات الغريبة:

أولياء بعض: فيها وجهان: أحدهما: بعضهم أنصار بعض، والثاني: بعضهم وارث بعض. فتنة في الأرض: أي بغلبة الكفار واختلاف الكلمة<sup>(٢)</sup>.

## النحو والبلاغة:

الأرض: التعريف بالأرض للعهد والمراد أرض المسلمين.

كبير: مستعار للشديد القوي من نوعه وذلك مثل قوله تعالى ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ لأن الكبير في حقيقته العظيم الجسم، ولكن هنا فساد كبير أي شديد قوي من نوعه، فإن المسلمين إذا لم يظهروا يداً واحدة على أهل الكفر، ضعف شأنهم وكُسِرت شوكتهم باختلافهم وتفرقهم وهذا فساد كبير<sup>(٣)</sup>.

## القراءات:

"كبير" قرئ "كثير" بالثاء دلالة على قوة الفساد لأن المسلمين ما لم يصيروا يداً واحدة على الشرك، كان الشرك كثيراً وظاهراً وفساداً زائداً<sup>(٤)</sup>.

## الأحكام الشرعية:

١- عدم جواز الولاية بين الكفار والمؤمنين لأن الكفار يتناصرون بدينهم ويتعاملون باعتقادهم، فهم أولياء بعض، حتى الكافرة قال العلماء: لو كان للكافرة أخ مسلم لا يجوز أن يُزوّجها إذ لا ولاية بينهما، ويُزوّجها أهل ملتها لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣]<sup>(٥)</sup>.

(١) لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، (ص ٢١٩)، وجامع البيان، للطبري، (ج ١٢، ص ٨٤)، رقم (١٦٣٤٣).

(٢) النكت والعيون، للماوردي، (م ٢، ص ٣٣٥).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ٨٨).

(٤) ينظر: الكشاف، للزمخشري، (م ٢، ص ٤٢٨).

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م ٤، ص ٤١٢).

٢- لا يجوز التوارث بين المسلم والكافر، فعن أسامة بن زيد عن النبي ﷺ قال: (لا يتوارث أهل ملتين، ولا يرث مسلم كافراً، ولا كافر مسلماً، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>، وفي الإمارة جاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم)<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: التفسير الإجمالي:

تؤكد هذه الآية الكريمة على أن الذين كفروا بعضهم أنصار بعض، فلا يناصرهم مؤمن، وإن لم يفعلوا المسلمين ما أمرهم الله به، تحدث فتنة عظيمة بقوة الكفر وضعف الإسلام، ومفسدة كبيرة في الدين والدنيا<sup>(٣)</sup>.

فذكرت الآية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ حكم الكفار أي هم في الكفر والضلال ملة واحدة فلا يتولاهاهم إلا من كان منهم ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي وإن لم تفعلوا ما أمرتم من تولي المؤمنين وقطع الكفار ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ أي تحصل في الأرض فتنة عظيمة ومفسدة كبيرة، لأنه يترتب على ذلك قوة الكفار وضعف المسلمين<sup>(٤)</sup>.

وكذلك الذين كفروا أولياء بعض من الإرث فلا يرث بينهم وبين المسلمين ولو فعلوا ذلك المسلمون وخالفوا وأمر الله تعالى في ذلك ولم يقطعوا الكفار ويقمعوهم تكن الفتنة والمفسدة العظيمة بقوة الكفر وضعف الإسلام<sup>(٥)</sup>.

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- الكفار أولياء بعضهم بعض: هذه الآية فيها درس عظيم للأمم والشعوب الإسلامية اليوم بأن تتوحد، وتتماسك ضد عدو الإسلام أينما كان وأينما وجد، لأن ملة الكفر واحدة، فلا يجوز أن

(١) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م٤، ص٤١٣)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (م٢، ص٥١٧٠)، والحديث أخرجه مسلم، (م٥، ص٥٩)، والبخاري، (م٨، ص١٩٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، (ب١، ح ١٨١٨).

(٣) ينظر: التفسير الوجيز ومعجم معاني القرآن العزيز، أ.د. وهبة الزحيلي، (ص١٨٧).

(٤) ينظر: صفوة التفسير، للصابوني، (م١، ص٤٧٩).

(٥) ينظر: تفسير الجلالين، لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، (ص١٨٧).

نعقد السلام معهم ونبيع الدين والعقيدة بعرض من الدنيا، فيجب أن نحافظ على إسلامنا العظيم، لأنه شرف الأمة وسبب نهضتها وقوتها لذلك من أسباب ضعفنا اليوم كمسلمين هو بسبب ضعف الأنظمة التي والت الكفار ووضعت أيديها في أيديهم وتدافع عن مشروعهم، سواء المشروع الصهيوني أو الأمريكي أو غيره، فملة الفساد واحدة، فالمجتمعات الإسلامية اليوم يشعر فيها المسلم بالاغتراب ولا يجد له نصيراً ضد الظلم والفساد والطغيان فأصبحوا هم وأهل الباطل سواء، في الاعتداء على الإسلام والمسلمين وسلب حقوقهم، وإذلالهم لأنهم ربطوا مصيرهم بأمريكا رأس الكفر والقهر والطغيان في المنطقة وكأن الحاكمة لأمريكا<sup>(١)</sup>، ولكن ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

٢- مخالفة القرآن والسنة مفسدة عظيمة في الأرض: هذا مقصد عظيم دعت له الآية الكريمة ﴿إِلَّا تَعْلَمُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ يتعلم منه كل حُكَّام الأرض اليوم وكل دعاة الحق الذين ينشرون العدل في الأرض بتعليم الناس تطبيق شرع الله وعدم مخالفته، لأن مخالفة أوامر الله ﷻ التي نص عليها في الكتاب والسنة يُعد مفسدة عظيمة للإسلام، فتضيع الدنيا ويضيع الدين، لذلك يجب علينا عدم موالاتة الكفار بأي شكل من الأشكال ولا نناصرهم في شيء في ملتهم وعقيدتهم الفاسدة، ولا نورثهم أموالنا وديارنا ومقدساتنا ونتخلى عن مبادئنا وثوابتنا من أجل إرضاء أهل الكفر بإظهار المحبة والرضا عن أفعالهم بل ويساعدوهم في الظهور على الإسلام والكيد له لأن ملة الكفر والفساد واحدة فقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، لذلك نجد دور الحكام العرب في هذه المرحلة، أنهم أوصلوا الأمة إلى واقع متردي لأن بعضهم حالف الصليبيين، وبعضهم حالف الصهاينة والأمريكان، وبعضهم مع الشيعة أو العلمانية أو الليبرالية أو غيرهم فملة الكفر واحدة، وهم بذلك خالفوا شريعة الله تعالى، وأفسدوا في الأرض بدلاً من أن يعمروها كما أمرهم، فهذه مفسدة عظيمة وفتنة في الأرض، ومن يطع أعداء الله سواء من اليهود أو غيرهم ويقويهم فهو منهم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، فأبي مخالفة لكتاب الله وأوامره واتباع أهل الكفر وموالاتهم تعد خيانة لله ولرسوله قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ

(١) يُنظر في كتاب الشهيد د. إبراهيم المقادمة، د. د. عاطف عدوان، (ص ١٧٤).

بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ [التوبة: ٨] <sup>(١)</sup>، فالكافرون الذين خالفوا الدين والفضيلة على اختلاف مللهم أمة واحدة ينبغي أن يروا منا وجهاً واحداً وفكراً واحداً، ألا وهو القرآن والسنة ولكن المسلمين اليوم أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، لأنهم يصارحون بأن نداء الإيمان والقرآن لا يعنيههم فلا يستمعون ولا يستجيبون لطاعته، فلا عودة لنا ولا نصر إلا بعودة الإيمان وتمكين الإسلام <sup>(٢)</sup>.

٣- **الموالة للحق وقطع الباطل:** إن الصراع بين الحق والباطل، صراع أزلي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالحق يمثل الإسلام والباطل تمثله القوى الأخرى المضادة، لذلك يؤكد الله ﷻ في هذه الآية الكريمة بأن الولاية تكون للمؤمنين في الإسلام، وأن أهل الباطل لا ولاية لهم، فأمرنا الله تعالى بقتال الباطل وأهله أينما كانوا، وأفسدوا فقال في كتابه العزيز ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ ﴾ [التوبة: ٢٩] ، لذلك لا تكون الولاية والنصرة والمحبة إلا بين المؤمنين الصادقين المخلصين أما أهل الباطل فلا نصرة لهم لأن أعداء الله على جميع أشكالهم لا يضمرون الخير للإسلام والمسلمين، فهم يعملون ليل نهار على تدمير الإسلام والكيد له ولأهله <sup>(٣)</sup>، لذلك نجد اليوم الإساءة للدين، والتحريف والتلاعب في بعض آيات القرآن وللأسف من بعض العمائم المحسوبة على الإسلام، ونجد الإساءة للنبي ﷺ تحدث أكثر من مرة، ونجد الهجوم الشرس على الإسلام وعلماء المسلمين الثقات، ونجد الحرب على الإسلام وأهله في كل مكان ونرى انتهاك حرمة الدين والمقدسات الإسلامية في القدس للأقصى وما يحدث حوله، وفي الخليل لحرم إبراهيم ﷺ، وتدمير المساجد في الضفة وغزة أو تدنيسها من قبل الصهاينة، فالحديث عن أهل الباطل وما يفعلونه بالإسلام والمسلمين من قتل وتشريد وتعذيب، حديث لا ينتهي لأن هذا صراع أزلي وطويل بين أهل الحق وأهل الباطل، لذلك يجب أن نعود للإسلام، ومنهج الإسلام ونعطي ولاعنا للحق وأهله حتى يأتي وعد الله لنا بالفوز والنصر والتمكين ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور: ٥٥] ، هذه الآية وعد كريم من الله للحق وأهله، أما أهل الباطل على كافة أشكالهم وألوانهم قال عنهم:

(١) يُنظر: كتاب الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة، د. عاطف عدوان، (ص ١٠٩).

(٢) يُنظر: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، (ص ١٣٩).

(٣) يُنظر: كتاب الشهيد د. إبراهيم المقادمة، د. عاطف عدوان، (ص ١٠٩).

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ \* وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسَادَةَ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥].

### المطلب الثالث

#### حكم التوارث على أساس الهجرة والقرابة

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ \* وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤-٧٥].

أولاً: التفسير التحليلي:

مناسبة الآيات لما قبلها:

مناسبة الآية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا...﴾ جملة معترضة بين جملة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا...﴾ وجاءت الواو اعتراضية للتنويه بالمهاجرين والأنصار وبيان جزائهم وثوابهم، بعد بيان أحكام ولاية بعضهم لبعض بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا...﴾ فهذه ليست تكرار للأولى وإن تشابهت ألفاظها فالأولى لبيان ولاية بعضهم بعض وهذه واردة للثناء عليهم والشهادة لهم بصدق الإيمان مع وعدهم بالجزاء.

وبعد أن منع الله ولاية المسلمين الذين آمنوا ولم يهاجروا، ونفى عن الذين لم يهاجروا تحقيق الإيمان، كانت هذه الآيات بياناً للتقسيم الذي بينته الآيات لأنها تناولت تقسيم المؤمنين الذين هاجروا، والمؤمنون الذين آمنوا بعد ذلك ثم هاجروا وتداركوا أمرهم بأن صاروا من المؤمنين المهاجرين وصاروا مثلهم في النصر والموالة والميراث، وكذلك بين أن ولاية الأرحام قائمة ومرجحة لغيرها من الولاية فلهم ولاية النسب والإيمان والنصرة والميراث مثبت في كتاب الله<sup>(١)</sup>.

سبب نزول الآية (٧٥) من الأنفال:

أخرج ابن جرير عن ابن الزبير قال: كان الرجل يُعاقد الرجل ترثني وأرتك، فنزلت ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ...﴾ [الأنفال: ٧٥]<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنظر: في التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٥م، ص ٩٢-٩٣).

(٢) لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، (ص ٢٢٠).

وأخرج ابن سعد من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال: آخى رسول الله ﷺ بين الزبير بن العوام وبين كعب بن مالك، قال الزبير: لقد رأيت كعباً أصابته الجراح بأحد، فقلت: لو مات فانقطع عن الدنيا وأهله لورثته، فنزلت الآية: ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ... ﴾ فصارت المواريث بعد للأرحام والقربات، وانقطعت المواريث بالمواخاة<sup>(١)</sup>.

وورد عن ابن عباس قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه وورث بعضهم من بعض حتى نزلت الآية ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ... ﴾ فتركوا ذلك وتوارثوا بالنسب<sup>(٢)</sup>.

### النحو والبلاغة:

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾: قصر الإيمان عليهم دون غيرهم ممن لم يُهاجروا وهو مقيد بالحال في قوله "حقاً" حال من المؤمنين، أي هم محققون للإيمان بالهجرة من دار الكفر.

﴿ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ ﴾: دخول الفاء على الخبر "فأولئك" لتضمين الموصول معنى الشرط لأنه جاء بمثابة جواب عن سؤال السائل عن جميع الأقسام التي استوعبتها الآيات سواء الذين آمنوا ولم يهاجروا أو آمنوا وهاجروا أو الذين آووا ونصروا، والذين آمنوا من بعد وهاجروا كل هذه الحالات "فأولئك منكم" وبذلك صار فعل "آمنوا" تمهيداً لما بعده، وشرطاً للقبول لأن الإسلام يجب ما قبله فقد صاروا منكم، أي من جماعتكم فلهم الولاية والنصرة معكم.

﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ ﴾: جاء لفظ "الأرحام" بالظاهر في اللغة أنه جمع رحم وهو قعر الولد في بطن أمه، فجعل المعنى في اللغة أنهم من القرابة الناشئة عن الأمومة، وهذا ما عليه جمهور المفسرين، ومنهم من جعل المراد العصابات دون المولود بالرحم، وقوله: "أولو" صيغة تفضيل لأن الولاية لذوي الأرحام أولى من الولاية بالنسب وثبتت في الكتاب دلالة على تأكيدها<sup>(٣)</sup>.

### الأحكام الشرعية:

١- حكم نسخ التوارث بالهجرة، ليصبح الميراث لذوي الأرحام من المؤمنين، وذلك بقوله تعالى: ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ [الأنفال: ٧٥]، فكانوا يتوارثون بالهجرة، وكان لا يرث من آمن ولم يهاجر فنسخ ذلك بقوله ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ ﴾ وصار الميراث لذوي الأرحام من

(١) لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، (ص ٢٢٠).

(٢) فتح القدير، للشوكاني، (م ١، ص ٧٠٤).

(٣) يُنظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ٩٠).

المؤمنين، ولا يتوارث أهل ملتين شيئاً وذلك في قوله ﷺ: (ألحقوا الفرائض بأهلها) (١) وهذا يعني بالمواريث (٢).

٢- قيل ليس هنا نسخ وإنما معناه لهم الولاية في النصرة والمعونة، وأما الميراث، انتقل لذوي الأرحام واختلفوا هل من العصبية فقط، والراجح حسب ظاهر الآية أن كل رحم قرب أو بعد يرث وقد اجتمع في التورث سببان سبب القرابة والإسلام فهم أولى ممن له سبب واحد وهو الإسلام (٣).

### ثانياً: التفسير الإجمالي:

يثني الله ﷻ في هذه الآيات الكريمة بالذكر والثناء على أهل الحق، أهل الصبر والثبات والتضحية من المهاجرين وكذلك أهل البر والإحسان والمحبة والترحم من الأنصار فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي المهاجرون الذين لهم السبق إلى الإسلام بالتضحية والفداء بكل ما يملكون ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا﴾ أي الأنصار أصحاب الإيواء والإيثار والمحبة والإخاء ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ أي هؤلاء هم الكاملون في الإيمان المتحققون في مراتب الإحسان، لذلك كتب الله لهم المغفرة لذنوبهم، والرزق الكريم في جناب النعيم فقال: ﴿حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وهذا تشريف وثناء على هؤلاء الأبرار الأطهار أصحاب دار النعيم، ثم يتحدث الله ﷻ على قسم آخر لحق بهم وهم الذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله، فحكمهم حكم المؤمنين السابقين في الثواب والأجر، لأنهم هاجروا بعد الهجرة الأولى فقال تعالى عنهم ﴿فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ أي لهم الولاية والمحبة والنصرة لأنهم صاروا منكم، ثم تناول موضوع الميراث وأكد عليه فقال ﴿وَأَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي أصحاب القرابات بعضهم أحق بإرث بعض من الأجانب في حكم الله وشرعه، وقال العلماء: نسخت هذه الآية الإرث بالحلف والإخاء، فكل ما شرعه الله فيه الحكمة والصواب والصلاح ولا يجوز لأحد مخالفة أمره وحكمه لأن الله قد أحاط بكل شيء علماً حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٤).

(١) صحيح مسلم، كتاب الفرائض (٢٣)، باب ألحقوا الفرائض بأهلها، رقمه (١٦١٥)، (ج ٣، ص ٢٣٣).

(٢) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م ٤، ص ٤١٢).

(٣) نفس المرجع السابق، (م ٤، ص ٤١٤).

(٤) يُنظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٧٩).



والآية الأخيرة من السورة انتهت ببراعة، وبيان مدى عظمة القرآن وإعجازه فإن قيل إن الآية فيها تكرار للآية التي سبقتها والتي تتحدث أيضاً عن المهاجرين يرد المفسرون بأنه لا تكرار حيث قسم الله المهاجرين إلى طبقات فكان بعضهم أهل الهجرة الأولى وهم الذين هاجروا قبل الحديبية، وبعضهم أهل الهجرة الثانية وهم الذين هاجروا بعد صلح الحديبية قبل فتح مكة، وكان بعضهم صاحب هجرتين هجرة الحبشة والهجرة إلى المدينة فالمراد من الآية الأولى الهجرة الأولى ومن الثانية الهجرة الثانية، ثم نهى السورة بنسخ التوارث بالهجرة ورد الميراث إلى ذوي الأرحام في حكم الله التي بينها في آية المواريث في سورة النساء ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي بأحوالكم وما يصلح لكم (١).

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- التأكيد على حقيقة الإيمان وجزاء من يتصف به: أكدت الآيات الكريمة على الإيمان وجعلته شرطاً للولاية والنصرة، فالإيمان ليست كلمة فقط ذات مشاعر قلبية باطنة وإنما الإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل، وعملت به الجوارح، فالعمل هو الدلالة الظاهرة للإيمان التي لا بد من ظهورها للعيان ليشهد له الوجود الفعلي لهذا الإيمان، فالقرآن والإيمان به والعمل بمقتضاه منهج عملي، لا منهج نظري معرفي فقط، لذلك وصف الله في هذه الآيات الكريمة المهاجرين والأنصار بأنهم حصلوا على درجات كمال الإيمان والإحسان فقال تعالى عنهم: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤]، فهذه صفات المؤمن الحق، الذي بيّن الله مكانته ودرجته في الجنة بأنه في دار النعيم، هم الذين تمسكوا بالإيمان قولاً وعملاً فاستحقوا هذا العطاء العظيم من الله ﷻ (٢).

ولكن اليوم في واقعنا نجد أن بعض المسلمين بلا إسلام، مسلموا الهوية فقط، فلا يعملون بأركان الإسلام، ولا أركان الإيمان، ونجد تميماً في تطبيق الإسلام والإيمان، يقولون عن أنفسهم مسلمون أو مؤمنون ولكن للأسف كلمة يقولها لسان، ومن ورائها واقع أليم يشهد شهادة ظاهرة بعكس ما يقوله اللسان، لذلك يؤخر الله ﷻ النصر، حتى يعودون إلى دينهم وإيمانهم كما أمرهم الله ﷻ ويسيروا على خطى المهاجرين والأنصار في التضحية والفداء من أجل نصرة هذا الدين العظيم.

(١) يُنظر: تفسير البغوي، (م ٢، ص ٢٢٣).

(٢) يُنظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٤٧٨).

فالدين والإيمان والعمل بما جاء في كتاب الله ليس منهجاً نظرياً وإنما منهج عملي عاماً لتحرير الإنسان ويواجه أعداء الإسلام بالجهاد والتضحية والصبر والفداء لتحطيم سلطان الطواغيت وتقرير سلطان الله تعالى، لأن الدين منهج حياة لا يتمثل إلا في وجود تجمع فعلي واقعي حركي<sup>(١)</sup>، وبذلك يكون وجود للأمة المسلمة الفاعلة مرة أخرى عند عودة المسلمين إلى إسلامهم وتطبيق شرعهم بالإيمان والثبات، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

٢- لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد وعمل: ولقد ظل شرط الهجرة قائماً حتى فتح مكة حسب ما ورد في الآيات الكريمة لكل من يلحق بالطبقة الأولى من المهاجرين المجاهدين، وإن كانت للسابقين درجاتهم، ولكن بعد أن دانت أرض العرب للإسلام ولقيادته وانتظم الناس في مجتمعه فلا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد وعمل، كما أكد على ذلك رسول الله ﷺ، وهذا إنما كان في الجولة الأولى للإسلام التي حكم فيها الأرض مائتين وألف عام تقريباً، لم ينقطع فيها حكم شريعة الله وسلطانه، ولكن اليوم وقد عادت الأرض للجاهلية، والبعد عن تطبيق شرع الله في الأرض، وعادت الحاكمية إلى طواغيت الأرض، يعيشون فيها فساداً ودماراً، فلا بد من أن تبدأ جولة جديدة أخرى للإسلام حتى تنتهي إلى إقامة دار الإسلام بالجهاد والعمل<sup>(٢)</sup>؛ لأن النبي ﷺ بعد فتح مكة بايع المسلمين على الإسلام والجهاد والخير، وفي الحديث عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا)<sup>(٣)</sup>.

٣- الإسلام منهج رباني في بناء المجتمع الإنساني: فنجد في بناء الفترة الأولى للمجتمع الإسلامي أحكامه الخاصة، وتكاليفه الخاصة في كل صورته وأشكاله، حيث قام الولاء في العقيدة مقام الولاء في الدم بكل مقتضياته، بما في ذلك الإرث والتكافل والديات والمغارم وغيرها، ولكن لما استقر الوجود الإسلامي بيوم الفرقان في بدر عدلت أحكام تلك الفترة الاستثنائية اللازمة لعملية البناء الأولى، ومن هذه التعديلات عودة التوارث والتكافل في الديات وغيرها إلى القرابة في إطار المجتمع المسلم في دار الإسلام فقال تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]، فكانت أولوية ذوي القربى وهذا يلبي جانباً فطرياً في النفس الإنسانية، فالإسلام بشموليته العظيمة يحافظ على المشاعر الفطرية ما دامت لا

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٦٠).

(٢) يُنظر: المرجع السابق، (م ٣، ص ١٥٦٠).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب المبايعات بعد فتح مكة، (ب ٢٠، ح ١٨٦٣)، (ص ٤٩١).

تتعارض مع تكاليف الوجود الإسلامي وهذا يُبين مدى ربانية الإسلام في تعامله مع البشر وأن له أحكامه وتكاليفه حسب طبيعة المرحلة <sup>(١)</sup>، وهذا ما يجب أن يفهمه المسلمون اليوم في واقعهم المعاصر ويطبقوا الإسلام كمنهج حياة ويحافظوا على الكيان الإنساني؛ لأنه كياناً فريداً كرمه الله ﷻ على سائر مخلوقاته وهذه كرامة الإنسان في التصور الإسلامي، وأقول للذين يمشون ضد التيار عودوا للإسلام، كفاكم طواغيت الأرض فساداً حاصرتم الإنسان المسلم في كل مكان وسلبتم منه أبسط حقوقه وهو العيش بكرامة في دار الإسلام.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٣م)، ص ١٥٦٠-١٥٦١).

## الفصل الثاني

### التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف النصف الثاني من الحزب التاسع عشر من القرآن (التوبة من الآية ١-٣٣)

ويشتمل على سبعة مباحث:

- المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (١-٦).
- المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (٧-١٢).
- المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (١٣-١٦).
- المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (١٧-٢٢).
- المبحث الخامس: مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (٢٣-٢٤).
- المبحث السادس: مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (٢٥-٢٨).
- المبحث السابع: مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (٢٩-٣٣).

## المبحث الأول

### مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (١-٦)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: البراءة من المشركين وعهودهم.

المطلب الثاني: الوفاء بالعهد لمن لم ينقضوا عهودهم.

المطلب الثالث: قتال المشركين بعد الأشهر الحرم.

## المبحث الأول

### مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (١-٦)

#### الأحكام النهائية في العلاقات بين المسلمين والمشركين في الجزيرة العربية عامة

قال تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الكَافِرِينَ \* وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ \* إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوا شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ \* فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١-٦].

## المطلب الأول

### البراءة من المشركين وعهودهم

قال تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الكَافِرِينَ \* وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ١-٣].

#### أولاً: التفسير التحليلي:

##### ١ - مناسبة الآيات لما قبلها:

وَضَحَّتْ مِنْ خِلَالِ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْأَنْفَالَ وَبِرَاءَةَ لَمْ يَفْصَلْ بَيْنَهُمَا بِالْبِسْمَلَةِ لِأَنَّ قِصَّةَ الْأَنْفَالِ شَبِيهَةٌ بِقِصَّةِ التَّوْبَةِ فَكَأَنَّهَا سُورَةٌ وَاحِدَةٌ، وَكَأَنَّ التَّوْبَةَ تَكْمَلُ مَا بَدَأَتْ بِهِ الْأَنْفَالَ<sup>(١)</sup>، فَحُورِ السُّورَتَيْنِ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص ١٠١).

## ٢ - سبب النزول:

نزلت السورة في غزوة تبوك، آخر غزوة غزاها النبي ﷺ وقول العلماء في سقوط البسملة من أولها على أقوال منها: أنه كان في شأن العرب إذا كان بينهم وبين أحد عهد فنذوه وكتبوا إليهم لم يكتبوا فيه بسملة يعني: باسمك اللهم، ومنها: أنها هكذا جاءت في المصحف الإمام - مصحف عثمان - فالترجم التابعون ذلك، وسئل عثمان ؓ عن عدم كتابتها في المصحف فقال: لقد توفي النبي ﷺ ولم يبين إذا كانت سورة براءة متصلة بسورة الأنفال أم لا، قال: فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فأعلن الله البراءة فمن خانوا وغدروا، لأن الأرض صارت لأهل الإسلام<sup>(١)</sup>، ولأن البسملة تعني الرحمة، وبدأت السورة بالبراءة من المشركين ولو كانوا أولي قربي، والبسملة تنافي البراءة من المشركين؛ لذلك لم توجد البسملة في صدر سورة التوبة؛ لأن الإحسان لا يتناسب مع السيف<sup>(٢)</sup>.

## ٣ - البلاغة:

﴿بَرَاءَةٌ﴾: جاء تنكير "براءة" تنكير التنويع، للإشارة إلى أن هذا النوع كاف في فهم المقصود. ﴿مِنْ﴾ الابتدائية و﴿إِلَى﴾ للانتهاء لما أفاده حرف "من" من معنى الابتداء، والمعنى أن هذه براءة أصدرها الله بواسطة رسوله إبلاغاً إلى الذين عاهدتم من المشركين، لأن المقصود إبلاغ ذلك الفسخ إليهم وإيصاله ليكونوا على بصيرة فلا يكون ذلك الفسخ غدراً<sup>(٣)</sup>.

﴿فَسِيحُوا﴾: الفاء للتفريع على معنى البراءة، وهذا فيه التفات لمن وجه لهم الخطاب ونكتة ذلك إبلاغ الإنذار إليهم مباشرة، وحقيقته أي سيروا في الأرض فترة الأشهر الحرم لحرمتها بأمن وأمان وهو تأجيل خاص بعد البراءة بدءاً من شوال وانتهاءً بمُحرم، وفي هذا الأمر إيذان بفرض القتال في غير الأشهر الحرم، وما دون ذلك الأشهر حرب بين المسلمين والمشركين<sup>(٤)</sup>.

## ٤ - القراءات:

قُرأت ﴿بَرَاءَةٌ﴾ بالنصب على قراءة عيسى بن عمر، ويعقوب أي اسمعوا براءة، والمعنى أن الله ورسوله برئاً من العهد الذي عاهدتم به المشركين، هذا للدلالة على أنه يجب نبذ عهود

(١) لباب النقول، جلال الدين السيوطي، (ص ٢٢١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م ٤، ص ٤).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ١٠٣).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ١٠٥، ١٠٦).

المشركين بسبب خيانتهم وغدرهم<sup>(١)</sup>.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أصل البشارة لما فيه حسرة، ولكن استعيرت هنا للإنذار بما هو سوء للتهكم<sup>(٢)</sup>.

عطف (رسوله) بالرفع عند القراء كلهم، وفيه معنى بليغ من الايضاح للمعنى مع الإيجاز في اللفظ تقديره أن: رسول بريء من المشركين، هذه نكتة قرآنية بليغة، وكانت هذه الآية سبب وضع علم النحو عندما سمع أعرابي رجلاً قرأها بالجر فقال الإعرابي: إن كان الله بريئاً من رسوله فأنا بريء منه<sup>(٣)</sup>.

## ٥- الأحكام الشرعية:

١. القياس أصل في الدين: وذلك لأن عثمان بن عفان ؓ وأعيان الصحابة لجئوا إلى قياس الشبه عند عدم النص، ورأوا أن قصة (براءة) شبيهة بقصة الأنفال فألحقوها بها، فإذا كان الله تعالى قد بين دخول القياس في تأليف القرآن فما ظنك بسائر الأحكام<sup>(٤)</sup>.

٢. جواز قطع العهد بين المسلمين وبين المشركين في حالتين: حالة تنقضي المدة بينهم فيؤذن المسلمون المشركين بالحرب، والإيدان اختيار، والثانية: أن نخاف منهم غدرًا، فننبذ إليهم عهدهم<sup>(٥)</sup>.

## ثانياً: التفسير الإجمالي:

بدأت الآيات الكريمة بالبراءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين، أي المشركين المعاهدين، أن لهم أربعة أشهر يسبحون في الأرض على اختيارهم آمنين من المؤمنين، وبعد الأربعة أشهر لا عهد لهم ولا ميثاق، وهذا لمن كان له عهد مطلق غير مقدر، أو مقدر بأربعة أشهر فأقل، أما من كان له عهد مقدر بزيادة على أربعة أشهر، فإنه يتعين أن يتم له عهده إذا لم يخف منه خيانة، ولم يبدأ بنقض العهد.

(١) تفسير البيضاوي، (م ١، ص ٣٩٤)، وفتح القدير، للشوكاني، (م ١، ص ٧٠٦).

(٢) المرجع السابق، (م ٥، ص ١١١).

(٣) المرجع السابق، (م ٥، ص ١١٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م ٤، ج ٨، ص ٥).

(٥) المرجع السابق، (م ٤، ج ٨، ص ٩).



وأُذِرَ اللهُ تَعَالَى الْمُعَاهِدِينَ فِي مَدَّةِ عَهْدِهِمْ أَنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا آمِنِينَ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَعْجِزُوا اللَّهَ وَلَنْ يَفُوتُوهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَوْفَ يَخْزِي كُلَّ مَنْ أَصْرَ عَلَى الشَّرْكِ، وَيَنْصُرُ الْمُؤْمِنِينَ وَهَذَا وَعْدُ اللَّهِ لَهُمْ، حَيْثُ أَمَرَ النَّبِيُّ مُؤَذِّنُهُ أَنْ يُؤَذِّنَ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، وَهُوَ يَوْمَ النَّحْرِ وَفِي يَوْمِ عَرَفَةَ، حَيْثُ وَقَّتْ اجْتِمَاعَ النَّاسِ مُسْلِمِهِمْ وَكَافِرِهِمْ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، أَنَّ يُؤَذِّنَ بِأَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ وَرَسُولُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَلَيْسَ لَهُمْ عَهْدٌ وَلَا مِيثَاقٌ فَأَيْنَمَا وُجِدُوا قَتَلُوا، وَقِيلَ لَهُمْ: لَا تَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِكُمْ هَذَا وَكَانَ هَذَا سَنَةَ تِسْعِ هِجْرِيَّةٍ، وَحَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأُذِنَ بِبِرَاءَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ رَغِبَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ بِالتَّوْبَةِ، وَرَهَبَهُمْ مِنَ الْإِسْتِمْرَارِ عَلَى الشَّرْكِ بِأَنَّهُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَقَادِرٌ أَنْ يَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَقْتُلُوهُمْ أَوْ يَأْسُرُوهُمْ أَوْ يَجْلُوهُمْ وَهَذَا فِي الدُّنْيَا، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَبُنُسُ الْقَرَارِ <sup>(١)</sup>.

وَجَاءَ الْإِعْلَامُ لَهُمْ بِالْبِرَاءَةِ عَلَى أَنْ يَتُوبُوا عَنِ الْكُفْرِ وَالْغِيِّ وَالضَّلَالِ وَيَرْجِعُوا إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَإِلَّا فَلَنْ يَعْجِزُوا اللَّهَ هَرَبًا مِنْ عَذَابِهِ، حَيْثُ جَاءَ الْحَدِيثُ عَنِ الْعَذَابِ بِالْبَشَارَةِ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِهْزَاءِ بِهِمْ وَفِي هَذَا وَعِيدٌ عَظِيمٌ لَهُمْ <sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- **الإسلام دين الأمان والسلام والرحمة:** سورة براءة نزلت بحد السيف و"بسم الله الرحمن الرحيم" أمان، فبراءة نزلت برفع الأمان <sup>(٣)</sup>، وهذا يدل على مدى سماحة وعظمة الإسلام، وأيضاً عندما قال تعالى: ﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ أمان حيث أعطاهم أمان لفترة معينة قبل إعلان الحرب عليهم، بحيث لو تابوا وأسلموا وتركوا البغي والضلال في الأرض فهذا أعظم أمان لهم من الله عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢- **حكم الإسلام في إمهال المشركين أربعة أشهر:** قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ٤١] ، لذلك بعد البراءة التي صدرت عن الله ورسوله ضد القوى الخائنة، جاءت سياسته المنصفة بحق المعسكرات الأخرى حيث أمهلهم أربعة أشهر للكف عن الظلم والبغي والضلال والشرك وبعدها الحسم بالحرب ضد قوم استباحوا الغدر والخيانة والظلم والقهر <sup>(٤)</sup>، فقد أعطى الإسلام مهاجميه مهلة قدرها أربعة

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ السعدي، (ص ٣٢٨).

(٢) صفوة التفسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٨٥).

(٣) النكت والعيون، للماوردي، (م ٢، ص ٣٣٧).

(٤) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، (ص ١٤١).

شهور لبروا رأيهم ويرجعوا عن خطتهم ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ...﴾ [التوبة: ٢]، والمعنى أن المهلة ليست عن ضعف فلا تتخذوا بقواكم المزعومة فعاقبة الغدر وخيمة، وقد أعلنت هذه المهلة يوم الحج الأكبر الذي يجمع العرب كلهم "المؤمن والمشرك" من له عهد ومن لا عهد له حتى يكون الأمر واضحاً كل الوضوح فلا عذر لأحد، وهكذا حكم الإسلام في تغيير مجرى الحرب في الإسلام، فالإسلام يُقرر بأننا المسلمين نسالم من سالمنا ونحارب من حاربنا، لأن الإسلام يرفض أن يقبل الدنية والذل والهوان وقرر بعد المهلة بأن لا يحجّن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان، قرار رائع حطم كل معاني الوثنية البهيمية، ومع ذلك كله يمهلهم الله لعلمهم يتوبوا قبل إنزال العقاب، وهذا هو النظام الإسلامي الذي لا يضاهيه أي نظام في العالم في معاملته وسياسته الشرعية في جميع المعاملات، دين الأمن والسلام والعد والوفاء بالعهد، وصدق العظيم القائل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: ١٠٨] (١).

٣- الإسلام واقع وتاريخ: الإسلام هو الذي أقر المثل العليا في التعامل مع المسلمين ومع غير المسلمين، فعندما أقرت سورة التوبة البراءة من المشركين وكان ذلك بعد غزوة تبوك ثمان للهجرة، وانتشار المرجفين في الأرض (٢)، القرار الحاسم في التاريخ وهو قتال كل من يتعدى على الإسلام والمسلمين، وكان أجله انسلاخ الأشهر الحرم شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، فالإسلام يقاقل قوى الظلم والبغي على درجة عالية من العقيدة والإخلاص في سبيل الله ومن أجل مرضاة الله تعالى، وهذا يكون في أعماق المسلمين دافعاً قوياً إلى مكافحة الشر بسبب الإخلاص والأخلاق الإنسانية الرفيعة والمسؤولية العظمى أمام الله وجزاء الأعمال حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكمم الذي بآيتمم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ [التوبة: ١١١] (٣).

٤- المنهج الحركي الإسلامي أقوى من أي منهج آخر: عندما أمهل الله المشركين أربعة أشهر لمن كانت عهودهم مطلقة، أو الناكثين لعهودهم، أو كان بعد انتهاء الأجل لمن كانت لهم

(١) ينظر في: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، (ص ١٤٢).

(٢) تفسير البغوي، (٢، ص ٢٢٥).

(٣) ينظر: نظام الإسلام العقيدة والعبادة، محمد المبارك، (ص ١٥٦).

عهود مقيدة، والهدف إنهاء العهود مع المشركين في الجزيرة العربية بإعلان البراءة المطلقة من المشركين وهذه هي العلاقات الحاسمة في تاريخ المنهج الحركي الإسلامي في كيفية تعامله مع المعسكرات الأخرى كالمشركين وأهل الكتاب، وتبين أنه لا يمكن التعايش بين منهجين للحياة بينهما اختلاف جذري عميق في الاعتقاد والتصور، والخُلق والسلوك، والسياسة والاقتصاد وغيرها الكثير، لذلك قرر الإسلام أن يقيم دولة الإسلام وفق نظامها ومنهجها الرباني المتفرد الذي يريد إقامة مملكة الله في الأرض التي تريد تحطيم كل منهج آخر يدعو للفساد والتدمير والانحلال الأخلاقي، وتريد القضاء على الغدر والخيانة ومن يمارسها ضد الإسلام والمسلمين، وهذا الأصل الشرعي الذي نادى به الآيات وهو محو بقية الشرك بالقوة بنذ عهود من لا عهود لهم ولا ذمة<sup>(١)</sup>، وهذا كما أرى أنه دين عظيم شامل ورائع وصالح لكل زمان ومكان وهذه القوة والعظمة استمدها من قوة وعظمة الله، وليس معنى أنه يقاتل بالقوة كل من يخون ويغدر ويخالف أنه يظلم أو يقهر كما يفعل طواغيت اليوم في أرض الله ومملكه، بل يدعو إلى السلام، ويهادن على الصلح ويعطي فرصة لمن أراد أن يعود لشرع الله واتباعه كمنهج حياة، وما يحدث في أرض فلسطين اليوم مع اليهود الصهاينة من معاهدات صلح تؤكد أنهم لا عهد لهم ولا ذمة، وكذلك المنافقين الطابور الخامس كلما يتفقوا على الصلح والوحدة والعودة لله وللحق نبذ فريق منهم ويفعلون عكس ما يقولون وكأن التاريخ يعيد نفسه، ولكن هذا الإسلام بمنهجه الراقى يتعامل بثبات ووضوح برجوعه إلى نصوص الكتاب والسنة فهو منهج هداية يتيح لهم مهلة لا لمجرد أنه ضعيف ولا يقدر عليهم، كما هو الشأن في العلاقات الدولية ولا يزال، ولكنه يمهلهم للتروي والتدبر، واختيار الطريق الأقوم لعلمهم يستمعون ويستجيبون لنداءات الحق<sup>(٢)</sup>.

## المطلب الثاني

### الوفاء بالعهد لمن لم ينتقضوا عهودهم

قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَهُمْ وَلَا يَطَّاهَرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤] .

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م٣، ص ١٥٨٦).

(٢) في آفاق التعاليم، سعيد حوى، (ص ٣٠)، وينظر في: على درب حذيفة بن اليمان من سلسلة الوعي الإسلامي، إسلام ناصر، (ص ٥٨).

## أولاً: التفسير التحليلي:

### ١ - مناسبة الآيات لما قبلها:

بعدما تناول تبارك وتعالى الحديث عن البراءة من أهل الشرك بأن لا عهد لهم، ولا ذمة، وأن الله رسوله بريء منهم لخيانتهم ونقضهم للعهود والمواثيق، جاء الحديث في الآية التالية عن استثناء من حكم نقض العهد، والإنذار بالقتال وذلك لمن أتموا عهودهم وياقون على حرمة عهدهم وعلى السلام معهم بقوله ﴿ فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ أي الوفاء بما عاهدوا عليه مع المسلمين لأنهم لم يكيدوا للمسلمين بكيد ولم يظاهروا عليهم عدواً سراً، لذلك أمر الله بعدم نقض عهدهم إلى المدة التي عاهدوا عليها، لأنهم احتفظوا بعهدهم مع المسلمين ووفوا على أتم وجه، وهذا من التقوى امتثالاً لشرع الله تعالى (١).

### ٢ - أقوام شملتهم الآيات:

استثنى الله ﷻ من مدة التأجيل بأربعة أشهر المعاهدين المشركين الذين لم ينقضوا المسلمين شيئاً من شروط العهد مثل قوم بني ضمرة وبني كنانة (٢)، وحيان وهم من بني كنانة: بنو جذيمة، وبنو الديل، وهم ممن دخلوا في عهد الحديبية (٣).

### ٣ - معاني المفردات:

﴿لَمْ يُظَاهِرُوا﴾: المظاهرة: المعاونة مشتقة من الظهر، والظهير المساند والمساعد، أي صلب الإنسان أو البعير، لأن الظهر قوة الإنسان في المشي والتغلب، وقوة البعير في الرحلة والحمل (٤).

**البلاغة:**

**المظاهرة:** صيغة مبالغة ومثله المعاوضة مشتقة من العضد، والمساعدة من الساعد وكلها أعضاء عمل، ويجوز أن تكون من الظهور ضد الخفاء وتأتي بتعدي حرف (على) للاستعلاء المجازي فتدل على المعاونة والاستعلاء بالقوة (٥).

(١) ينظر في: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م، ٥، ص ١١٢).

(٢) التفسير الوجيز ومعجم معاني القرآن العزيز، وهبة الزحيلي، (ص ١٨٨).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م، ٥، ص ١١٢).

(٤) المرجع السابق، (م، ٥، ص ١١٣).

(٥) المرجع السابق، (م، ٥، ص ١١٣).

#### ٤ - القراءات:

﴿لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَكُمْ﴾ فُرئت "لم ينقضوا عهدكم" بالضاد معجمة أي لم ينقضوا عهدكم<sup>(١)</sup>، وهذه على قراءة عكرمة وعطاء بن يسار وفيها دليل أنه كان من أهل العهد من ثبت على عهده ولم ينقضه<sup>(٢)</sup>.

#### ثانياً: التفسير الإجمالي:

أن الله ﷻ يبين قواعد التعامل مع المعسكرات الأخرى وذلك أنه استثنى في هذه الآية الكريمة ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي إلا الذين عاهدتموهم ولم ينقضوا العهد فأتوا إليهم عهدهم وهو استثناء بمعنى الاستدراك أي لكن من وفى ولم ينكث فأتوا عليهم عهدهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر لأنهم لم ينقضوا من شروط الميثاق شيئاً ولم يعينوا عليكم أحداً من أعدائكم فيجب إذن الوفاء بالعهد كاملاً إلى مدته، فهذا من باب التقوى وإقامة شرع الله؛ لأن الله يحب المتقين لربهم الموفين لعهودهم كما فعل النبي ﷺ مع بني كنانة وغيرهم ممن حفظ لهم العهود والمواثيق<sup>(٣)</sup>.

#### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- **وجوب الوفاء بالعهد في الإسلام:** أكدت الآية الكريمة على وجوب الوفاء بالعهد، وتحريم نقض العهد مع من يحفظون العهود والمواثيق، وهذا ما فعله النبي ﷺ وأكد عليه بالاستقامة مع من يحفظ العهد مع المسلمين، وهذا هو المنهج الحركي للمجتمع المسلم الذي يؤكد عليه القرآن مراراً وتكراراً فهو أمر إلهي بالوفاء بالعهد للموفين بعهدهم وجعله عبادة لله له تعالى<sup>(٤)</sup>.

٢- **المسلم يتخلق بما يحبه الله ويرضاه منه:** المعاملات السياسية الدولية مع المعسكرات الأخرى كحفظ العهود والمواثيق جعلها الله عبادة وطاعة له فالوفاء بالعهد يُعد قاعدة من قواعد الأخلاق في الإسلام، فهي قاعدة الأخلاق وسلطان الأخلاق في الإسلام هو الطريق الذي يحقق منافع العباد ويؤمن مصالحهم وينشئ مجتمعاً رفيعاً يتخلق بأخلاق الإسلام فلا سياسة بلا أخلاق<sup>(٥)</sup>، والتساهل في شأن العقود والمواثيق بنقضها لا يعد من المروءة وهو عمل قبيح مرفوض في مبدأ التربية الإسلامية، فالغاية الكبرى التي تحكم جميع الغايات هي إحسان

(١) الكشاف، للزمخشري، (م٢، ص ٤٣٢).

(٢) فتح القدير، للشوكاني، (م١، ص ٧٠٩)، وتفسير البغوي، (م٢، ص ٢٢٧).

(٣) صفوة التفسير، للصابوني، (م١، ص ٤٨٥).

(٤) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م٣، ص ١٦٠١).

(٥) ينظر: المرجع السابق، (م٣، ص ١٦٠١).

العبادة والمحبة لله تعالى، فالتكاليف والمعاملات من شعائر التعبد إلى عمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني<sup>(١)</sup>.

٣- الاتفاقيات الهزيلة تضعف الإسلام: الإسلام شجع على العهد أو الصلح مع العدو لفترة محددة تكون لصالح المسلمين ولكن للأسف ما نراه اليوم في واقعنا الأليم سواء في فلسطين أو غيرها ما يوقعه العالم العربي المسلم مع غيره من الغرب من اتفاقيات وعهود لا جدوى لها ولا تحقق شيئاً للإسلام والمسلمين، ولكن للأسف تجلب الذل والعار على أمة الإسلام فمثال ذلك اتفاقيات فلسطين الهزيلة مع العدو التي خدمت العدو ولم تخدم الإسلام مثل اتفاقية أوسلو الهزيلة التي أضعفت الجهاد في فلسطين بحجة الإرهاب وأي عملية جهادية ضد العدو مرفوضة من المجتمع الدولي مع السلطة الفلسطينية التي وقعت الاتفاق الذي كان ضد مصالحها ومصالح شعبها المنكوب، المسلوب للحقوق، فكان مضيعة للوقت لأن الأسلوب الأساسي لتحرير فلسطين من الاحتلال لا يكون إلا بالجهاد ورفع راية الحق، لا باتفاقيات صلح هزيلة ومبادرات ومؤتمرات دولية لا تقدم ولا تؤخر<sup>(٢)</sup>، وللأسف ضعاف المسلمين اليوم ينجروا لمثل هذا وهذا كله من العولمة الآتية من الغرب الصليبي الذي يعتمد الأنظمة والمفاهيم العلمانية اللادينية، تريد أن نتخلى عن المبادئ والأخلاق والثوابت ونرضى بكل ما يقوله اليهود والنصارى ونخضع لهم ولمواثيقهم الكاذبة الغادرة فقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، فهم يريدون "استبعاد الإسلام وإقصاؤه عن الحكم والتشريع وعن التربية والأخلاق وإفساح المجال للنظم والقوانين والقيم الغربية المستمدة من الفلسفة المادية والعلمانية اللادينية"<sup>(٣)</sup>.

ويقول حسن البنا رحمه الله في ذلك: "إذا قويت روح الأمة بأخلاقها وجهودها، تصل إلى النهضة، ويقودها إلى النصر والعزة لا إلى الانهزام والخنوع"<sup>(٤)</sup>، فعلينا إذاً أن نتمسك بالعقيدة والجهاد في سبيل الله، ولا نخضع إلى اتفاقيات هزيلة تجر الأمم والشعوب من هزيمة إلى أخرى.

(١) ينظر: منهج التربية الإسلامية، محمد بن قطب بن إبراهيم، (م ٢، ص ٥٩٠)، في زاد الرواحل، الدائرة التربوية، (ص ١١٣).

(٢) ينظر في: حماس الفكر والممارسة السياسية، خالد الحروب، (ص ٢٦٧، ٢٦٩).

(٣) العولمة، د. صالح الرقب، (ص ٢٢، ٢٣).

(٤) ينظر: مقاصد القرآن الكريم: الإمام الشهيد حسن البنا، (ص ١١٦-١١٨).

## المطلب الثالث

### قتال المشركين بعد الأشهر الحرم

قال تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ\* وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٥-٦].

أولاً: التفسير التحليلي:

مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد الحديث عن البراءة من المشركين، جاء التحذير لهم بالقتل بعد الإمهال لهم أربعة أشهر ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ فهذه الآية تعتبر تفريع على قوله ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ...﴾ [التوبة: ٢] (١).

معاني المفردات:

"انسلخ" من انسلاخ الشهر أي تكامله جزءاً فجزءاً إلى أن ينقضي كانسلاخ الجلد عما يحويه ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧] (٢).

"والأشهر الحرم" هي الأشهر الأربعة رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد: هي شهور العهد فمن كان له عهد فعهدة أربعة أشهر ومن لا عهد له فأجله إلى انقضاء المحرم خمسون يوماً وسميت حرم لأن الله تعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم (٣)، فحرم سبحانه الجهاد والقتال فيها، وقال القرطبي: "خص الله تعالى الأربعة أشهر الحرم بالذكر، ونهى عن الظلم فيها تشريفاً لها، وإن كان منهيّاً عنه في كل الزمان" (٤).

"وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد" الأخيذ: الأسير أي وأسروهم، والحصر: الحبس أي حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام، ومرصد: أي أغلقوا عليهم كل ممر وراقبوهم لئلا يتبسطوا

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م، ٥، ص ١١٤).

(٢) ينظر: فتح القدير، للشوكاني، (م، ١، ص ٧٠٩).

(٣) تفسير البغوي، (م، ٢، ص ٢٢٧)، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، (م، ١، ص ٤١٥).

(٤) تفسير القرطبي، (م، ٨، ص ١٣٥).

في البلاد (١).

### النحو:

"أحدٌ" مرفوع بفعل الشرط مضمراً يفسره الظاهر، تقديره: وإن استجارك أحد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لأن إن من عوامل الفعل لا تدخل على غيره، والمعنى: وإن جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق، فاستأمنك لسمع ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن فأعطيه الأمان حتى يسمع الحق (٢)، وهذا حسن في "إن" وقبيح في أخواتها ومذهب سيئويه في الفرق بين (إن) وأخواتها، أنها لما كانت أم حروف الشرط خُصت بهذا (٣).

### البلاغة:

"فإذا انسلخ الأشهر الحرم": شبه مضي الأشهر وانقضاءها بالانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده فهو من باب الاستعارة (٤).

### الأحكام الشرعية:

١- وجوب الإمساك عن قتال المشركين الذين لا عقد لهم حتى ينسلخ الأشهر الحرم وعلى قول ابن عباس: مدة خمسين يوماً، لأن النداء كان به يوم النحر، وورد أنهم أربعة أشهر على قول مجاهد وغيره من العلماء، فقد حرم الله على المؤمنين فيها دماء المشركين أو التعرض لهم.

٢- يجوز قتل المشركين بأي وجه كان سواء كانوا أهل الكتاب أو عبدة الأوثان وهذا على عموم لفظ الآية (٥).

٣- قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ...﴾ [التوبة: ٥]، لا تتناقض مع حكم الأسرى والتعامل معهم في قوله تعالى: ﴿فَأِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤]، وورد أن الآيتين مُحْكَمَتَانِ فالأسر إما أن يكون للقتل أو الفداء أو المن.

(١) تفسير البيضاوي، (م ١، ص ٣٩٥).

(٢) تفسير الكشاف، للزمخشري (م ٢، ص ٤٣٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م ٤، ج ٨، ص ١٦).

(٤) صفوة التفاسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٨٩).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م ٤، ج ٨، ص ١٢-١٣).



- ٤- يسقط حكم القتل للمشركين بالتوبة إلى الله، ويقتضي زوال حكم القتل بعد أداء الصلاة والزكاة ودليل ذلك قول النبي ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) (١).
- ٥- يجوز إعطاء الأمان لمن سأل الإجارة من المشركين الذين أمر الله بقتلهم، حتى يفهم ويسمع كلام الله وأحكامه وأوامره ونواهيه ويقبله وإلا فرده إلى مأمنه إن رفض شرع الله ولا خلاف في ذلك، لأن الإجارة تكون فيما يعود بالمنفعة لصالح الإسلام والمسلمين (٢).
- ٦- يجوز نصب المنجنيق على الكفار، ورميهم بالحجارة والنار، وإرسال الماء عليهم، وبالرمي من رؤوس الجبال والتنكيس في الآبار لأن هذا من ضرورات القتال (٣).

### ثانياً: التفسير الإجمالي:

الآيات تؤكد أنه إذا مضت وخرجت الأشهر الأربعة التي حرم فيها قتالهم ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ أي اقتلوهم في أي مكان أو زمان من حل أو حُرْم، قال ابن عباس: في الحل والحرم وفي الأشهر الحرم ﴿وَحُدُّوهُمْ﴾ أي بالأسر ﴿وَاحْضُرُوهُمْ﴾ أي احبسوهم وامنعوهم من التقلب في البلاد، حتى يُضطروا إلى القتل أو الإسلام ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ أي اقعدهم لهم في كل طريق يسلكونه وارقبوهم في كل ممر يجتازون منه في أسفارهم، بإيصال الأذى لهم بالقتال أو الاغتيال ولكن إن تابوا عن الشرك وأدوا ما فرض عليهم من الصلاة والزكاة فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم لأن الله تعالى واسع المغفرة والرحمن لمن تاب وأناب، وإن استأمنك مشرك وطلب منك جوارك فأجره أي آمنه حتى يسمع القرآن ويتدبره، ويطلع على حقيقة الأمر، وما يدعو إليه التوحيد، وهذا غاية في حسن المعاملة وكرم الأخلاق، لأن المراد ليس النيل من الكافرين، بل إقناعهم وهدايتهم حتى يعرفوا الحق فيتبعوه، ويتركوا ما هم عليه من الضلال، ثم إن لم يُسلم فأوصله إلى ديار قومه التي يأمن فيها على نفسه وماله من غير غدر ولا خيانة لأن أمر الإجارة للمشركين لأنهم لا يعلمون حقيقة دين الإسلام، فلا بد من أمانهم حتى يسمعوهم ويتدبروا، لعلمهم يهتدوا إلى الإسلام (٤).

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة (١٣٩٩)، ورواه مسلم في الإيمان (٢١)، باب (٨)، الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٤م، ٨ج، ١٥ص)، والمغني، (١٠م، ٤٣٢ص).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٤م، ١٢ص)، ومغني المحتاج، (٤م، ٢٢٣ص).

(٤) صفة التفسير، للصابوني، (١م، ٤٨٦ص).

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- الواقعية الجديدة في منهج الإسلام: الإسلام هو حركة تواجه واقعاً بشرياً وتواجهه بكافة الوسائل المكافئة لوجوده الواقعي، فالإسلام منهج صالح لكل زمان ومكان، فهو يواجه جاهلية اعتقادية تصويرية، يواجه أنظمة ذات سلطات مادية، مخالفة للشرع، تواجه ذلك كله بالدعوة والبيان والتصحيح لهذه المعتقدات والتصورات الفاسدة، تواجه بالجهاد في سبيل الله، ولكن لا تستخدم القهر المادي، فهو منهج يتحرك لإخراج الناس من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده سبحانه، وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ...﴾، فالإسلام يستخدم وسائل ذات مراحل متجددة في التعامل مع المشركين، ولكن لا يخالف هدف الإسلام وهو إخلاص العبودية لله وحده، فلا مساومة ولا لين في ذلك<sup>(١)</sup>، قال ابن القيم: "المشركون يحبون أوثانهم وأصنامهم كما يحبون الله، وهذا هو محض الشرك الذي لا يغفره الله، ولا يتم الإيمان إلا بمعاداة هذه الأنداد، وبعضها وبغض أهلها ومعاداتهم ومحاربتهم"<sup>(٢)</sup>.

٢- الإسلام حركة ذات مراحل: نلاحظ في التعامل مع المعسكرات الأخرى مع غير المسلمين سواء كانوا أهل الكتاب، أم المشركين، فإن الإسلام يتعامل معهم وفق مراحل متعددة فالإسلام في واقعه الحركي ذات مراحل كل مرحلة لها وسائل مكافئة لمقتضياتها وحاجاتها الواقعية، وكل مرحلة تسلم إلى المرحلة التي تليها وهذا ما رأيناه في هذه الآيات الكريمة من البراءة إلى إمهال المشركين أربعة أشهر، وغيرهم ممن ليس لهم عهود موقوتة أو ممن لم يكن لهم عهود أصلاً، إلى التحديد أنه بعد انسلاخ الأشهر الحرم فالقتل أو الأسر أو المنع من الأمن حتى يعطوا الجزية، أو الإسلام فهذه أحكام شرعية مرنة ذات مراحل، هدفها هو تحطيم الطواغيت والأنظمة والقوى المادية الفاهرة الموجودة في كل زمان ومكان، والخضوع لسultan الله ﷻ والتحاكم لشرعه<sup>(٣)</sup>.

٣- الإسلام دين الرحمة والسلام والأمن والأمان: وهنا ما أستخلصه من خلال تتبعي للآيات ومدلولها، من إمهال المشركين فرصة ليعيشوا ويسيحوا في الأرض بأمان، إلى جواز الإجارة لهم بإعطائهم الأمن والأمان ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ...﴾، فالإسلام إذن لم ينتشر بحد السيف، والعنف، كما قال المغرضون والحاقدون وإنما يعطي فرصة، ويمهل، ويجير، ثم

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م٣، ص ١٥٧٩).

(٢) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، ابن القيم الجوزية، (ص ٢٥٤).

(٣) ينظر: في ظلال القرآن سيد قطب، (م٣، ص ١٥٨٠).

من يخالف ويحارب الإسلام، فالإسلام يحاربه، حيث قال تعالى في موطن آخر: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا...﴾ [الأنفال: ٦١] ، وقال: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ...﴾ [المتحنة: ٨] ، ولكن للأسف نجد اليوم أن الإسلام محارب ومضطهد من الحاقدين، المستشرقين، والعلمانيين، وغيرهم الذين يشكلون قوى معادية عالمية ضد مبادئ الإسلام وأخلاقه وتشريعاته فهذه شبهات يُعاني منها الإسلام إلى يومنا هذا، فالإسلام دين ودولة ويتضمن مبادئ للحكم والسياسة في نظامه السياسي ومنها يحدد العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين على قواعد السلم والحرب، ويشتمل على نظام للعقوبات لضمان تنفيذ هذه الأنظمة الأخلاقية والتشريعية معاً<sup>(١)</sup>، فهذا الدين العظيم إعلام لمن لا يعلمون، وإجارة لمن يستجبرون، حتى من أعدائه الذين شهروا عليه السيف وحاربوه وعاندوه، وهذا عكس الأنظمة الظالمة اليوم التي لا يأمن فيها من يخالفها ويخالف أنظمتها ومنهاجها، فلا يأمن فيها من يعيش وفق أوضاعها لا على نفسه ولا على ماله ولا على عرضه ولا على حرمة واحدة من حرمت الإنسان!<sup>(٢)</sup>.

٤- الإسلام لا يستسلم للظلم والطغيان: الآيات الكريمة دلت على أنه لا ينبغي للإسلام عندما يُمهّل الكفار أو المشركين أنه يستسلم لهم لحالة من الضعف، أو يرضى بالقهر والطغيان من طواغيت الأرض، ولكن يُفهم منها أن الإسلام لا يستسلم أبداً للظلم والطغيان بل ينتظر ويتربص حتى يحكم الله، فالصبر عليهم وإمهالهم لفترات معينة لا يمنع من قول الحق معهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعلهم يهتدوا لشرع الله تعالى، وإن استمروا على الكفر والشرك والضلال، فيجب مقاومة الاستبداد والطغيان والظلم، بعد استخدام كافة الوسائل الممكنة من دعوتهم والصبر عليهم وإمهالهم ولكن أوجب الإسلام محاربة الكفر والشرك أهل الضلال في الأرض، ويسود الإسلام بتعاليمه، فيقيم دولته على أساس العدل والشورى ونشر الأمن والأمان والكرامة والحرية للمسلمين ولغير المسلمين ممن يعيشون في دار الإسلام، وهذا ما يحدث اليوم في الثورات العربية حيث ثارت الشعوب ضد الظلم والقهر والطغيان والاستبداد، ومن أجل إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، الله وحده وتطبيق شرعه في الأرض، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان والمذاهب والفلسفات إلى

(١) ينظر: في نظام الإسلام العقيدة والعبادة، محمد المبارك، (ص ٣٠)، والتربية الإسلامية ومدرسة حسن البناء، د. يوسف القرضاوي، (ص ٦٢).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٦٠٣).

عدل الإسلام، وقيم الإسلام<sup>(١)</sup>.

#### ٥- الإسلام منهج هداية لا منهج إبادة:

دل على هذا المقصد العظيم قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥] ، حيث أمهلهم الله الأشهر الحرم، ثم أمر بقتالهم وأسرهم، ولكن إن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، يُعَلَقُ القَتْلُ وَيَسْقُطُ حُكْمُهُ وَيَزُولُ بَزْوَالُ الشَّرْكِ، وبالتوبة إلى الله تعالى وهذا يدل على مدى عظمة وسماحة هذا الدين العظيم فهو منهج هداية للبشرية لا منهج إبادة للبشرية<sup>(٢)</sup>، كما يحدث اليوم للأسف من قتل وتشريد وذبح للشعوب الإسلامية وفي البلاد الإسلامية من أجل حب النفوذ والسيطرة والمال، ويؤكد ذلك في الحديث عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاثة: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه، المفارق للجماعة)<sup>(٣)</sup>، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: في المبشرات بانتصار الإسلام، د. يوسف القرضاوي، (ص ١١٤-١١٥)، سلسلة رسائل ترشيد الصحوة.

(٢) ينظر: في ضلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٦٠٢).

(٣) صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم، (ب ٦، ح ١٦٧٦)، (ص ٤٣٥).

(٤) رواه البخاري في الصلاة، (٣٩٢)، باب (٢٨)، فضل استقبال القبلة، ومسلم في الإيمان (٢٢)، باب (٨)،

الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، (ص ٢٠).

## المبحث الثاني

مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (٧-١٢)  
الأحكام الشرعية بعد إنهاء مبدأ التعاقد مع المشركين  
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: لا عهد للمشركين الخائنين عند الله ورسوله.

المطلب الثاني: كيفية التعامل مع غدر الكفار.

## المطلب الأول

### لا عهد للمشركين الخائنين عند الله ورسوله

قال تعالى: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ مُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ \* كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ \* اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ \* لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ [التوبة: ٧-١٠] .

أولاً: التفسير التحليلي:

مناسبة الآيات لما قبلها:

استئناف بياني نشأ عن قوله تعالى في بداية السورة ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [التوبة: ١] ثم عن قوله ﴿ أَنْ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ٣] ، ثم عن قوله ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ٥] ، فكانت الآيات تؤكد على إبطال ما بين المسلمين والمشركين من عهود سابقة، فجاءت الآيات هنا تبين سبب إبطال هذه العهود وإعلان الحرب على المشركين وذلك بسبب غدرهم وخيانتهم، وبسبب البون الواسع بين عقيدة التوحيد وأهل الشرك فلا يصح دوام العهد معهم لأنهم ليس لهم عهد ولا ذمة<sup>(١)</sup>.

معاني المفردات:

"الإل": الإل الله على قول مجاهد، وأيضاً فسرهُ بأنه العهد، وقال قتادة: الإل الحلف<sup>(٢)</sup>، وورد أن معناها إلهاً، وقيل منه اشتق الإل بمعنى القرابة، وقيل الليل: أي أنين يرفع به صوته<sup>(٣)</sup>، وورد أنه اشتق للحلف من الإل وهو الجوار، لأنهم كانوا إذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه، وقيل إنه عبري بمعنى الإله لأنه قرئ ايلا كجبرئيل أو جبرئيل<sup>(٤)</sup>، وورد أنها بمعنى الأنساب من النسب فقد كان بين المشركين.

(١) ينظر: في التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص ١٢٠-١٢١).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (م٢، ص ٥٢٩).

(٣) الكشاف، للزمخشري، (م٢، ص ٤٣٣).

(٤) تفسير البيضاوي، (م١، ص ٣٩٦).

"ولا ذمة" وبين المسلمين نسب وقراية<sup>(١)</sup>، والذمة العهد، وأهل العقد، من التذمم وتجمع على ذمم وذمام<sup>(٢)</sup>.

**النحو:**

"كيف": استفهام في معنى الاستتكار والاستبعاد لأن يكون للمشركين عهد عن رسول الله.  
"إلا الذين عاهدتم": استدراك لمن حافظ على العهد عند المسجد الحرام<sup>(٣)</sup>.

**البلاغة:**

"وتأبى قلوبهم": استعارة، فقلوبهم لما نوت الغدر شبهت بمن يُطلب منه شيء فيأبى.

"بآيات الله": الباء هنا باء التعويض فجعلت آيات الله كالشيء المملوك لهم لأنها تقررت دلالتها عندهم ثم عرضوا عنها بإتباع أهوائهم والتعبير عن العوض بالشراء على سبيل الاستعارة تشبيهاً لمنافع أهوائهم بالثمن المبذول<sup>(٤)</sup>.

**الأحكام الشرعية:**

- ١- لا يجوز إقامة العهود والمواثيق مع من لا عهد لهم ولا ذمة ولا أمان، لأنهم ليس لهم عهد عند الله يأمنون به عذابه ولا عند رسوله يأمنون به عذاب الدنيا.
- ٢- وجوب الوفاء بالعهد مع من يستقيم على العهد والوعد من أهل الاستقامة الذين يحفظون عهودهم ومواثيقهم.
- ٣- لا يجوز خيانة وغدر الذمة وجمعها الذمم، لأن الذمة كل حُرمة يلزم من بعد ضياعها ذنب، وهذه من صفات الكفار الفاسقين المجاوزون الحلال إلى الحرام بنقض العهد<sup>(٥)</sup>.

**ثانياً: التفسير الإجمالي:**

بدأت الآيات بالاستفهام للتعجب المتضمن للإنكار على أنه كيف يكون للمشركين عهد عند الله يأمنون به من عذابه، فلا يحدثون أنفسهم بأن يكون عهد مع من يُضمرون الغدر والخيانة

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص١٢٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م٤، ج٨، ص١٨).

(٣) تفسير الكشاف، للزمخشري، (م٢، ص٤٣٤).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص١٢٥).

(٥) ينظر: في الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م٤، ج٨، ص١٧-١٨).

ولكن استدرك الذين لم ينقضوا العهد من الذين عاهدهم النبي ﷺ عند المسجد الحرام فيجب الوفاء لهم؛ لأنهم أصحاب عهد واستقامة، وقيل: هم بنو بكر أو بنو كنانة وبنو ضمرة، فالوفاء معهم والاستقامة عليه من صفات وأعمال المتقين (١).

وورد أن بني بكر دخلوا وقت الحديبية في المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وقريش، فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض عهده منهم، فما داموا مستقيمين على عهدهم فاستقيموا لهم على العهد بالوفاء لهم (٢).

أي يحب من اتقى ربه، ووفى بعهده، وترك الغدر والخيانة، وتكرار كيف لاستبعاد ثباتهم على العهد فكيف يكون لهم عهد وحالهم أنهم لا يراعون فيكم عهداً ولا ذمة؛ لأنه لا عهد لهم ولا أمان، يرضونكم بالكلام الجميل وتمتتع قلوبهم من الإذعان والوفاء أي يعطوكم بألسنتهم من القول خلاف ما يضمرونه من العداوة والبغضاء وتأبى قلوبهم ما يبذونه بألسنتهم (٣).

"لأنهم لا ذمة ولا قرابة لهم، ولا يخافون الله، فلوا انتصروا وظهروا يسمون المسلمين سوء العذاب، فهم أعداء للإسلام، يبغضون الإسلام والمسلمين وما يظهروه بألسنتهم دون قلوبهم يدل على مدى عدواتهم، لأنهم اختاروا الدنيا وخستها على الإيمان بالله ورسوله والانقياد لآيات الله، فصدوا وصدوا غيرهم عن اتباع الحق، لأجل عدواتهم للإيمان وأهله" (٤)، فهم معادون ظالمون لا يراعون عهداً ولا يحفظون ذمة لأنهم اتصفوا بالفسوق وهو الخروج عن طاعة الله بنقضهم العهد وغدرهم واتباعهم الهوى والشهوات (٥).

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- **المشركون لا عهد لهم عند الله ورسوله:** تضمن هذا المقطع من الآيات إنهاء العهود التي كانت قائمة بين المسلمين والمشركين وإنهاء مبدأ التعاقد أصلاً مع المشركين بالبراءة المطلقة منهم، وباستتكار أن يكون عهد لهم عند الله وعند رسوله، وهذا يؤكد تعارض المنهجين، وعدم إمكان التعايش بينهما إلا فترات اضطرارية تنتهي حتماً، بقوة وعزة الإسلام على أهل الغدر والخيانة، وهذا هو الأصل الشرعي في التعامل مع أهل الغدر ونقض العهود والمواثيق (١).

(١) فتح القدير، للشوكاني، (م ١، ص ٧١١).

(٢) تفسير البحر المحيط، (م ٥، ص ١٢-١٣).

(٣) تفسير الطبري، (م ١٠، ص ٨٢-٨٥).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص ٣٣٠).

(٥) ينظر: تفسير الجلالين، (ص ١٨٩).

(٦) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٥٨٦).



٢- **الوفاء بالعهود واجب وعلى المسلمين الالتزام به:** فهذا هو الإسلام ومدى عظمته في العلاقات والمعاملات مع غير المسلمين، حيث أكد وأوجب الوفاء بالعهود مع من يحفظ ويستقيم على العهد مع الإسلام والمسلمين، وهذه الأحكام الشرعية في التعامل مع غير المسلمين صالحة لكل زمان ومكان حيث من الواجب أن نصلح المحيط الاجتماعي فهذا التعامل الإسلامي بالاستقامة والأخلاق مع غير المسلمين ممن يحفظون عهودهم يعين على فهم منهج الإسلام والالتحاق به لأنه يغرس الإنصاف في نفوسهم فيرون مدى سماحة وعظمة الإسلام، وهذا يجعل لديهم بارقة أمل يريد أن يصل إليها غير المسلمين، فلا يجدون سوى الإسلام ليكونوا معه وضمنه، وهذا يحدد العلاقات المتنوعة بين الواقع والغاية وأسورة إلى قواعد تتحكم بطبيعة المرحلة التي يجمع بين الواجب الدعوي والاجتهاد الفقهي<sup>(١)</sup>.

٣- **الاحتكام لشرع الله من تقوى الله وحسن الإيمان به:** قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩] ، فالمسلم عندما يستسلم لكل ما أمر الله تعالى به، فهذا من تمام التقوى والإيمان به، لذلك عدَّ الله الوفاء بالعهد من تقوى الله تعالى فهي منتهى الطاعة لله ﷻ وبذلك يتعلم المسلم سواء كان داعية، أو مجاهداً أو فرداً يعيش في المجتمع الإسلامي أن الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً فهو دولة ووطن وحكومة وأمة، وهو خلق وقوة ورحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة كما هو عقيدة صادقة وعبادة وطاعة لله تعالى<sup>(٢)</sup>.

٤- **المعتدون في كل زمان ومكان ليس لهم عهد ولا ذمة:** تكررت الآيات عن المعتدين الفاسقين من طواغيت الأرض سواء أكانوا مشركين أو من كان على شاكلتهم حيث جاء قول الله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨] ، ثم قال تعالى أيضاً في وصفهم: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠] ، وهذا يبين مدى بشاعة المشركين، وقبحهم، ومدى إجرامهم مع المسلمين، حيث التعذيب، والتهجير، والتنكيل بهم، بأبشع صور الجرائم، من غدر وخيانة وقهر وظلم، رغم سماحة الإسلام العظيم في التعامل معهم، ورغم ذلك لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، فليس لهم عهد ولا ميثاق، ولا يحترمون القرابة ولا النسب ولا يحفظون عهد ولا وعد، وهذا للأسف ما نجده في زماننا هذا، لا أحد يحترم العهود والمواثيق لا عهود دولية ولا عربية، وخاصة في قضية فلسطين والصراع بين فلسطين والاحتلال الإسرائيلي على تحرير كامل

(١) ينظر: المسار، محمد أحمد الراشد، (ص ١٢٧-٢٠٠).

(٢) ينظر: في آفاق التعاليم، سعيد حوى، (ص ٩٢).

لأرض فلسطين وهذه أحد المحاور المركزية الأساسية تجاه قضية فلسطين، ولكن للأسف نجد اليوم من يتخلى عن المبادئ والثوابت والحقوق الفلسطينية ومن يضع يده ويُنسِق مع العدو حيث القبول بقرارات الأمم المتحدة، وأفكار التسوية والتنازل عن جزء كبير من فلسطين للكيان الصهيوني، وتعدّد معاهدات واتفاقيات أمثال أوسلو وكامب ديفيد، ومبادرات شولتس ومدريد، وغيره إلى يومنا هذا وهم يخونون الشعب والقضية من أجل التنسيق مع العدو فلا يرقبوا في الشعب الفلسطيني إلا ولا ذمة، وصدق الله سبحانه القائل: ﴿أَوْكَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٠] ، وقال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢] (١).

## المطلب الثاني

### كيفية التعامل مع غدر الكفار

قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ \* وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة: ١١-١٢] .

أولاً: التفسير التحليلي:

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما استوفى البيان لأصناف المشركين الذين أمر الله بالبراءة من عهدهم، جاء بتفريع حكم على حكم لتعقيب الشدة باللين، فإذا هم أقلعوا عن عداوة المسلمين بدخولهم الإسلام فلا يجوز التعرض لهم بسوء، ولكن إن نكثوا وغدروا فيجب محاربتهم وقتلهم (٢).

معاني المفردات:

"نكثوا": "النكث النقض وأصله نقض الخيط بعد إبرامه، ثم استعمل في كل نقض، ومنه نقض الأيمان والعهود على طريق الاستعارة" (٣).

(١) حماس الفكر والممارسة السياسية، خالد الحروب، (ص ٨٥)، وينظر: إبراهيم المقادمة، د. عاطف عدوان، (ص ١٣٩).

(٢) ينظر: في التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ١٢٧-١٢٩).

(٣) فتح القدير، للشوكاني، (م ١، ص ٧١٢).

## القرءات:

"أئمة": قرأ حمزة ونافع وابن كثير وأبو عمرو ورويس عن يعقوب (أئمة) بالتسهيل بجعل الهزة الثانية بين مخرج الهزة والياء وقراءة تحقيق الهمزتين قراءة مشهورة لباقي القراء.

"إيمان": الأيمان جمع يمين في قراءة الجمهور بفتح الألف وقرأ ابن عامر "لا إيمان لهم": بكسر الهزة، وعلى القراءة الثانية: أن هؤلاء الناكثين للإيمان الطاغين في الدين ليسوا من أهل الإيمان بالله حتى يستحقوا العصمة لدمائهم وأموالهم فقتالهم واجب على المسلمين<sup>(١)</sup>، أو أنهم لا يعطون أماناً<sup>(٢)</sup>، وورد أنهم لا إسلام لهم بسبب الردة والنكث بعدما آمنوا وبايعوا وبذلك خرجوا من الذمة<sup>(٣)</sup>.

## البلاغة والنحو:

"أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة": تخصيص للصلاة والزكاة تفخيم لشأنهما والتنبه لهما<sup>(٤)</sup>.

"فإخوانكم في الدين" أخ على الحقيقة والمجاز وأطلقت الأخوة على المودة والصدقة والظرفية في قوله (في الدين) مجازية: تشبيهاً للملابسة القوية بإحاطة الظرف بالمظروف لتدل على التمكين من الإسلام وأنه يجب ما قبله<sup>(٥)</sup>.

## الأحكام الشرعية:

١- استدلل بعض العلماء من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِيَّاهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢] ، على وجوب قتل كل من طعن في الدين، أن هو كافر، لأن الطعن يعني الاستخفاف بالدين ونسب إليه مالا يليق به، كما أجمع أهل العلم على أن من سب النبي ﷺ عليه القتل وهذا مذهب الشافعي.

٢- الذمي إذا طعن في الدين انتقض عهده في المشهور وعلى مذهب الشافعي يجب قتله أما على مذهب أبو حنيفة فإنه يُستتاب وأن مجرد الطعن لا ينقض به العهد إلا مع وجود النكث ويكون ذلك بشرطين، بنقض العهد والطعن في الدين، ولكن أكثر العلماء على قتل كل من

---

(١) فتح القدير، للشوكاني، (م١، ص٧١٣)، وتفسير الكشاف، للزمخشري، (م٢، ص٤٣٤)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص١٣٠).

(٢) تفسير الماوردي، (م١، ص٣٤٥).

(٣) تفسير الكشاف، للزمخشري، (م٢، ص٤٣٤).

(٤) صفوة التفاسير، للصابوني، (م١، ص٤٨٩).

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص١٢٨).

سب النبي ﷺ من أهل الذمة أو عَرَضَ أو استخف بقدره ووصفه أو نقض عهده واستدلوا بأمر النبي ﷺ بقتل كعب بن الأشرف وكان معاهداً، وذلك بسبب غدره وخيانتته للعهد والوعد، وكذلك بعد موادة أهل مكة في صلح الحديبية ولكن بعد الهدنة خانوا وغدروا العهد فنزلت الآيات تأمر رسول الله ﷺ أن يُعين حلفاءه على أهل الغدر والخيانة ومحاربتهم<sup>(١)</sup>، وورد في تفسير هذه الآية حديث عن زيد بن وهب قال: كذا عند حذيفة<sup>(٢)</sup> فقال ما بقي من أصحاب هذه الآية - يعني ﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ﴾ - إلا ثلاثة، ولا بقي من المنافقين إلا أربعة، فقال أعرابي: إنكم أصحاب محمد تخبرون أخباراً لا ندري ما هي! تزعمون ألا منافق إلا أربعة، فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا ويسرقون أعلاقنا، قال: أولئك الفساق، أجل لم يبق منهم إلا أربعة؛ أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء لما وجد برده<sup>(٣)</sup>.

وفسر ابن عمر رضي الله عنهما أئمة الكفر في قوله ﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ﴾ قال أبو جهل بن هشام، وأمّية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو وهم الذين نكثوا عهد الله وهموا بإخراج الرسول من مكة، وقال بعض العلماء أن المقصود بالآية أئمة الكفر أي كل من أقدم على نكث العهد والطعن في الدين يكون أصلاً ورأساً في الكفر لأن الآية حين نزلت وقرأت على الناس كان الله قد استأصل شأفة قريش فلم يبق إلا مسلم أو مسالم أو المقصود المتقدمون والرؤساء منهم<sup>(٤)</sup>.

### ثانياً: التفسير الإجمالي:

أكدت الآيات الكريمة أن المشركين إن تابوا عن الكفر وأقاموا الصلاة وأعطوا الزكاة فيكون إخوة في الدين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وهذه العبر فصلها الله سبحانه بالأدلة والحجج لأهل العلم والفهم، وإن نكث المشركون أيمانهم من بعد عهدهم، وعابوا الإسلام بالقبح

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م٤، ج٨، ص٢٢-٢٣).

(٢) حذيفة: حذيفة بن اليمان بن حسل بن جابر العسي، أبو عبد الله، واليمان لقب حسل، صحابي، ومن الولاة الشجعان الفاتحين، منعه المشركون من أن يشهد بدر هو وأبوه، وشهد أحد، سكن الكوفة، وكان صاحب سر رسول الله ﷺ، ولاه عمر على المدائن، وتوفي بها سنة ٣٦هـ بعد مقتل عثمان بأربعين يوماً. ينظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، (م٢، ص٢٢٠).

(٣) صحيح البخاري في تفسير سورة براءة، (٤٦٥٨)، باب (٥)، فقاتلوا أئمة الكفر، سنده صحيح، ومعنى (يبقرون): أي ينقبون، (أعلاقنا): أي نفائس أموالنا، (لما وجد برده): أي لذهاب شهوته وفساد معدته، فلا يفرق بين الألوان ولا الطعوم.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م٤، ج٨، ص٢٢).

والدم، فعلى المسلمين قتالهم وخاصة رؤساء وصناديد الكفر لأنهم لا إيمان لهم ولا عهود يوفون بها، وهذا كي يكفوا عن الإجرام وينتهوا عن الطعن في الإسلام (١).

"وخصهم الله بالذكر لعظم جنائهم، ولأن غيرهم تبع لهم، وليدل على أن من طعن في الدين وتصدى للرد عليه، فإنه من أئمة الكفر، فهؤلاء لا عهد لهم ولا ذمة لأنهم ناكلين للعهد لا يوثق بهم، وقتالهم واجب لعلمهم ينتهوا عن الطعن في الدين ومحاربتة أو ربما دخلوا فيه فيتوقف أذاهم للإسلام والمسلمين" (٢).

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- الإسلام يجب ما قبله: الآيات الكريمة وجهت مقصداً عظيماً وحاسماً صريحاً للمشركين من أئمة الكفر بأنهم إن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، أي دخلوا في الإسلام وهو الدين الحق دين الله ﷻ، منعوا أنفسهم من القتل؛ لأن الإسلام يجب ما قبله، ولكن إن نكثوا أيمانهم بعد عهدهم فالقتل واجب في حقهم؛ لأن عقيدة الإسلام هي الأساس وهذه أحكام واضحة يدرك حكمتها المؤمنون في كل زمان ومكان فأئمة الكفر من المشركين فعلوا ما فعلوا من إجرام وتنكيل من عهد الأنبياء جميعاً إلى يومنا هذا ونحن نعاني من أئمة الكفر المعتدين الظالمين ومن عهد التتار والهند إلى الملحدون اليوم بعد أربعة عشر قرناً وهم لا يرقبون بالمؤمنين إلا ولا ذمة، فالتاريخ يعيد نفسه اليوم، ويعود طواغيت الأرض من أئمة الكفر الذين يعملون على إبادة للإسلام وأهله بالمذابح عبر وسائل التعذيب البشعة ومع ذلك سماحة الإسلام العظيم تعطي فرصة لهؤلاء لعلمهم ينتهون عما يفعلون وعندئذ يصفح الإسلام عن كل ما صدر منهم من اعتداء ويصبح المسلمون الجدد إخواناً للمسلمين القدامى وتقوم الوشيحة على أساس العقيدة (٣)، وهكذا يرسم لنا الإسلام مدى سماحته وعظمته، وعظمة النبي محمد ﷺ الذي بعثه الله هادياً وسراجاً منيراً، قال الإمام الغزالي: "لم يكن محمد ﷺ إماماً لثقيل من الناس صلحوا لصلاحه، وذهبوا بموته ودفنه، بل كانت قوة تمثل مرحلة العطور في الوجود الإنساني برسالة تفتح الأعين والآذان، وتثير البصائر والأذهان من كتاب الله وسنته" (٤).

٢- أئمة الكفر سبب ضعف الأمة الإسلامية اليوم: أرى من خلال تحليل النص القرآني أن طواغيت الأرض اليوم من أئمة الكفر والضلال هم سبب ضعف الأمة الإسلامية اليوم؛ لأن

(١) ينظر: في صفوة التفسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٨٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص ٣٣٠).

(٣) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٦٠٧، ١٦٠٩).

(٤) فقه السيرة، محمد الغزالي السقا، (ص ٢٢).

الأمة تعيش أسوأ مراحل تاريخها، لوجود حكام من أئمة الكفر أوصلوا الأمة إلى هذا الواقع المتزدي، بسبب خيانتهم لشعوبهم فالطواغيت اليوم من هؤلاء الحكام يتسابقون للاعتراف بإسرائيل إرضاءً لأمريكا، وللأسف الشعوب العربية والإسلامية اليوم معظمها لم تغير شيئاً من هذا الواقع الأليم لليوم، بل منهم من هو مستسلم لما يقودهم إليه أئمة الكفر من الذل والهوان والتنازل عن مبادئ الإسلام وتطبيق العدالة في الأرض، ولن يتحرر الإنسان في الأرض إلا حين تكون الدينونة لله، لا لسلطان هواه، حيث يقول تعالى: ﴿لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦] ، وقال أيضاً جلّ وعلا: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٢٩] ، فملة الكفر واحدة، فأعداء الله على جميع أشكالهم لا يضمرون الخير للمسلمين بل هدفهم تدمير الإسلام والمسلمين، فكما ابتعد المسلمون عن عقيدتهم فسدت الأمم والشعوب، وضعفت، وسيطرت عليها أفكار اليهودية الصهيونية والحضارة الصليبية، فمن ينقذ الدين اليوم ونحن بهذا الضعف والبعد عن التمسك بالكتاب والسنة، ومنْ للأقصى والقدس وفلسطين (١).

٣- **الطعن في الدين ونكث العهود عقابه إقامة الحرب حتى ينتهوا:** وهذا ما بينته الآيات الكريمة في هذا المقطع، وبينه الإسلام على مدار العصور في تاريخ الإسلام، بأن النبي ﷺ أقام العهود والمواثيق مع المسلم ومع غير المسلم، ولكن حارب كل من نقض العهد وطعن في الدين أمثال العرب من قريش وغطفان وغيرهم، وهذا ما يؤكد الإسلام ليوماً هذا أن على المسلمين في الحركات الإسلامية اليوم أن تحالف مع أي جهة من أجل نصر الإسلام ونصرة المظلومين والدفاع عن حقوقهم، وإن نكثوا العهد والميثاق وطعنوا في شريعة الإسلام، فعلى المسلمين محاربتهم حتى ينتهوا عن ذلك (٢)، وصدق الله القائل: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٨] ، ولا نريد أن نقدم مساومات وتنازلات كما يحدث اليوم في زمن الروبيضة الذي يُصدق فيه الكاذب ويُخون فيه الأمين، فنرى الآن الاعتداءات الشديدة على الإسلام والقرآن وعلى النبي محمد ﷺ، ولا أحد يحرك ساكناً، نرى السب والطعن في الدين على مرأى ومسمع العالم، ولا حياة لمن تنادي، نرى الاعتداءات الصهيونية على

(١) انظر: الشهيد د. إبراهيم المقادمة، د. عاطف عدوان، (ص ١٠٨، ١٠٩)، وينظر: الإنسان بين الدينونة لله والدينونة لغيره، علي بن نايف الشحود، (ص ١٤٣).

(٢) انظر: التحالف السياسي في الإسلام، منير محمد الغضبان، (ص ٧، ٨).

المسرى والقدس والأقصى، ولا أحد من المسلمين والعرب يتحرك لنصرته، نرى العرب المسلمين يخونون بعضهم البعض وينكثون العهود والمواثيق الدولية في حماية الإنسان وحقوقه، ولا أحد يتحرك، نرى الظلم والقهر والطغيان والتجويع والحرمان والحصار في كل مكان، وأرض من شعوب العالم الإسلامية وغير الإسلامية، ولكن للأسف ماتت الضمائر، والنخوة، والرجولة، أسلحة الجيوش العربية تعفنت من الصدأ ولم تقا، ولم تحارب الظلم والفساد في الأرض، ولكن للأسف تحالفت مع الشيطان الأكبر ضد الإسلام والمسلمين وأخرجت أسلحتها ضد العرب المسلمين، واستخدمت أسلحة العدو في قتل المسلمين وإبادتهم بوحشية لم يشهد التاريخ مثلها سواء في مصر أو سوريا أو فلسطين، وأصبح الطعن والتشهير بالدين الإسلامي على مسمع ومرأى العالم، فمن هذا الزمن العجيب!! الذي مات فيه الدين... والضمير... والعروبة.

وهذا ما نسمعه كل يوم في إعلامهم الفاسد، الذي يشن الحرب على الإسلام وعلى منهج الإسلام العظيم، مستخدمين الكذب لتزييف الحقائق تحت شعار الوطنية، والقومية، أو العدالة، والديمقراطية، ومشروع الإسلام الوسطي الجديد وغيرها الكثير من الشعارات الرنانة الكاذبة لتبرير الحرب على الأمة العربية، والهجمة الشرسة على الإسلام<sup>(١)</sup>، لذلك أمر الله ﷻ في هذه الآية محاربة هؤلاء الفجار الطغاة حتى ينتهوا عن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢] ، وصدق الله القائل: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨] ، وقوله ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤] ، فيجب علينا محاربة كل من يتناول على الدين وينشر الفساد في الأرض، وإصلاح النظام بالارتقاء وفق موازين الإيمان وقواعد الشرع، والالتزام بأداء الصلاة والزكاة، والبراءة من كل أنواع الشرك بالله، وتزيين التوبة والإنابة لله قبل محاربة المعتدين في الأرض، وهذا هو منهج الدعوة والإسلام في التعامل مع الجميع وهذه هي النظرة التكاملية للسياسة الإسلامية<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: أصول المواجهة الإعلامية، د. محمود الزهار، (ص ١٤٠).

(٢) ينظر: تنظير التغيير، محمد أحمد الراشد، (ص ٧٣).

## المبحث الثالث

مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (١٣-١٦)

استتكار مبدأ العهد للمشركين عند الله ورسوله

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قتال المشركين كافة وفوائده على الأمة.

المطلب الثاني: تمييز صفوف المسلمين بالشدائد والمحن.



## المطلب الأول

### قتال المشركين كافة وفوائده على الأمة

قال تعالى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ فَالَهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ \* وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٣-١٥].

### أولاً: التفسير التحليلي:

#### ١ - مناسبة الآيات لما قبلها:

بعدما أمر الله سبحانه بقتال أئمة الكفر، صدر في هذا المقطع من الآيات الكريمة من التواني في قتالهم عدا ما استثنى منهم بعد الأمر بقتلهم وأسرهم وحصارهم، وسد مسالك النجدة في وجوههم، جاءت الآيات الكريمة تحذر من التراخي في قتالهم، حيث جاء الاستفهام إنكارياً غرضه الحض على القتال على سبيل المبالغة في التحذير من التهاون بقتالهم، بسبب خيانتهم ونكثهم للعهود والمواثيق ومحاولتهم إخراج الرسول من المدينة أو من مكة بعد أن دخلها ظافراً منتصراً، وفي قتالهم خزي لهم، وكرامة وعزة للإسلام والمسلمين<sup>(١)</sup>.

#### ٢ - سبب نزول الآية (١٤):

ورد عن قتادة أن هذه الآية نزلت في خزاعة حين جعلوا يقتلون بني بكر بمكة، وأخرج عن عكرمة قال: نزلت هذه الآية في خزاعة، وأخرج عن السدي ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ قال: هم خزاعة حلفاء النبي ﷺ يشف صدورهم من بني بكر، حيث اعتدت عليهم بمساعدة قريش<sup>(٢)</sup>.

والذين هموا بإخراج الرسول في قوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ فَالَهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣]، قال ابن عباس: نزلت في أبي سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد وخانوا الرسول وهموا بإخراجه وسماههم الله في

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٥م، ص ١٣١-١٣٣).

(٢) الدر المنثور في التفسير المأثور، للسيوطي، (٣م، ص ٢٣٣)، ولباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، (ص ٢٢١).

الآيات السابقة بأئمة الكفر في قوله: ﴿... فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ...﴾ [التوبة: ١٢] (١).

### ٣- القراءات:

(ويَتُوبُ عَلَيْهِ): قرأ الجمهور بالضم "ويتوب" على أنه ابتداء كلام يتضمن الإخبار بما سيكون، وهو أن بعض الكافرين يتوب عن كفره كما وقع من بعض أهل مكة يوم الفتح، فإنهم أسلموا وحسن إسلامهم، وقرأ بنصب "يتوب" بإضمار أن، ودخول التوبة في جملة ما أجيب به الأمر من طريق المعنى، وهذا على قراءة أبي إسحاق وعيسى الثقفي والأعرج، والمعنى: أن القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين (٢).

### ٤- النحو:

- ﴿الَّذِينَ تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ : همزة الاستفهام الإنكاري للحض على قتالهم وعدم التهاون فيه، "ألا" ورد أنها حرفاً واحداً يفيد التخصيص فهو تخصيص على القتال (٣).

- ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: نصب على المصدرية، وإضافة أول إلى مرة من إضافة الصفة إلى الموصوف، والتقدير: مرة أولى والمرة الوحيدة من حيث حدث يحدث، أي بدأوكم أول بدء بالنكث، أي بدء أول، وأول اسم تفضيل جاء بصيغة التذكير وإن كان موصوفه مؤنثاً لفظاً؛ لأن اسم التفضيل إذا أضيف إلى نكرة يلزم الأفراد والتذكير، والمقصود من هذا: تهديد للمشركين على النكث الذي أضمره وأنه لا تسامح فيه (٤).

### ٥- البلاغة:

- ﴿وَيُذْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ : عطف على ﴿وَيَسْفِئُ صُدُورَ قَوْمٍ﴾ لتأكيد الجملة الأولى بالجملة الثانية (٥).

(١) أسباب النزول، للواحي، (ص ٢٠٠)، وفتح القدير، للشوكاني، (م ١، ص ٧١٤).

(٢) فتح القدير، للشوكاني، (م ١، ص ٧١٣)، والكشاف، للزمخشري، (م ٢، ص ٤٣٥)، وتفسير البيضاوي، (م ١، ص ٣٩٨).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ١٣٢).

(٤) المرجع السابق، (م ٥، ص ١٣٤).

(٥) المرجع السابق، (م ٥، ص ١٣٦).

- ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ : ذكر الاسم الجليل مكان الضمير لتربية المهابة وإدخال الروعة في القلب<sup>(١)</sup>.

## ٦- الأحكام الشرعية:

١. وجوب قتال كفار مكة الذين نكثوا وخانوا العهد والميثاق، وهذا يؤكد وجوب كل من يعادي الإسلام ويغدر به في كل زمان ومكان.

٢. القتال غير موجب للتوبة من الله ﷻ وهو موجب بالعذاب والخزي على المعتدين، ولكن يقبل الله التوبة لمن تاب، والذين تاب الله عليهم مثل أبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل، وسليم بن أبي عمرو أسلموا وحسن إسلامهم<sup>(٢)</sup>.

## ثانياً: التفسير الإجمالي:

حض الله تعالى على قتال كفار مكة الذين نقضوا العهد لأسباب ثلاثة وهي الطعن في الدين ونكث العهود، وهموا بإخراج الرسول من مكة، وهم الذين بدؤوا بالقتال في يوم بدر وأحد والخندق وغيرها، فهل تخافونهم يا معشر المسلمين، فالله وحده أجدر وأولى بالخوف من عقابه، إن كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده، فقاتلوا معشر المؤمنين أعداءكم يعذبهم الله بأيديكم بالقتل، ويذلهم بالأسر، والانزهاهم والهوان وينصركم عليهم نصراً مبيناً، ويشفي صدور قوم مؤمنين لم يشهدوا القتال، ويذهب كرب أو غم قلوب المؤمنين الذين تآذوا بنقض المشركين العهد، ويتوب الله على من يشاء من عباده الذين أسلموا وحسن إسلامهم بمكة يوم الفتح، والله عليم بما يصلح عباده، ويسرائرهم، حكيم في صنعه وأفعاله<sup>(٣)</sup>، وقال ابن عباس أن المقصود بقوله تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ القوم هم من اليمن قدموا إلى مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى كثيراً فشكوا إلى رسول الله ﷺ فقال: أبشروا فإن الفرج قريب، فسوف يذهب الله الغيظ والغم والكرب وهذا تأكيد لشفاء الصدور وفائدته المبالغة في جعلهم مسرورين بما من الله عليهم من تعذيب أعدائهم، وتحدث الله سبحانه عن توبة من أسلم يوم فتح مكة أمثال أبو سفيان وغيره والله عليم بالأسرار لا تخفى عليه خافية، حكيم لا يفعل إلا ما يكون فيه حكمة ومصالحة<sup>(٤)</sup>.

(١) صفوة التفاسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٨٩).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (م ٤، ج ٨، ص ٢٦).

(٣) ينظر: التفسير الوجيز، د. وهبة الزحيلي، (ص ١٩٠)، وتفسير الجلالين، (ص ١٨٩).

(٤) صفوة التفاسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٨٧).

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- المؤمن لا يخشى إلا الله: المؤمن دائماً يجب أن يكون ثابتاً على الحق ولا يخشى إلا الله ولا يخاف في الله لومة لائم فلا يكون الخوف والتهيب إلا من الله وحده، فالله أحق أن نخشاه فالمؤمن لا يخشى أحداً من العبيد، فإن كانوا يخشون المشركين فالله أحق بالخشية، وأولى بالمخافة (١).

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ، فيجب أن يأخذ شباب المسلمين اليوم العبرة والقوة ممن سبقوهم من الصحابة رضوان الله عليهم أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم والتابعين، وأتباع التابعين، بالقوة والثبات على الحق لا يجوز اليوم الاعتراف بأي نظام حكومي لا يرتكز على أساس الإسلام، ويصمد ويصبر على ظلم وقهر الطغيان، لا نقبل بفكر العلمانية الخبيثة الدخيلة التي تفصل الدين عن الدولة، ولا نرضى بأن نكون عبيداً إلا للواحد القهار، فالشباب المؤمنون تربوا على مائدة القرآن الذي علمهم القوة والثبات والإرادة القوية والتضحية، والبعد عن الدنيا والطمع في شهواتها وملذاتها، لأن الوهن والضعف والخذلان يأتي من طلب الدنيا وكرهية الموت، لذلك هذه التربية الأخلاقية جعلت منهم القادة العظماء، في حب الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، ولا يخافون من طواغيت الأرض يحملون أرواحهم على أكفهم، وفي قلوبهم ثقة عالية بأن النصر قريب، لأنهم تعلموا أن الجهاد إيمان وبذل وأخلاق، وروح وعطاء وشعارهم (الجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا) وتجارتهم الرابحة هي ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١] ، وصيحاتهم المرعبة لأعداء الله في كل زمان ومكان هي (الله أكبر)، ويحملون في أيديهم المصاحف والمدافع وإذا استشهد أحدهم، كبر وتشهد وقال: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤] (٢).

٢- المؤمن دائم الثقة بالله: المؤمن يثق بالله ﷻ بأن الله ناصره، ومدافع عنه، وعن هذا الدين العظيم، فدائماً وأبداً يعده الله بالحماية والرعاية والحفظ، وأنه متم نصره وعدله ونوره في الأرض رغم كيد الكائدين، ورغم العداء الشديد للإسلام وأهله، فعندما يبشره الله ﷻ بأنه سوف يكون

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٦١٢).

(٢) ينظر: التربية الإسلامية ومدرسة حسن البناء، د. يوسف القرضاوي، (ص ٣٠-٣٦)، ودور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية المباركة، د. تيسير جبارة، (ص ١٠٩).

الخلاص من أهل الكفر والشرك والطغيان على يد هذا المؤمن الطاهر، تلك هي الأيادي المتوضئة الشريفة، وأنه سوف يشف صدور وقلوب المؤمنين بالنصر والعزة والكرامة، على أعدائهم وأعداء هذا الدين العظيم، فبشرهم الله بقوله ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٤] ، فهذه بشارة عظيمة من الله تعالى يستمد منها المؤمن قوته وعزته من قوة الله وإرادته وعظمته ومشينته، حيث قال تعالى في مواطن أخرى من كتابه العزيز ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الرُّوم: ٤٧] ، وقال ﷺ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الحج: ٣٨] ، وقال ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ﴾ [الأنفال: ١٧] ، وشعار المؤمن الثابت على الحق الواثق بالله أن اليقين والنصر من عند الله للمؤمنين المخلصين، وأن الله حتماً سوف ينصر دينه حيث قال: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨] ، فهذه كلها مبشرات قرآنية على وعد الله للمؤمنين الصادقين بالنصر وهذا وعد إلهي دائم ومستمر إلى يومنا هذا حيث قال تعالى: ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ [الكهف: ٩٨] <sup>(١)</sup> ، ومن المبشرات في السنة النبوية على مدى معية الله ورعايته وحفظه ونصره للثابتن على الحق ضد الظلم والقهر والعدوان ما ورد في الحديث عن أنس بن مالك قال لما أتى رسول الله ﷺ خيبر قال: (إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين) <sup>(٢)</sup> ، وهكذا هذه المبشرات والكلمات بقيت نبراساً يهتدى به في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قوتهم سيد البشرية محمد ﷺ ، لذلك أنجبت فلسطين اليوم رجالاً أبطالاً، يعملون بجد، وعلى ثقة عالية بالنصر، يأخذون بالأسباب، يصنعون، يعدون، يحاربون، بقوة وعزيمة، يسيرون على خطى الحبيب محمد ﷺ ، فهم أبناء الإسلام الشامخ الذي أنجب أبناء المقاومة العظماء الذين تربوا في مدرسة البطل المجاهد الشيخ أحمد ياسين أستاذ الجيل وبطل المعركة، الذي ضرب أروع الأمثلة في بطولته وشجاعته رغم ضعف جسمه ومرضه وشلله، لكنه أحيا أمة بعقله الراجح وقوة إيمانه، فهذه النخبة قررت أن لا يجف لها جبين حتى ترى الأرض قد طُهرت من أدران المعتدين الظالمين وراية الإسلام خفاقة وما ذلك على الله بعزيز <sup>(٣)</sup> .

(١) ينظر: المبشرات بانتصار الإسلام، د. يوسف القرضاوي، (ص ٢٠).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر، (ب ٤٣، ح ١٨٠١، ١٨٠٢).

(٣) ينظر: بطولات قسامية، الشهيد الرقيب جميل وادي، (ص ٢-٣)، وحركة المقاومة الإسلامية حماس في فلسطين، أحمد عز الدين، (ص ١١-١٢).

٣- الانتصار على الظلم والقهر يشف صدور المؤمنين: وهذا ما أكده الله سبحانه في قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ \* وَيُدْهَبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ...﴾ [التوبة: ١٤-١٥] ، بأنه برعايته وحمايته ونصره للمسلمين الموحدين، الذين لاقوا وما زالوا ويلات العذاب والتنكيل من قبل المعتدين الظالمين من المشركين، بداية من التآمر على النبي وعلى الإسلام وأهله بالغدر والخيانة تارة وبالتهديد والتشريد والنفي والتهجير تارة أخرى... وهكذا وعدهم الله بالنصر والتمكين حتى يشفي صدورهم وقلوبهم من غيظها المكثوم بانتصار الحق كاملاً وهزيمة الباطل وتشريد المعتدين، الذين لاقى منهم المسلمون كل أنواع العذاب والطغيان في الأرض<sup>(١)</sup>، وهذا ما نراه اليوم في واقعا الأليم فالتاريخ يجدد نفسه فرغم الهجمة الشرسة ضد الإسلام ومنهج الإسلام، وعلماء المسلمين لكن يأتي في وسط هذا الظلام بشارات من الله ﷻ للمسلمين تبعث فيهم الأمل وتشفي صدورهم وغيظ قلوبهم مما يحدث من المتخاذلين الذين يبيعون دينهم بعرض من الدنيا، ويذبحون الشعوب العربية الإسلامية بدم بارد بداية من صبرا وشاتيلا إلى مذابح اليوم في سوريا ومصر وفلسطين واليمن وليبيا وسيناء وغيرهم، ولكن في كل مرة يبعث الله لهذه الأمة من ينقذها من الجهل، ويفضح هؤلاء الزعماء طواغيت الأرض، ويكشف مدى جبروتهم وظلمهم وقهرهم لشعوبهم عبر الإعلام والفضائيات وبرامج التواصل الاجتماعي، فوسائل الإعلام الشريفة الصادقة تشفي صدور المؤمنين وتذهب غيظ ما في قلوبهم من ألم وجراحات<sup>(٢)</sup>، وسوف يشفي الله ﷻ صدورنا بالنصر والتمكين على الأعداء، وسوف تُطهر الأرض من دَنَس الصهاينة، وستمضي هذه العزائم الأبية وسوف يُكتب النصر للحق وهذا وعد من الله.

٤- انتصار الإسلام ورهبته يفتح بصيرة بعض المشركين إلى الهدى: هذا مقصد عظيم، وفائدة جلية، من الأمر بقتال من نكث العهد وخان الوعد وكاد وتآمر على الإسلام والمسلمين، فانتصار المسلمين قد يرد الكثير من المشركين إلى التوبة والهداية والدخول في الإسلام وذلك في قوله ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ [التوبة: ١٥] ، لأنهم يحسون أن قوة غير قوة البشر تؤيدهم وعندئذ يأخذ المسلمون المجاهدون أجر جهادهم، وأجر هداية الضالين بأيديهم، وينال الإسلام

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٦١٢).

(٢) ينظر: أصول المواجهة الإعلامية، د. محمود الزهار، (ص ٢١، ص ١٤٠)، وينظر: زاد المرابطين، الدائرة التربوية في المناطق، (م ٢، ص ٣٦).

قوة جديدة تُضاف إلى قوته بهؤلاء المهتمين التائبين<sup>(١)</sup>، قال شيخ الإسلام: "فالهدى بغير هدى من الله أو غير ذلك ضلالة، ونحن علينا أن نتبع ما أنزل علينا من الكتاب والحكمة، ونلزم الصراط المستقيم"<sup>(٢)</sup>، فهذا الطريق هو الذي يجعل الجماعة المسلمة قوية، مرهوبة الجانب، عزيزة، عصية على الأعداء، كما قال ربي بن عامر<sup>(٣)</sup> بشجاعة وقوة لرستم قائد الفرس: "جئنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، الله عز وجل وحده"<sup>(٤)</sup>، وهذا هو أصل الجهاد في الإسلام، بقوته يُحرر الناس كافة من عبادة العباد ويردهم جميعاً إلى عبادة الله وحده، وتحطيم الطواغيت والأنظمة والقوى التي تقهرهم على عبادة غير الله والخضوع لسلطان غير سلطانه والتحاكم لشرع غير شرعه<sup>(٥)</sup>، فالإسلام لا يقبل أن تكون السلطة بيد الجاهلية، ويقف الإسلام منها موقف التابع المتخلف ولكن الإسلام يربي رجال متمسكون بالإسلام، رجال أقوياء يُسددون خُطى الزمان ويُوجهون مسيرة الإسلام التاريخي، ويغيرون مجرى الحياة بجهادهم، وتضحياتهم، وتبديل أفكار العالم، للبحث عن الإسلام العظيم الذي يحرر الإنسان من العبودية والدكتاتورية والظلم والقهر<sup>(٦)</sup>.

وما يدل على أن قوة الإسلام وغلبته تؤدي إلى إسلام بعض الكفار المشركين ويصبح جندياً من جنود الإسلام ما ورد عن الصحابي ذو الجوش الضبابي رضي الله عنه حين لم يسلم إلا بعد فتح مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه إلى الإسلام بعد بدر فقال له: (هل لك إلى أن تكون من أوائل هذا الأمر؟ قال: لا، قال: فما يمنعك منه؟ قال: رأيت قومك كذّبوك وأخرجوك وقاتلوك فأنظر، فإن ظهرت عليهم آمنت بك واتبعتك، وإن ظهروا عليك لم أتبعك) فكم ندم ذو الجوش وتوجع على تركه الإسلام حين دعاه إليه صلى الله عليه وسلم<sup>(٧)</sup>، فسوف يُظهر الله الإسلام قوياً شامخاً دائماً وأبداً كما وعد.

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م٣، ص١٦١٢).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (م٤، ص٥١٤).

(٣) ربي بن عامر: ربي بن عامر بن خالد بن عمرو، صحابي جليل، كان من أشرف العرب، وكان سيفاً في الفتوح، وكان من جند العراق حيث بعثه عمر بن الخطاب بكتاب لأبي عبيدة بن الجراح بأن يصرف جند العراق إلى العراق، فكان منهم ربي بن عامر، وأصبح بعد ذلك والياً على طخارستان. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن أحمد بن حجر العسقلاني، (م٢، ص٣٧٨).

(٤) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محمد سعيد البوطي، (ص٧١).

(٥) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م٣، ص١٦١٢).

(٦) ينظر: المنطلق إحياء فقه الدعوة، محمد أحمد الراشد، (ص١٦٢).

(٧) حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، (م١، ص٥١)، والحديث رواه الطبراني بسند صحيح.

## المطلب الثاني

### تمييز صفوف المسلمين بالشدائد والمحن

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٦].

أولاً: التفسير التحليلي:

مناسبة الآية لما قبلها:

"أنه تعالى لما وبخهم قبل ذلك بترك الجهاد، ثم وعدهم بالثبات والنصر والتمكين عليهم وأنه سوف يتوب على من تاب منهم ودخل الإسلام، جاء الكلام منقطع يحمل معنى التوبيخ على وجود الحسبان بمعنى أن الله لا يترككم على ما أنتم عليه حتى يتبين المخلص من المنافق" (١)، وقيل: هذا خطاب للمنافقين، وقيل للمؤمنين الذين شق عليهم القتال بأن هل ظننتم أن تتركوا فلا تُمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب؟ والله خبير بما يقولون ويفعلون (٢)، لأنه تعالى لما فرض الجهاد على العباد بين ما فيه من حكمة وهو اختبار عبيده من يطيعه ممن يعصيه، وهو تعالى العالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون فيعلم الشيء قبل كونه ومع كونه على ما هو عليه لا إله إلا هو ولا رب سواه، ولا راد لما قدره وأمضاه (٣).

معاني المفردات الغريبة:

"وليجة": من ولج ولوجاً إذا دخل، فالوليجة الدخيلة، ومنه كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة والمعنى: أي كيف تتخذون دخيلة أو بطانة من المشركين تفشون إليهم بأسراركم وتعلمونهم أموركم من دون الله (٤).

"وفيها ثلاثة أقاويل: أنها الخيانة على قول قتادة، والبطانة على تفسير مقاتل، وقول ثالث

أنها الدخول في ولاية المشركين من قولهم ولج فلان في كذا إذا دخل فيه" (٥).

(١) الكشاف، للزمخشري، (م٢، ص٤٣٥).

(٢) ينظر: تفسير البغوي، (م٢، ص٢٣١)، وتفسير البيضاوي، (م١، ص٣٩٨).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (م٢، ص٥٣١).

(٤) ينظر: فتح القدير، للشوكاني، (م١، ص٧١٣)، والبغوي، (م٢، ص٢٣١).

(٥) النكت والعيون، تفسير الماوردي، (م٢، ص٣٤٦).



## النحو والبلاغة:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ نفى العلم وأراد المعلوم للمبالغة فإنه كالبرهان عليه من حيث إن تعلق العلم به مستلزم لوقوعه.

﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا﴾ عطف على جاهدوا داخل في الصفة (١).

## الأحكام الشرعية:

لا يجوز اتخاذ بطانة من المشركين يعلمون أسرار وأمور المسلمين ويكونوا أولياءهم، ودخيلة مودة من دون الله ورسوله حيث يقول تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨] (٢).

## ثانياً: التفسير الإجمالي:

يوجه الله ﷻ خطاب للمؤمنين، وقيل للمؤمنين والمنافقين ويقول لهم أحسبتم أن تتركوا فلا تمتحنوا بالجهاد، ليميز بين المؤمن الصادق والمنافق المخادع، الذي يستحق به الثواب والعقاب (٣).

فشرع الله ﷻ الجهاد ليحصل على هذا المقصود الأعظم وهو أن يتميز الصادقون الذين لا يتميزون إلا لدين الله، من الكاذبين الذين يزعمون الإيمان وهم يتخذون الولائج والأولياء من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين فإله يعلم ما يصدر منكم فيبتليكم بما يظهر به حقيقة ما أنتم عليه، ويجازيكم على أعمالكم خيرها وشرها (٤)، وهذا لإزالة الأستار التي يقف خلفها من لم يتجرد للعقيدة لكشفهم وما هم عليه من حب الشهوات والمصالح لذلك يكشف الذين يخبئون في قلوبهم خبيئة يوالون المشركين من أجل مكاسبهم على حساب جماعة المسلمين، فإله يعلمهم ويحاسبهم على حقيقة سلوكهم وهذه سنته تعالى بالابتلاءات والمحن لينكشف المخلصين من المنافقين وتتميز الصفوف وتمحص القلوب (٥).

(١) تفسير البيضاوي، (م ١، ص ٣٩٨).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (م ٤، ص ٢٦).

(٣) فتح القدير، للشوكاني، (م ١، ص ٧١٣).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص ٣٣١).

(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٦١٣).

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- **الجهاد يكشف رواسب النفوس وخلخلة الصفوف:** هذا مقصد عظيم، وفائدة من فوائد الجهاد في سبيل الله، حيث يكشف الله تعالى أهل الدنيا والمطامع والشهوات أمثال ضعاف الإيمان، والطابور الخامس المنافقين أهل الغدر والخيانة والكذب وإخلاف العهود وأصحاب المعاذير وهم الذين يتخذون وليجة من دون الله ورسوله، فأراد الله ﷻ أن يكشف النوايا والخبايا، ويعلن المفصلة للجميع ليميز الخبيث من الطيب، ويقطع الطريق على هذه الفئة وهذا في مصلحة الجماعة المسلمة والعقيدة والدفاع عنها تكشف اللوائح، ويُعرف المكافحون المجاهدون المخلصون ويُكشف المداورون الملتون الخائنون<sup>(١)</sup>، أصحاب بيع الضمائر والذمم وللأسف امتلأت الأرض بهم في هذا الزمان، لذلك يجب ردع هذه الفئة الباغية المساندة، الموالية للظلم وللطواغيت في الأرض، حتى يعود الصف الإسلامي منيعاً عزيزاً قوياً برجاله المخلصين حيث قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]، وورد في الحديث عن ابن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: (سئل ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاقل حمية، ويقاقل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)<sup>(٢)</sup>.

٢- **الابتلاءات والمحن تكشف معادن الناس:** الله ﷻ يحاسب الناس على ما يتكشف من حقيقتهم بفعلهم وسلوكهم، وجرت سنة الله في الأرض أن يمتحن الناس ومعاندهم بالابتلاءات والمحن والشدائد والتكاليف، حتى تتجرد مشاعرهم لله تعالى ولدينه، ويخلصها من متاع الدنيا وشهواتها ومصالحها وأطماعها ويمحص القلوب لتكون محبة الله ورسوله والدفاع عن دينه هو أعظم هدف في حياته، لذلك حتى نرقى بدعوتنا وجهادنا وإسلامنا ونورته من جيل إلى جيل لا بد من الثبات على المحن والشدائد، حتى يتحقق نصر الله، وأن نتجرد لله تعالى بالطاعة والإخلاص والتقوى قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]<sup>(٣)</sup>، فمعادن الناس تظهر عند الشدائد ويميز الله بين الخبيث والطيب، تكشف أهل العقيدة من أهل الاستسلام الذين يتظاهرون بالإسلام فهؤلاء ليس لهم معادن، لأن قلوبهم متعفنة حاقدة على الإسلام والمسلمين، أما أهل العقيدة والثبات على

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م٣، ص١٦١٣)، ومسافر في قطار الدعوة، د. عادل الشويخ، (ص٤٠٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمامة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، (ب٤٢، ح١٩٠٥).

(٣) ينظر: في آفاق التعاليم، سعيد حوى، (ص١١٨).

الحق أهل الإخاء والنصرة الذين تربطهم رابطة العقيدة لا غيرها، يتصفون بالحب والصدق والإيثار، أرواحهم جنود مجندة قوتهم واحدة على عدوهم يصفهم الله بقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] ، ليس لديهم ازدواج ولا صراع ولا انقسام في شخصية حياته<sup>(١)</sup>، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تجدون الناس معادن فخيرهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون من خير الناس في هذا الأمر أكرهم له قيل إن يقع فيه وتجدون من شرار الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه)<sup>(٢)</sup>، فلا يستقيم الإسلام ولا ينتصر إلا عندما تستقيم قلوب الناس ومشاعرهم والعدل، وما دخلت الدنيا في شيء إلا أفسدت والقائم على التقوى يستمر في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] ، وهذا يؤكد واقع الشعب الفلسطيني المحاصر، المنكوب الذي يعيش بين منهجين للحياة بينهما اختلاف جذري عميق لكل جزئية من جزئيات الاعتقاد والتصور، والخلق والسلوك، والتنظيم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والإنساني أحدهما يقوم على الثبات على الحق والمبادئ وعبوديته متجردة لله وحده، والآخر يقوم على عبودية البشر للبشر أو عبودية السلطان والنقود والمال والشهوات، لذلك يقع بينهما تصادم في كل خطوة من خطوات الحياة، لأنهما نظامين متناقضين نظام يقيم شرع الله وحدوده في الأرض وقدوته في ذلك سيد البشرية محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أقام في دولته تعاليم الإسلام دين ودولة، ونظام علماني عبد للأنظمة الصهيونية والأمريكية، وما تفرضه عليه، فحرصت هذه المناهج الوضعية الأرضية أن تخالف المنهج الرباني؛ لأنه يُهدد وجودها ومنهجها الفاسد على الأرض<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، (ص) ٦٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب خيار الناس، (ب) ٤٨، ح ٢٥٢٦، (ص) ٦٤٦.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م) ٣، (ص) ١٥٨٦-١٥٨٧، والعوائق، محمد أحمد الراشد، (ص) ٢١.

## المبحث الرابع

مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (١٧-٢٢)

الإنكار على المشركين دخول بيت الله الحرام

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عمارة بيت الله تقوم على قاعدة توحيد الله.

المطلب الثاني: فضل المؤمنين المهاجرين المجاهدين.

## المطلب الأول

### عمارة بيت الله تقوم على قاعدة توحيد الله

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ \* إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَجْشِ إِلَّا بِاللَّهِ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ \* أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ [التوبة: ١٧-١٩] .

أولاً: التفسير التحليلي:

مناسبة الآيات لما قبلها:

هذه الآيات الكريمة مرتبطة بما تقدم من البراءة من المشركين، وتتناول غرض من أغراض معاملة المشركين وهو منع المشركين من دخول المسجد الحرام في العام المقبل، وتتصل هذه الآيات ببيان النبي ﷺ السابق الذي أرسل به مع علي بن أبي طالب إلى أبي بكر الصديق أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا، وهذا توطئة لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ [التوبة: ٢٨] (١).

سبب النزول:

أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: قال العباس حين أسر يوم بدر: إن كنتم سيقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعلم المسجد الحرام، ونسقي الحاج، ونفك العاني، فأنزل الله ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة: ١٩] (٢)، وأخرج مسلم وابن حبان وأبو داود عن النعمان بن بشير (٣) قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه،

(١) تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، م ٥، ص ١٣٩.

(٢) أسباب النزول، للواحي، ص ٢٠٠-٢٠١، ولباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص ٢٢٢.

(٣) النعمان بن بشير: النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، أبوه صحابي، وأمه صحابية، ولد على رأس أربعة عشر شهراً من الهجرة، وهو أول مولود ولد في الأنصار بعد قدوم النبي ﷺ، وكان أميراً =

فقال رجل منهم: ما أبالي ألا أعمل لله عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام، فقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم فنزلت الآية<sup>(١)</sup>، وفي رواية لما أسر العباس يوم أقبل عليه المسلمون فعيروه بكفره بالله وقطيعة الرحم، وأغلظ علي له القول، فقال العباس: مالكم تذكرون مساوئنا ولا تذكرون محاسننا، فقال له علي: ألكم محاسن؟ قال نعم إنا لنعمر المسجد الحرام، ونحجُّ الكعبة، ونسقي الحاج، ونفك العاني، فأنزل الله ﷻ رداً على العباس ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ﴾ [التوبة: ١٧] <sup>(٢)</sup>.

### القرءات:

﴿يَعْمُرُ مَسَاجِدَ﴾ قرأ الجمهور بفتح المضارعة، وضم الميم من عَمَرَ يَعْمُرُ وقرأ ابن السُمَيْفِع بضم حرف المضارعة من أَمَرَ يُعْمُرُ: أي يجعلون لها من يعمرها، وقرأ ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء بن رباح ومجاهد وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب "مسجد الله" بالإفراد، وقرأ الباقر "مساجد"، وروي عن الحسن البصري أنه تعالى قال "مساجد" والمراد: المسجد الحرام لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها فعامره كعامر جميع المساجد، وقال الفراء: العرب قد تضع الواحد مكان الجمع كقولهم فلان كثير الدرهم وبالعكس كقولهم فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس إلا ملكاً واحداً<sup>(٣)</sup>، "والمعنى الثاني: يراد به جنس المساجد"<sup>(٤)</sup>.

و"سقاية" سقاة و"عمارة" عمرة على قراءة عبد الله بن الزبير وأبي بن كعب.

"أجعلتم سقاة الحاج وعمرة المسجد": وذلك على جمع الساقى والعامر، والمعنى أنه لا يستوي الساقى والعامر للمسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله<sup>(٥)</sup>، وهذا فيه إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمال المشركين المحبطة بأعمال المؤمنين المثبتة<sup>(٦)</sup>.

---

= على الكوفة في عهد معاوية بن أبي سفيان، وكان عاملاً على حمص، وقتل بها سنة ٦٥ هـ على يد خالد ابن خلى الكلاعي، روي له ١١٤ حديثاً في كتب الحديث. ينظر: تهذيب التهذيب، (م ١٠، ص ٤٤٧، ٤٤٩).

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، (ب ٢٩، ح ١٨٧٩).

(٢) أسباب النزول، للواحدي، (ص ٢٠٠)، ولباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، (ص ٢٢٢).

(٣) ينظر: فتح القدير، للشوكاني، (م ١، ص ٧١٥).

(٤) ينظر: الكشف، للزمخشري، (م ٢، ص ٤٣٧)، وتفسير ابن كثير، (م ٢، ص ٥٣٢).

(٥) ينظر: تفسير البغوي، (م ٢، ص ٢٣٣)، وتفسير البيضاوي، (م ١، ص ٣٩٩).

(٦) الكشف، للزمخشري، (م ٢، ص ٤٣٧).

## البلاغة والنحو:

في قوله تعالى: ﴿وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ﴾ لطيفة وفائدة لغوية: لأن عمارة المسجد نوعان حسية ومعنوية فالحسية بالتشييد والبناء والمعنوية بالصلاة وذكر الله وقد رُبط بين العمارة للمسجد والإيمان بالله، حيث العمارة الحقيقية بالصلاة وذكر الله<sup>(١)</sup>.

﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: ابتداء فيه ذم للمشركين باسم الإشارة لأنهم تميزوا بوصف الشهادة على أنفسهم بالكفر.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ استئناف بياني يبين أحقية العمارة للمؤمنين المهتدين وجاء بصيغة القصر ليبين أن المقصود إقصاء المشركين والموصول وصلته يثبت أن العمارة خاصة للمسلمين<sup>(٢)</sup>.

## الأحكام الشرعية:

لا يجوز أن تكون عمارة المسجد للمشركين والكفار، وذلك أن الآية واضحة وأبطلت قول من افتخر منهم كما ذكر السدي: قال افتخر العباس بالسقاية، وشيئة بالعمارة، وعلي بالإسلام والجهاد فصدق الله علياً وكذبهما، وأخبر أن العمارة لا تكون بالكفر، وإنما يكون بالإيمان والعبادة وأداء الطاعة وهذا بين واضح دلت عليه الآية الكريمة ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]، وأكدت الآية قول ﴿فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]، لأن عسى بمعنى واجبة من الله عن ابن عباس وغيره<sup>(٣)</sup>.

## ثانياً: التفسير الإجمالي:

يؤكد الله ﷻ في هذه الآيات الكريمة أنه لا يصح ولا يستقيم ولا ينبغي ولا يليق بالمشركين أن يعمرُوا شيئاً من المساجد حال كونهم مقرين بالكفر ناطقين بأقوالهم حيث كانوا يقولون في تلبيتهم: "لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هولك، تملكه وما ملك" يعنون الأصنام، وكانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت، وكانوا يطوفون عراة كلما طافوا طوفة سجدوا للأصنام<sup>(٤)</sup>.

(١) صفوة التفسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٨٩).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ١٤١).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م ٤، ص ٢٧، ٢٨).

(٤) ينظر: التفسير الوجيز ومعجم معاني القرآن العزيز، وهبة الزحيلي، ص ١٩٠، وصفوة التفسير، للصابوني،

(م ١، ص ٤٨٨).

والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين: عمارة مساجد الله، مع كفر بالله وعبادته فهؤلاء أحبط الله أعمالهم بما قارنها من الشرك وجزاؤهم نار جهنم ماكنون فيها أبداً، وعمارة المساجد لا تليق ولا تستقيم إلا بالمؤمن الصادق، المصدق بوحدانية الله، الموقن بالآخرة، الذي يقيم الصلاة المكتوبة بحدودها، ويؤدي الزكاة المفروضة بشروطها، ولم يخف إلا الله ولم يرهب أحداً سواه، فعسى أن يكونوا في زمرة المهتدين يوم القيامة، ثم خاطب الله ﷺ المشركين بأسلوب الاستفهام الذي يحمل معنى التوبيخ والإنكار على من يساوي أعمال المشركين في الجاهلية من سقاية الحجيج وسدانة البيت، كإيمان من آمن بالله وجاهد في سبيله، فلا يتساوى المؤمنون بالمشركين، فالله لا يهدي كل كافر ظالم، ظلم نفسه بترك الإيمان، وظلم المسجد الحرام يجعله معبداً لأوثانهم وضلالاتهم فنفى الهداية عن المشركين وأثبتها للمؤمنين الصادقين المخلصين<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- لا حجة لمن لا يقاتل أهل الكفر والشرك: بعد البراءة والإعلان لم يبق عذر ولا حجة لمن لا يقاتل الملل المنحرفة عن طريق الحق فملة الكفر واحدة، فلا يصح أن نترك من يشهدون على أنفسهم بالكفر شهادة الواقع الذي لا يملكون إنكاره مما يصدر منهم من حقد وكرهية للعقيدة الصحيحة، عقيدة محمد ﷺ، الذين قابلوه بالصد والعنف والقهر والظلم، وورد في الحديث عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله قال: دخل النبي ﷺ مكة، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نُصباً، فجعل يطعنها بعود كان بيده، ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً)<sup>(٢)</sup>، فيجب على كل مؤمن أن يُعمق جذور الإسلام في أعماق فطرته فالإسلام حق ويستمد قوته من الله الحق، فرفع راية الإسلام ومحاربة الفجار في الأرض هو طريق الخلاص الوحيد للبشرية المهتدة بالدمار والبوار، فالإسلام وتمكينه في الأرض ضرورة إنسانية وحتمية فطرية، فلا بد من ميلاد جديد لأمة الإسلام عندما يجتمع الكل على ترك الأعدار والتحايل والغدر، ومقاتلة جميع الملل الفاسدة التي تحارب الإسلام والمسلمين<sup>(٣)</sup>، والذي أراه أنه لا بد من كل إنسان حريص على عقيدته ومنهجه الصحيح، ومبادئه المستمدة من الإسلام العظيم أن يحطم صنم الخوف والذل، والهوان من داخله ويستمد الثقة واليقين بأن النصر بيد الله، ولكن يحتاج من كل غيور على دينه اليوم، وفي ظل هذا الزمن الذي ينتشر

(١) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٨٨).

(٢) ينظر: الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، (ص ٤١٠)، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة، (ب ٣٢، ج ١٧٨١)، (ص ٤٤٦).

(٣) ينظر: الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، د. صادق أمين، (ص ٥٥).



فيه الرُّوبِيضَةُ، ودُعاة الظلم والفساد أن يثور من داخله، فيدفعه إلى العمل والحد ليدحض هذا الكيد العالمي ضد الإسلام والمسلمين، فيجب على كل مسلم اليوم أن يحطم أصنام الكفر والشرك، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]، وعليه أن ينوي نية صادقة، ومخلصة بأنه سوف يجاهد كل مكر، وخديعة، وفساد، ضد من يتآمر على الإسلام اليوم فلا عذر له بعد سورة براءة، أن يتبرأ من المفسدين والطواغيت في الأرض وما يفعلونه من مذابح وجرائم حرب ليس لهم ذنب إلا أن يقولوا ربنا الله، فقد روي في الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق) <sup>(١)</sup>، وعن المغيرة <sup>(٢)</sup>، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لن يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله، وهم ظاهرون)، وعن جابر بن سمرة <sup>(٣)</sup> عن النبي ﷺ أنه قال: (لن يبرح هذا الدين قائماً، يقاتل عليه عصابة من المسلمين، حتى تقوم الساعة) <sup>(٤)</sup>، فعلى كل حُرٍّ أن يثور ضد طغيان الظلم، يتحرك لتعود الحرية، ليعود شرف الأمة، ويُعيد الشعار العنيد "الله أكبر" ويبدأ بالتغيير <sup>(٥)</sup>.

٢- المساجد بيوت الله لا يعمرها إلا من يعمر التوحيد قلوبهم: الرسول ﷺ منذ وطئت أقدامه المدينة المنورة بدأ في تأسيس الدولة الإسلامية ومن أول وأعظم وأهم الأعمال التي قام بها، بناء المسجد، الذي هُجِرَ من أرضه ﷺ وطورد وعُذِبَ لأنه يريد أن يقيم شعائر الإسلام في بيت الله الحرام في مكة المكرمة أعظم بقعة في العالم وفي تاريخ الأرض، مُنِعَ ﷺ من عمارة المسجد الحرام، ومُنِعَ من الصلاة والعبادة في مكة المكرمة، لذلك أول ما حطت أقدامه المدينة بنى أول مسجد في الإسلام قباء، ثم بنى المسجد النبوي الشريف وهذا إنما يؤكد على أهمية

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو، (ب٤٧، ح١٩١٠)، (ص٥٠٠).

(٢) المغيرة: المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي، أبو محمد، شهد الحديبية، وأسلم زمن الخندق، وشهد اليمامة واليرموك والقادسية، كان أديباً لبيباً فطناً، اتصف بدهاء العقل والفراسة، توفي سنة ٥٠هـ، روي له ١٣٦ حديثاً. ينظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، (م١٠، ص١٩٦).

(٣) جابر بن سمرة: أبو عبد الله بن جنادة السوائي، صحابي، كان حليف بني زهرة، له ولأبيه صحبة، نزل بالكوفة، توفي في ولاية بشر على العراق سنة ٧٤هـ، روي له في كتب الحديث ١٤٦ حديثاً. ينظر: الأعلام، للزركلي، (م١، ص١٦١)، الإصابة في تمييز الصحابة، (م١، ص٥٣٠).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم...)، (ب٥٣، ح١٩٢١، ح١٩٢٢).

(٥) تنظير التغيير، محمد أحمد الراشد، (ص١٠).

المسجد العظيمة في الإسلام، حيث كان مدرسة للتعليم والتهديب، ومحكمة للقضاء العادل، وداراً للشورى، ومركزاً لقيادة الجيش، وكان مكاناً لاستقبال الوفود والرسول، فكان مؤسسة متكاملة لخدمة الإسلام والمسلمين، وأنقذ العرب من الجاهلية المتعفنة التي كانت تعبد الأصنام والأوثان من دون الله أنقذهم الإسلام من التفرق والتمزق وخلصهم من عبادة الأجار التي لا تضر ولا تنفع، وصقل نفوسهم وهذبها بالفكر الديني الصحيح، وبالعقيدة الراسخة فدعاهم إلى التوحيد بالله، وأثار عقولهم بمنهج القرآن الكريم الفريد، نور الإسلام الذي انطلقت شعلته الأولى من المسجد، من بيوت الله، بعمارتها وخاصة من أعظم بيوت الله في الأرض، المسجد الأقصى، وبيت الله الحرام والمسجد النبوي، أظهر وأقدس بقاع الأرض، وخاصة بعد تحول قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام للتمييز عن المشركين قبل الهجرة، وحاز المسلمون شرف أن يكونوا من أهل القبليتين، وهذا كان له عاملاً هاماً وأساساً متيناً في بناء الدولة الإسلامية، حيث دخل الموحدون لله أصحاب العقيدة السلمية بيت الله معتمرين فاتحين منتصرين، وأشرقت الجزيرة العربية بنور الإسلام إلى سائر أنحاء العالم<sup>(١)</sup>، وعندما كبر النبي بعد دخوله البيت الحرام وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، نبذل كل ألوان الشرك في الجاهلية إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، وأعلن أن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة<sup>(٢)</sup>، وهكذا تبرا الصلوة من الشرك وأهله وأعلنها صريحة ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمْنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [التوبة: ١٨]، ولقد أثبت الإمام الشهيد حسن البنا أن الأمة الإسلامية تستطيع أن تعيد فهم الإسلام من جديد وتعبر عن نفسها تعبيراً صادقاً، وأن التجربة التي خاضها المسلمون الأوائل في صدر الإسلام من الممكن تكرارها حتى يعود لهذا الدين مجده<sup>(٣)</sup>، ونصرة المسجد الأقصى والقدس، تقع على عاتق الأمة الإسلامية كلها، يشترك فيها جيلٌ بعد جيل، لذلك نرى هجمة شرسة اليوم من أعداء الإسلام على المساجد، من تدمير وتدنيس وحرق، لأنهم يعلمون تماماً أن المساجد وإعمارها هي السبيل لتحرير المسجد الأقصى وكافة مساجد الأرض من دنس كل معتدٍ ظالم وفاجر.

٣- لا يستوي الخبيث مع الطيب: قررت الآيات مقصداً عظيماً باستحالة مساواة أعمال المشركين بأعمال المسلمين، فلا يستوي الإيمان مع الكفر، حيث قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ

(١) ينظر: تاريخ الدولة العربية حتى نهاية الغزو المغولي، د. أحمد فاعور، ود. شحادة الناطور، (ص ٤٥).

(٢) ينظر: الرحيق المختوم، للمباركفوري، (ص ٤١٣).

(٣) ينظر: الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، د. مصطفى السباعي، وأ. كامل الشريف، (ص ٧).

وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿التوبة: ١٩﴾ ، وبينت الآيات أن الله تعالى أنكر على المشركين أن تتساوى أعمالهم مع أعمال المؤمنين، الذي أبطل الله أعمالهم بسبب شركهم وفساد عقيدتهم<sup>(١)</sup>، فميزان الله عادل فلا يستوي الخبيث مع الطيب، فالعمل الصالح الطيب، هو العمل المرضي عنه عند الله تعالى، وهو الذي يجمع بين شيئين الأول: أن يكون العمل وفق شرع الله، والثاني: أن يكون مقصوده مرضاة الله وطاعته، فإذا فقد العمل هذين الأمرين أو أحدهما، لم يكن مقبولاً، ولا مرضياً عند الله تعالى، فلا أجر فيه ولا ثواب، وسوف يحبطه الله لفاعله، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] ، فلا يستوي عند الله تعالى عمل مصاحب لكفر أو شرك، أو معصية كبيرة أو نفاق أو غدر وخيانة مع عمل طيب طاهر، هو ثمرة الإيمان بالله واليوم الآخر، لأن الإسلام شرط لقبول العمل، لذلك قرن الله تعالى العمل الصالح بالإيمان في معظم آيات القرآن الكريم مثل قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٩]<sup>(٢)</sup>.

والذي أراه من خلال دلائل الآية الكريمة توجيه نداء لكل مسلم ومسلمة بأن لا يخلط عملاً صالحاً بآخر سيئاً، حتى يقبله الله ويرضى عنه وعن أعماله، فيجب علينا كمسلمين الابتعاد عن التقليد الأعمى لأهل الكفر والشرك والفسق والفجور، والحذر كل الحذر من اللجوء إلى السحرة والعرافين، وأن لا نعلق كل همومنا ومشاكلنا على أنه عين أو سحر فنلجأ إلى أفعال تخرج المسلم من ملة الإسلام كالتطير وتعليق التمام المحرمة، وقراءة الفنجان والكف، والأبراج، كل هذا للأسف ما نراه اليوم في واقع المسلمين، أو نسمع منهم كلاماً يخالف الشرع، كالإكثار من البدع وإساءة الأدب مع الله وهذا يخرج من الملة أيضاً، وهذا وأسأل الله أن يجعل أقوالنا وأفعالنا وأعمالنا صالحة تُرضي ربنا، حتى نحافظ على ديننا وعقيدتنا، ولا تحبط أعمالنا يوم الوقوف بين يدي خالقنا، فيتساوى المسلم والكافر في العقوبة أمام الله تعالى، فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] .

٤- العمل أعظم مظاهر الانتماء للدين وأعظمه الجهاد في سبيل الله: العمل هو أحد أركان البيعة على الإسلام عند جماعة المسلمين، لأنه هو أساس لإعادة الكيان الدولي للأمة

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٦١٤).

(٢) ينظر: أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، (ص ٣٧).

المسلمة وأستاذية العالم، فالمنهج الإسلامي منهج عقيدة، وعمل يصدق العقيدة، والإسلام منهج حياة واقعية تحتاج إلى العمل للدعوة، لأنه منهج حركي واقعي، فالذين يخرجون للجهاد يشعرون بالسعادة ولذة العمل حيث قال العلامة القرضاوي: "الحكمة في العمل للإسلام أظهرت الصحة الإسلامية، التي أعادت للأمة الثقة بالنصر والجهاد في سبيل الله، وهذا ما يقلق أعداء الإسلام في الداخل والخارج" (١)، قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] (٢)، فيجب على كل مسلم أن يتحلى بالهمة العالية، ويخدم دينه، بكافة أنواع الجهاد، سواء جهاد النفس أم جهاد الكلمة أم جهاد الدعوة والبذل والعطاء، أم جهاد السلاح والمقاومة، فزُب همة تحيي أمة، وخير وأحب الأعمال إلى الله الجهاد في سبيله حيث ورد في الحديث عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: (الغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها)، وفي رواية عن أبي أيوب يقول: قال رسول الله ﷺ: (غدوة في سبيل الله أو روحة خير مما طلعت عليه الشمس وغربت) (٣)، فنحن اليوم ونحن نعيش العدوان والقهر والتآمر على الإسلام والمسلمين والمقدسات الإسلامية من قبل العدو الصهيوني، وأعداء الإسلام، حيث تكالبت اليوم على الإسلام الكثير من الأنظمة الفاسدة سواء كانت عربية أو دولية فالأعداء للإسلام وأهله كثر، اجتمعوا جميعاً ضد الإسلام والتآمر عليه، لذلك يجب علينا أن نفيق قبل فوات الأوان، وأن نهزم قوى التآمر على الإسلام والنيل منه، فهل أعددنا أنفسنا لمواجهةهم فإله سبحانه يقول عن هؤلاء المجرمين أعداء الإسلام: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧] ، سواء بأسلحة الدمار الشامل أم بالغزو الفكري، فهم يعملون ليل نهار للقضاء على الإسلام الذي يُورق مضاجعهم، ولكن للأسف نرى الكثير من المسلمين اليوم أصابهم الضعف والخور وأصبحوا غناء كغناء السيل مسلمون يحملهم الإسلام عبئاً على ظهره، لا مسلمون يحملون الإسلام فكرة ومنهج وعقيدة راسخة، ويدافعون عنها، ويعملون الكثير من أجلها، للأسف نحن نعيش اليوم أزمة مسلمين لا أمة إسلام (٤)، ولكن نحن ننشد اليوم جيل النصر، جيل العمل جيل الدعوة، جيل يحقق الانتصارات على يديه، ويحرر كل أرض دنسها الطواغيت والفجار،

(١) المبشرات بانتصار الإسلام، د. يوسف القرضاوي، (ص ١٣٨).

(٢) ينظر: بأقلامنا زاد الرواحل، الدائرة التربوية، (ص ١١٥).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، (ب ٣٠، ح ١٨٨٠)، و(ب ٣٠، ح ١٨٨٣).

(٤) مسافر في قطار الدعوة، د. عادل عبد الله الشويخ، (ص ٨٥، ٨٩)، ينظر: قضايا إسلامية معاصرة - على

بساط البحث-، د. يوسف القرضاوي، ص ٣٥.

ونعيد زمن خالد وعمر وعلي وعثمان وأبو بكر ومن سار على دربهم، ونعمل ونجد، ونسهر من أجل خدمة هذا الدين العظيم، وليكن شعار كل مسلم: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأَنْعَام: ١٦٢].

٥- تخلص مسرى الهادي ومهبط الأنبياء أعظم مساجد الأرض من المعتدين: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ...﴾ [التوبة: ١٨]، ولكن نجد اليوم من يندس أظهر مساجد الأرض أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى رسول الله ﷺ، أرض المحشر والمنشر، أرضه طاهرة مباركة، مهبط الرسالات، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، نجد اليوم استكمال اعتداءات اليهود على فلسطين باحتلال القدس، ومن هذه الأخطار التي تهدد المسجد الأقصى، عقيدة الصهاينة ببناء هيكلهم المزعوم مكان المسجد الأقصى وبدء الحفريات من تحته، حيث بدأت الحفريات من سنة ١٩٦٧م ووصلت إلى خمسة عشر متراً تحته، وما زالت مستمرة ليومنا هذا، لأنهم يعتقدون أن هيكل سليمان يقع تحت المسجد الأقصى، وللأسف جميع الدول الغربية تدعم هذا وتؤيده لأنه جزء من عقيدتهم، فنجد الاعتداءات المتكررة كل يوم على الأقصى، مرة بتدنيسه من المستوطنين الصهاينة، ومرة بهدم جزء كبير من حوله ومن تحته، ومرة بتهجير سكان القدس وطردهم من أراضيهم، وإقامة صلواتهم اليهودية في ساحة حائط البراق، مما يستفز هذا مشاعر المسلمين؛ لأن القدس حق ديني وتاريخي للمسلمين ومن حقهم الدفاع عن مقدساتهم وعقيدتهم، وعن هذا الخطر للسيطرة على مقدسات المسلمين وحرمانهم من زيارتها والعبادة فيها وهذا ما أراده الاحتلال وهو إبعاد قضية الأقصى والقدس عن قلوب المسلمين ونفوسهم، بأفكارهم المزيفة الكاذبة المسمومة، التي تؤكد مدى حقدهم على الإسلام والمسلمين<sup>(١)</sup>، فهم يدخلون المسجد بأجسادهم النجسة المتعفنة والمسلمون مُغَيَّبُونَ، نائمون، الأقصى في خطر، أفيقوا يا مسلمين قبل أن يُهدم!!، يَحْجُهَا اليهود مرتين في العام، ونحن كمسلمين محرومين من إعمارها، أعظم بقعة في الأرض، طهرها الله وباركها في القرآن الكريم، يضع يده عليها محتل ظالم صاحب عقيدة فاسدة مزيفة، كاذبة، ومحرفة،

---

(١) ينظر: المسجد الأقصى والأخطار المحدقة به، د. نسيم ياسين، (ص ٦-٢١)، ووثيقة جنيف، دراسة وتعليقات، عبد الفتاح دخان، (ص ١٢، ٩٩).

والعرب لم يستيقظوا بعد لهذا المخطط الإجرامي بحق القدس والمسرى، زعماء اليهود يكيون ويتآمرون على هدم الأقصى<sup>(١)</sup>، والعرب المسلمون، للأسف أنهم مسلمون متخاذلون متواطئون على بيع الأقصى والمقدسات، بل بيع كل فلسطين، من أجل الكراسي والمال والنفوذ والسلطان، يا للعار على أمة المليار من المسلمين، متى سوف تُزلزلوا كيان الصهيونية، قبل أن يُزلزلوا الأقصى والقدس، رمز عقيدتنا، ومسرى نبينا محمد ﷺ، انهضوا وتخلصوا من التحالف الاستعماري الصهيوني الصليبي الماسوني العلماني، الإرهابي الذي يقتل، ويدمر، ويستوطن، ويهدم، ويُهجّر، يدنس، ويشرد... كل هذا من أجل القضاء على عقيدة الإسلام، فأين أنتم يا مسلمون!<sup>(٢)</sup>، أليس من العيب على الرجال أن تقوم النساء بدورهم في الدفاع عن الأقصى الشريف، أين أحفاد صلاح الدين، والقسام نريد أن تعود أيام المجد والبطولة، واقداسه، القدس تنادي وتتألم لما يحدث بها اليوم وعلى مدار التاريخ وما زال الصمت العربي قائم على جرائم المحتل، فواجب حماية الأقصى والقدس من دنس اليهود هو واجب على كل مسلم عربي حر أبي، واجب على الأمة الإسلامية والعربية، فطريق الجهاد هو السبيل لتحرير الأقصى وفلسطين.

## المطلب الثاني

### فضل المؤمنين المهاجرين المجاهدين

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ \* يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ هُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ \* خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٠-٢٢].

أولاً: التفسير التحليلي:

مناسبة الآيات لما قبلها:

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا...﴾ [التوبة: ٢٠] هنا بعد الحديث عن الإنكار على المشركين أن يكونوا من عمار البيت، لزيادة التنويه بشأن الإيمان، إعلماً بأنه دليل إلى

(١) ينظر: اليهود سيهدمون المسجد الأقصى المبارك قريباً، د. صالح الرقب، (ص ٥-٨).

(٢) ينظر: الحركة الإسلامية وقضية فلسطين، زياد أبو غنيم، (ص ١٤٨)، وفي قضية فلسطين الحق والباطل، نبيل شبيب، (ص ٨-٩).

الخيريات، فالذين آمنوا قد هداهم إيمانهم إلى فضيلة الجهاد، فالإيمان هو الأصل فلولا الإيمان ما كانت السقاية وعمارة المسجد للمؤمنين، لأن إيمانهم كان من آثار غزوة فتح مكة الذي آمن فيها العباس وهو صاحب السقاية وآمن عثمان بن طلحة وهو صاحب عمارة المسجد الحرام<sup>(١)</sup>، فالإيمان هو سبب ودليل إلى الخيريات.

### سبب النزول:

قال الحسن والشعبي: نزلت الآية في علي والعباس وطلحة بن شيبه، وذلك أنهم افتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولو أشاء بت فيه وإلي ثياب بيته، وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، وقال علي: ما أروي ما تقولان لقد صليت ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد، وفي رواية ابن سيرين: قال علي للعباس: ألا تهاجر ألا تلحق بالنبي ﷺ، فقال: ألت في شيء أفضل من الهجرة، ألت أسقي حاج بيت الله، وأمر المسجد الحرام، فنزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا...﴾<sup>(٢)</sup>.

### البلاغة:

"لهم درجات عند ربهم": استعارة لرفع المقدار عند الله ﷻ، رِفْعَةً رِضَاءً من الله وتفضيل بالتشريف لأن أصل "عند" ظرف للقرب، أي قريبهم من الله ورفعهم مقدارهم عنده ﷻ.

### النحو:

"وأولئك هم الفائزون": معطوفة على "أعظم درجة" أي: أعظم وهم أصحاب الفوز وتعريف المسند باللام مفيد للقصر، وهو قصر ادعائي للمبالغة في عظم فوزهم حتى إن فوز غيرهم بالنسبة إلى فوزهم يعد كالمعدوم، واسم الإشارة للتنبيه على أنهم استحقوا الفوز لأجل تلك الأوصاف التي ميزتهم: وهي الإيمان والهجرة والجهاد بالأموال والأنفس، والجملة مفيدة للحصر أي هم الفائزون لا غيرهم<sup>(٣)</sup>.

"برحمة، رضوان، جنان، نعيم" جاءت كلها نكرة للتعظيم والتفخيم أي برحمة لا يبلغها وصف واصف<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص١٤٦).

(٢) أسباب النزول، للواحيدي، (ص٢٠١)، ولباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، (ص٢٢٣).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص١٤٨)، وصفوة التفسير، للصابوني، (م١، ص٤٨٩).

(٤) المرجع السابق، (م٥، ص١٥٠)، وصفوة التفسير، للصابوني، (م١، ص٤٨٩).

## القرآءات:

"يبشرهم": قرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف، وتتكير المبشر به إشعار بأنه وراء التعيين والتعريف<sup>(١)</sup>، وقال ابن عباس قرأت بالتخفيف والتثقل وهي في المهاجرين خاصة<sup>(٢)</sup>.

## علوم القرآن:

أن الآية الكريمة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ...﴾ [التوبة: ٢٠]، تتشابه مع الآية في سورة الأنفال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا...﴾ [الأنفال: ٧٢]، ودرة التنزيل في المعنى الوارد في المتشابهات في القرآن، أن في الأنفال قدم الأموال والأنفس على قوله في سبيل الله، ولكن قدم في سبيل الله في براءة على ذكر الأموال والأنفس والمعنى في الأنفال التأكيد على أنهم أصحاب النبي ولا يمكن أن يكونوا قد أسروا المشركين من أجل المال وحتى يعلموا المؤمنين أن الأولى لهم الجهاد عما حرصوا عليه من فائدة الأسرى، ولكن في براءة أبطل ما أتى به المشركون من عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وجاهد في سبيله، فهم لا يستوون عند الله، وذكر المال والنفس بعد ذكر الإيمان والجهاد لأنه اقتضى تقديم الأولى، فقدم في الأنفال ما أخره في براءة، لبيان الحكم والعبر من آيات الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

## ثانياً: التفسير الإجمالي:

بين الله ﷻ في هذه الآيات الكريمة مدى فضل أهل الجهاد والإيمان، بأن لهم خير وأفضلية عند الله ﷻ أكثر من غيرهم فأكد سبحانه أن الذين طهروا أنفسهم من دنس الشرك بالإيمان، وطهروا أبدانهم بالهجرة من الأوطان، وبذلوا أنفسهم وأموالهم للجهاد في سبيل الرحمن، هؤلاء المتصفون بالأوصاف الجليلة أعظم أجراً، وتشريفاً وكرامة، وأرفع ذكراً من سقاة الحاج، وعمار المسجد الحرام وهم بالله مشركون، وهم المختصون بالفوز العظيم في جنات النعيم حيث يبشرهم المولى برحمة عظيمة، ورضوان كبير من رب عظيم، وجنات عالية، قطوفها دانية، لهم فيها نعيم مقيم دائم لا زوال له، أي ماكتين في الجنان إلى مالا نهاية، أي ثوابهم عند الله عظيم، تعجز

(١) تفسير البيضاوي، (م ١، ص ٣٩٩).

(٢) تفسير الكشاف، للزمخشري، (م ٢، ص ٤٣٧).

(٣) درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي، (ص ١٠٤).



العقول عن وصفه <sup>(١)</sup>، قال أبو حيان: لما وصفت المؤمنين بثلاث صفات: الإيمان، والهجرة، والجهاد بالنفس والمال، قابلهم على ذلك بالتبشير بثلاثة: الرحمة، الرضوان، والجنان، فبدأ بالرحمة لأنها أعم النعم في مقابلة الإيمان، وتنتى بالرضوان الذي هو نهاية الإحسان في مقابلة الجهاد، وتلت بالجنان في مقابلة الهجرة وترك الأوطان، وقال الألويسي: ولا يخفى أن وصف الجنات بأن لهم فيها نعيم مقيم جاء في غاية اللطافة، لأن الهجرة فيها السفر، الذي هو قطعة من العذاب <sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- الإيمان والهجرة إلى الله سبب الرفعة والفوز بالجنة: الإيمان بالله تعالى ظاهراً، وباطناً، وهو التمسك الصحيح بالعقيدة الراسخة، لأنه إذا لم تصح العقيدة، لم تصح العبادة، فالمؤمنون حقاً هم من يستقيم قلبهم، وتستقيم جوارحهم صادقون، مخلصون لله تعالى في أقوالهم، وأفعالهم <sup>(٣)</sup>، وهذه كانت مواصفات المهاجرين المؤمنين الذين فازوا بأعظم درجة عند الله، وبفضل عظيم لا يضاهيه فضل، بسبب أعمالهم الطاهرة المخلصة، لأنهم هجروا أوطانهم، وديارهم، وأموالهم وزوجاتهم، وأولادهم من أجل الدين، والعقيدة، كما هجروا الذنوب والمعاصي والآثام، لأنهم تربوا على مائدة القرآن، وأستاذهم، ومدرستهم هو سيد البشرية، سيد ولد آدم، محمد ﷺ الذي ضرب أروع الأمثلة في هجر كل ملذات الحياة وشهوات الدنيا من أجل نشر الدين وأداء الرسالة حيث كان قرآناً يمشي على الأرض بأخلاقه ومعاملاته ﷺ، لذلك يجب على كل مسلم اليوم ونحن نعيش أيام كثر فيها الفتن والضلالات، أن يهجر كل ما يفسد الدين والأخلاق، أن يهجر البدع والأهواء والمعاصي وكل ما يغضب الله ﷻ، مثل الظلم والغدر والخيانة والخصومات والاعتداءات ويتجرد لله ﷻ بالطاعة والإخلاص <sup>(٤)</sup>، فالآية الكريمة تدعو كل مسلم أن يتمسك بعقيدته، ويهجر شهوات الدنيا من أجل الآخرة حتى يفوز بالفضل والرفعة عند الله <sup>(٥)</sup>، ويجاهد نفسه، بترك المحرمات، ويجاهد بأمواله ويجاهد بأغلى ما يملك، فيقدم نفسه رخيصة في سبيل إعلاء كلمة التوحيد، في سبيل إعلاء صوت الحق على الباطل، وهذا

(١) صفوة التفسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٨٩).

(٢) تفسير البحر المحيط، أبو حيان، (م ٥، ص ٢١).

(٣) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٦١٤).

(٤) ينظر: مختصر منهاج القاصدين، للشيخ أحمد بن الرحمن بن قدامة المقدسي، (ص ٩٧).

(٥) سباق نحو الجنان، خالد أبو شادي، (ص ٢٥).

مسؤولية كل مسلم غير على دينه ووطنه وأهله (١)، والمجاهد عند ابن الجوزي هو من جاهد هواه، قال رحمه الله: "رأيت الخلق كلهم في صف محاربة والشياطين يرمونهم بنبل الهوى، ويضربونهم بأسيايف اللذة، فأما المخلطون فصرعى من أول وقت اللقاء، وأما المتقون ففي جُهد جهيد من المجاهدة، فهم يُجرحون ويُداوون إلا أنهم من القتل محفوظون، بلى إن الجراحة في الوجه شين، فليحذر ذلك المجاهدون" (٢).

٢- الإيمان بوجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺ وأفضليتهم: هذه الآيات الكريمة أشارت إلى مقصد عظيم وهو وجوب محبة من أحبه الله ورضي عنهم، أصحاب رسول الله ﷺ، وآل بيته وأفضليتهم على من سواهم من المؤمنين والمسلمين، وأنهم فيما بينهم متفاوتون في الفضل وعلو الدرجة بحسب أسبقيتهم للإسلام فأفضلهم الخلفاء الراشدون الأربعة، ثم العشرة المبشرون بالجنة، ثم المبشرون غير العشرة، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم من جاء بعدهم في الفضل، وكلهم من الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأرواحهم في سبيل رفع راية الإسلام، فهؤلاء جميعاً يحبهم الله تعالى حيث يقول: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤] ، وقال ﷺ في أفضليتهم: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] (٣)، فعلىنا إذن أن نتخذهم قدوة في حياتنا بأعمالهم وروائعهم، لا نتخذ المغرضين والذين يكيدون للإسلام ليل نهار أمثال علماء السلاطين الأشرار، أو الإعلاميين أصحاب الصحافة الصفراء المغرضة التي تنتشر الفتن والفساد، ولا الفنانين والمغنيين والراقصين والراقصات، ولا نتعرض لهم بسوء أو عيب كما يفعل الحاقدون اليوم من الشيعة، حيث أصبح شغلهم الشاغل هو الضرب والطعن في آل البيت، وفي أصحاب رسول الله ﷺ ففي الحديث عن أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه) (٤)، وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (خير

(١) ينظر: سباق نحو الجنان، خالد أحمد أبو شادي، (ص ٢٥).

(٢) صيد الخاطر، لابن الجوزي، (ص ١٤٦).

(٣) منهاج المسلم، أبي بكر جابر الجزائري، (ص ٥٢-٥٣).

(٤) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، (ب ٥٤، ح ٢٥٤٠)، (ص ٦٤٩).

أمتي القرن الذين يلوني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (...)، وفي رواية: (سئل أي الناس خير؟ قال: قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تَبْدُرُ شهادة أدهم يمينه، وتَبْدُرُ يمينه شهادته) <sup>(١)</sup>، وفي رواية (تسبق) بدلاً من (تَبْدُرُ).

٣- الجهاد بأنواعه هو التجارة الربحية مع الله: الجهاد بكافة أنواعه هو الغاية المقصودة من طريق الدعوة إلى الله، وهو أصل القضية وعليه مدار النجاح والفلاح فالله هو الغاية ونسعى بسلوكنا طريق الدعوة إلى نيل رضوانه ونعيمه والنجاة من النار واستجابة لنداء الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ \* تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* يَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ \* وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصَّف: ١٠-١٣]، فهذه هي التجارة الربحية مع الله تعالى، لأن طريق الدعوة يطلب ممن يسلكه البذل والتضحية بالنفس والمال والوقت والجهد والصحة والعلم، بإخلاص وصدق نية مع الله، وهجر كل ما يحبط العمل من أمراض القلوب التي تبعد المؤمن عن صف الصادقين المخلصين، وهذا كله طمعاً في ثواب الله تعالى وجزيل عطائه من النعيم المقيم بجنة نعيم <sup>(٢)</sup>، لذلك أوجه رسالة لكل مؤمن موحد بالله تعالى، لا تسعى إلى مغنم دنيوية من مال أو زعامة أو سلطان أو نفوذ أو غير ذلك من أهواء وشهوات الدنيا، ولكن ضع خط رجعة وفكر، ستجد أن الحياة زائلة بكل ما فيها ولم ينفع الإنسان إلا عمله الصالح وسيرته الطيبة، وهذا كله يأتي التمسك بشرع الله تعالى، وبالبذل والعطاء، بالمال والنفس والروح، لخدمة الإسلام والمسلمين فهذا هو الربح الحقيقي الذي يوصلنا جميعاً إلى بر الأمان وإلى نهاية رائعة، كم ينتظرها كل مؤمن، مجاهد، مخلص، صادق، في جنات الخلد في مقعد صدق عند مليك مقتدر، حيث لا يستوي المؤمنون العاملون مع اللاعبين القاعدين حيث يقول تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، (ب) ٥٢، ح ٢٥٣٢، ٢٥٣٣.

(٢) ينظر: قضايا أساسية على طريق الدعوة، مصطفى مشهور، (ص ٨)، وينظر: فقه السنة، السيد سابق، (م) ٣، ص ٣٦، ٣٧.

الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا \* دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿

[النساء: ٩٥-٩٦] .

لذلك يجب علينا كمسلمين، ومؤمنين أن نرتقي بأنفسنا حتى نرتقي بالجنة آمنين، فعلينا التمسك بمنهج الإسلام وبمفهومه الشامل والواسع؛ لأن النبي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فوضوح الطريق يكتب لنا النصر والعزة والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، فلنبدأ الخطى إلى الجنة بالتوكل على الله ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ [النمل: ٧٩] (١).

٤- هجرة الأمس هي هجرة اليوم: أشارت الآيات الكريمة على أن هجرة الحبيب محمد ﷺ يوم أن ناصبته قريش العدا وتكررت لدعوته وفرضت عليه الحرب والحصار وعذبت، وقتلت، فخرج من مكة يحمل دعوته هو وأصحابه عازمين على إيصالها للعالم أجمع فبدأت بالضعف وانتهت بالقوة، والعزة، والفتح، والنصر، لذلك يجب أن نسير اليوم في هذا العصر، عصر الحروب، والمحن والشدائد على الإسلام وأهله، وخاصة البقعة الصغيرة المحاصرة غزة، عليها أن تصبر، وتسير على خطى المؤمنين السابقين من المهاجرين من مكة، تلك البقعة الطاهرة التي طالما حُوصرت وعُذب أهلها، كما يفعل اليوم بأهل غزة تماماً، فهم هاجروا وتركوا الأموال والزوجات والأولاد، والشهوات وأخلصوا لله في هجرتهم، وصدقوا، فصدقهم الله، وكذلك اليوم أهل غزة، ليس لهم إلا إيمانهم وعقيدتهم، فإذا دافعوا عن هذه القيم والأسس الرائعة، سوف ينتصروا، ويكتب لهم العزة والقوة، وسوف يبذل الله لهم حياتهم بدل الفقر الغنى، وبديل الخوف الأمن، والاستقرار بعد التشريد العزة بعد الذل وهذا وعد من الله لكل المجاهدين المخلصين من المؤمنين، الذين هجروا الدنيا وشهواتها كما فعل المهاجرون من قبل تركوا الديار والمال من أجل الدين، فعوضهم الله بالخير الكثير حيث وعد الله كل مؤمن مخلص بذلك بقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور: ٥٥] (٢).

(١) ينظر: ماذا يعني انتمائي للدعوة، محمد عبده، (ص ٤٤، ٤٥)، وينظر: الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز، د. عبد العظيم بدوي، (ص ٤٨٤)، وينظر: أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، (ص ٣٣٠).

(٢) ينظر: بأقلامنا زاد الرواحل، الدائرة التربوية، (ص ٢١٦، ٢١٧).

لذلك يجب أن نهجر كل معصية، كل ظلم، كل بغي، نهجر ما هجره الرسول ﷺ رغم كل ما قاساه في هجرته، فيقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ [النساء: ٩٧]، فنهجر الفساد، والخصام، والنزاعات، وننشر العدل والأمن، والمعاملة الراقية لأن النبي ضرب أروع الأمثلة في الأخلاق حتى في هجرته كان يتعامل مع الناس باللين والرفق والرحمة، والحلم وملاقة الإساءة بالإحسان كما فعل في دعائه لكل من تطاول عليه من السفهاء فقال ﷺ: (لعل الله يخرج من أصلابهم من يقول لا إله إلا الله) هذا وهو في طريق هجرته وآلامه، وفي هجرته عفا عن سُرَاقَة (عد يا سُرَاقَة ولك سوارى كسرى) <sup>(١)</sup> وعفوه يوم دخل مكة فاتحاً بعد رحلته الشاقة مع الكفار، وهكذا يُعَلِّم المسلمين اليوم هجرة كل قبيح حتى يكتب الله النصر والعزة لمن يتمسكون بالعقيدة قولاً وعملاً ومعاملة، لذلك غزة تعيش اليوم رغم أنها قطاع صغير إلا أنه كبير برجاله ومقاوميه، ونسائه وأطفاله، حيث دعموا المقاومة، والجهاد تركوا بيوتهم وأموالهم نصرة للمجاهدين، ضحوا بأبناءهم وانتصروا بالفرقان والسجيل والعصف المأكول، وما زالت الانتصارات، لغزة الصامدة الجريئة والصغيرة ولكن كبيرة وعظيمة بصمودها الذي هَزَّ كيان الأعداء في العالم، وصدق الله حيث يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧] <sup>(٢)</sup>.

٥- لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية: بعد فتح مكة، ومبايعة المسلمين على الخير جاء المسلمون وأرادوا أن يبايعوا النبي على الهجرة فقال ﷺ كما ورد في الحديث الشريف عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم الفتح، فتح مكة: (لا هجرة، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا) <sup>(٣)</sup>، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول ﷺ عن الهجرة؟ فقال: (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا) وورد عن مجاشع <sup>(٤)</sup> عن

(١) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما، البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، (ب، ٧، ح ٣٢٣١)، (ص ٦٧٩)، ومسلم في كتاب الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، (ب، ٣٩، ح ١٧٩٤)، (ص ٧١٤).

(٢) ينظر: المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوى، (ص ١٧٢)، وينظر: زاد الرواحل، الدائرة التربوية، (ص ٢١٨).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب في معنى لا هجرة بعد الفتح، (ب، ٢٠، ح ١٣٥٢)، (ص ٤٩٠).

(٤) مجاشع: هو مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن وهب بن ربيعة بن يربوع بن سَمَّال بن عوف بن امرئ القيس بن بُهثة بن سليم بن منصور السلمي، نزل البصرة، روى عنه بعض الرواة مثل أبو عثمان النهدي، وكليب بن شهاب وغيرهم، أسلم قبل أخيه مجالد، قتل يوم الجمل بالبصرة مع عائشة قبل القتال الأكبر، وكان مع ابن الزبير في مقاتلته لكيم بن جبلة، قتل حكيم وقتل مجاشع. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، (م، ٥٦، ص ٥٦).

مسعود رضي الله عنه قال: جئت بأخي أبي معبد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> بعد الفتح، فقلت: يا رسول الله بايعه على الهجرة، قال: (مضت الهجرة بأهلها)، قلت: فبأي شيء تبايعه؟، قال: (على الإسلام والجهاد والخير) <sup>(٢)</sup>.

وبعض علماء المسلمين اليوم تطبيقاً لهذه الأحاديث الشريفة يفتون بحكم شرعي وهو عدم جواز الاستيطان الدائم في بلاد الكفار، إلا في حال الضرورة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]، لذلك تجب الهجرة في حقه إلى بلاد المسلمين عند عدم استطاعته إظهار شعائر الدين، خاصة إذا كان كافراً وأسلم فكان مستضعفاً في بلد الكفر، ولكن إذا استطاع اظهار دينه في بلاد الكفر فلا يهاجر إلى بلاد المسلمين؛ لأنه من المستحب أن يبقى في بلده خاصة إذا كان فيه مصلحة شرعية، كالدعوة إلى الإسلام ونحو ذلك، ولكن ما نراه اليوم في واقعنا أن معظم شباب المسلمين يهاجرون من أوطانهم إلى بلاد الكفر بحجة أن بلادهم كلها حروب وحصار ودمار، وأنهم يهاجرون من أجل البحث عن عمل للحصول على المال، ولكن للأسف الكثير منهم يهجرون بلادهم وأوطانهم من أجل الشهوات والمغريات ويعودون بلا دين أو خلق، يضيعون في وحل الفتن والمنكرات والرزائل، فيتشبهون بأهل الكفر، يتكلمون بلغتهم، ويأكلون طعامهم المحرم، ويمارسون أفعالهم المخالفة للشرع، فيا للعار على بعض شباب المسلمين، الذين يتركون أرض الجهاد، والرياط، والثبات، والعزة، والنصر ليذهبوا مهاجرين لبلاد الكفر، مع أن العاقل هو الذي يتمنى أن يعيش بأرض الشام، الأرض المباركة، التي جزاء العيش فيها بصبر وثبات ورياط الجنة، لذلك شأن الهجرة شديد لا يجوز إلا بضوابط شرعية وشروط وضعها الإسلام وعلى رأسها المحافظة على الدين والعقيدة، والنية الصادقة بجهاد أهل الكفر والضلال ومحاربة المعتدين منهم، لا الهجرة إليهم ومعاونتهم <sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب المبايعه بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير، (ب ٢٠، ح ١٨٦٤)، (ص ٤٩٠).

(٢) مختصر صحيح مسلم، للحافظ المنذري، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، كتاب الهجرة والمغازي، باب المبايعه بعد الفتح على الإسلام والجهاد والخير، (ح ١١٨٥)، (م ١، ص ٨٣).

(٣) ينظر: مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، أ.د عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، (ص ١٧٤، ١٧٥)، وينظر: سُبُل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، محمد بن إسماعيل الكحلاني، (م ٤، ص ٤٣).

٦- الخلود في الجنة استحقاق المؤمنين الصادقين مع الله: المؤمنون الصادقين استحقوا دخول الجنة، والخلود فيها، لأنهم صدقوا الله فصدقهم الله، ﴿رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] ، وكان قدوتهم الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً ﴿وَأذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١] ، وهكذا وعلى رأسهم سيد البشرية وخاتم الأنبياء محمد ﷺ : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢] ، فهم صدقوا القول، والفعل، والنية، والإرادة، والعزيمة، والوفاء، والعمل، وبالغوا في الصدق، لذلك حصلوا على الرفعة والسمو وأعلى درجات الجنة، وصدقوا في مقامات الدين وهي أعلى درجات الصدق، كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر الأمور، فصدقوا القتال، وصدقوا الخوف والرجاء من الله، وهكذا في كل مقامات الدين فقال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥] <sup>(١)</sup>، فكانوا خير ناس، صهرهم الإسلام وطهرهم القرآن، وكفى خبتهم سيد الأنام، لذلك كانوا ممن أحبهم الله ﷻ، لأنهم أقدموا على الله، فما أعظم نعيم المحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه، ولا يكون هذا في الآخرة إلا للمؤمن الصادق المخلص، الذي انقطع عن علائق الدنيا، ليأنس بالقرب من الله في الآخرة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ [الصف: ٤] ، فصدقهم في جميع مقامات الدين، استحقوا بها دخول الجنة والخلود فيها، لأن الصادق في جميع هذه المقامات عزيز عند الله تعالى، ويكتب عند الله في الجنة مع الصديقين <sup>(٢)</sup>، لقول النبي ﷺ في الحديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) <sup>(٣)</sup>، لذلك كلمة لكل مجاهد اليوم ولكل شاب وشابة، ولكل أم، وأب، الوقت هو الحياة، واضبط ساعتك من الآن وسابق نحو الجنان قبل فوات

(١) ينظر: المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوى، (ص٢٧)، ومناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، (م١، ص٢٦٥).

(٢) ينظر: مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي، (ص٣٤٤، ٣٦٩)، وجند الله ثقافة وإخلاصاً، سعيد حوى، (ص١٦٩، ٢٩٠).

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، (ب٢٩، ج٢٦٠٩)، (ص٦٦٤).

الأوان، فيقول الحسن البصري: "ابن آدم إنما أنت أيام فإذا ذهب يوم ذهب بعضك، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعمل فاعمل"، وقال أحد الصالحين: "أمس قد مات، واليوم في النزع، وغداً لم يولد فبادر بالأعمال الصالحة" (١)، حتى يكون اجتماعنا في الجنة مع الذين آمنوا وجاهدوا وصبروا وصدقوا فأكرمهم الله بقوله: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢] ، نكون من أهل الجنة كما ورد في الحديث عن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال: (إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى؟ يا رب! وقد أعطيتنا ما لم تعط احداً من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب! وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً) (٢).

---

(١) ينظر: سباق نحو الجنان، د. خالد أبو شادي، (ص٧-٢٠)، وصفقات رابحة، د. خالد أبو شادي، (ص٦، ٧).  
(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً، (ب ٢، ح ٢٨٢٩)، (ص٧١٧).



## المبحث الخامس

مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (٢٣ - ٢٤)

الولاء لا يكون إلا لله تعالى

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الولاء لأولي القربي الكفار شرك بالله.

المطلب الثاني: الموازنة بين اختيار العقيدة أو المطامع الدنيوية.

## المطلب الأول

### الولاء لأولي القربي الكفار شرك بالله

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣].

أولاً: التفسير التحليلي:

مناسبة الآية لما قبلها:

استئناف ابتدائي لافتتاح غرض آخر وهو تقرير المنافقين ومن يواليهم، فإنه لما كان أول السورة في تخطيط طريقة معاملة المظهرين للكفر، جاء بالحديث عن تجريم من أبطنوا الكفر وأظهروا الإيمان، من منافقين أهل المدينة ومن بقايا قبائل العرب، فحذر الله ﷻ بنبيه والمؤمنين منهم<sup>(١)</sup>، فالخطاب للمؤمنين كافة، يؤكد فيه لهم على حكم باق إلى يوم القيامة وهو قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين<sup>(٢)</sup>، فلما ذكر تعالى قبائح المشركين، وأتى على المهاجرين المؤمنين الذين هجروا الديار والأوطان حباً في الله، حذر من ولاية الكافرين، ويجب الانقطاع من الأقارب بسبب كفرهم<sup>(٣)</sup>، وقال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت في العباس وطلحة لامتناعهم عن الهجرة<sup>(٤)</sup>.

سبب النزول:

ورد أنه لما أمر رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة جعل الرجل يقول لأبيه وأخيه وامرأته: "إنا قد أمرنا بالهجرة، فمنهم من يسرع إلى ذلك ويعجبه، ومنهم من تتعلق به زوجته، وعياله، وولده، فيقولون: الله إن تدعنا إلى غير شيء فتضيعنا، فيرق فيجلس معهم ويدع الهجرة، فنزلت يعاتبهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ...﴾ [التوبة: ٢٣]<sup>(٥)</sup>.

النحو والبلاغة:

"استحبوا الكفر": أحبوه حباً متمكناً، فالسين والتاء للتأكيد.

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م، ٥، ص ١٥٠).

(٢) صفوة التفاسير، للصابوني، (م، ١، ص ٤٩١).

(٣) ينظر: فتح القدير، للشوكاني، (م، ١، ص ٧١٧).

(٤) تفسير البغوي، (م، ٢، ص ٢٣٤).

(٥) أسباب النزول، للواحيدي، (ص ٢٠١).

"أولئك هم الظالمون": اسم الإشارة للتنبية على استحقاقهم هذه الصفة بسبب استحبابهم الكفر على الإيمان<sup>(١)</sup>.

### الأحكام الشرعية:

دلت الآية الكريمة على تحريم الولاية بين المؤمنين والكافرين، حتى لو كانوا من الآباء أو الأخوة فلا يجوز موالاتهم في بلاد الكفر، ويجب مقاطعتهم، لأن القرب قرب أديان لا قرب أبدان، وقال ابن عباس من يتولهم فهو مشرك مثلهم، لأن من رضي بالشرك فهو مشرك<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: التفسير الإجمالي:

يوجه الله ﷻ خطاب للمؤمنين بأن لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أعواناً توالونهم وتظلعونهم على أسراركم، إن فضلوا الكفر على الإيمان بالله ورسوله، ومن يتولهم منكم يجعلهم أمناء سره، ويرضى بهم من دون المؤمنين، فأولئك هم الظالمون؛ لأنهم أضروا بأنفسهم رضوا بأهل الشرك أو لا تفضلوا أن تبقوا عند أولادكم وأزواجكم وتدعوا الهجرة من أرض الكفر والشرك والضلال إلى أرض الإيمان والسلام والهداية<sup>(٣)</sup>، فمن اختار الكفر على الإيمان، يُعدُّ ظالماً لنفسه؛ لأنه ترك الهجرة إلى الله، في سبيل أن يبقى عند أهله وأمواله وأولاده<sup>(٤)</sup>.

فالخطاب نداء بلفظ الإيمان للتكريم ولتحريك الهمة للمسارعة إلى امتثال أوامر الله تعالى فإذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فأزعمها سمعك فإنه خير تؤمر به، أو شر تُنهى عنه، والمعنى: يا مؤمنين لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم الكافرين أنصاراً وأعواناً تودونهم وتحبونهم، إن فضلوا الكفر واختاروه على الإيمان وأصروا عليه إصراراً؛ لأنكم تكونوا مشركين مثلهم، فلا تظلموا أنفسكم لأنكم إذا واليتموهم كفرتم وأشركتم بالله فيكون مصيركم جهنم مثل مصيرهم<sup>(٥)</sup>.

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- الإسلام شرط الولاء: إن الشرط الأساسي كي نعطي ولاءنا لإنسان هو الإسلام، فهو الأساس للولاية والنصرة ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ \* وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦]،

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص ١٥٢).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م٤، ص ٣١).

(٣) ينظر: التفسير الوجيز ومعجم معاني القرآن العزيز، لوهبة الزحيلي، (ص ١٩١).

(٤) ينظر: تفسير الجلالين، (ص ١٩٠).

(٥) ينظر: صفوة التفسير، للصابوني، (م١، ص ٤٩١).

ولكن للأسف اليوم، وهذا الواقع المرير، نجد من المسلمين من يوالي الكفار علانية، جهاراً، نهاراً، وعلى مرأى ومسمع من العالم، بني جلدتنا للأسف، ويعادون الإسلام والمسلمين، ويوالون الكفار، فهؤلاء المنافقون الذين تحدثت عنهم الآيات الكريمة في قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا \* الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيبْتِغُونَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩] ، ويقول تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧] (١).

٢- **قطع ولاية الكفار ولو كانوا أولي قُربى:** قررت الآية حكماً إلى يوم الدين وهو عدم موالاته الكفار ولو كانوا أولي قُربى من الآباء أو الأخوة فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣] ، فجاء سياق الآية يؤكد على تجريد المشاعر والصلوات في قلوب الجماعة المؤمنة، تمحيصها لله ولدين الله، فيدعو إلى تخليصها من وشائج القُربى، والمصلحة واللذة، ويجمع كل لذائذ البشر، وكل وشائج الحياة، فيضمها في كفة، ويضع حب الله ورسوله، وحب الجهاد في سبيله في الكفة الأخرى، فالعقيدة الإسلامية الراسخة لا تحتل لها شريكاً، فإما تجرد لها، وإما انسلاخ منها، ولكن ليس المطلوب أن ينقطع المسلم عن الأهل والزوج والولد ولكن المطلوب أن يخلص القلب لهذه العقيدة، فتكون هي المسيطرة، والحاكمة، والمحركة لدوافع الإنسان في الحياة، وهكذا تنقطع أواصر الدم والنسب، إذا انقطعت آصرة القلب والعقيدة، وتبطل ولاية القرابة في الأسرة إذا بطلت ولاية القرابة في الله، فله الولاية الأولى، وفيها ترتبط البشرية جميعاً، فإن لم تكن الولاية على أساس العقيدة لا على أساس القرابة فلا ولاية بعد ذلك، والحبل مقطوع والعروة منقوضة (٢)، وللأسف هذا ما نجده في بلاد المسلمين، يوالي الابن أبيه أو الأخ أخيه ويتسلم منه الحكم خاصة في النظام الملكي القائم على الظلم والقهر وموالاته الأعداء من اليهود والأمريكان.

٣- **موالاته الكفار أو المنافقين ظلم للنفس:** ولاية أهل الكفر والشرك إن استحبوا الكفر على الإيمان شرك لا يتفق مع الإيمان، لذلك من يوالي الكفار يظلم نفسه لأنه يصبح مشركاً مثلهم (٣)، لأنه فضل الدنيا وشهواتها على حب الله ورسوله وحب الجهاد في سبيله، فكان

(١) ينظر: جند الله ثقافة وأخلاقاً، سعيد حوى، (ص ٤١١).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٦١٥).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (م ٣، ص ١٦١٥).

مصيره جهنم مثلهم لأن فعله هو فعلهم، وهذا ما ثبت عند أهل العقيدة أن من خالف أهل الإيمان وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان، فلا إيمان له، لأن الإيمان في أصله واحد وأهله في أصله سواء والتفاضل بينهم بالخشية والتقوى، ومخالفة الهوى وملازمة الأولى، لأن موالاته أهل الحق دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان<sup>(١)</sup>، فكثيراً ما نرى هذه الأيام من يترك الالتزام بالدين شيئاً فشيئاً بسبب موالاته لأهل الكفر والضلال فيسقط ويصبح من الطابور الخامس لموالاته لهم ثم ينتهي به المطاف لتكفير العمل الإسلامي فيصبح إما شيوعياً ملحداً أو علمانياً أو عميلاً للموساد وبالتالي يظلم نفسه بتركه الإسلام واتباعه للباطل وأهله، تعرضوا للشهوات والفتن فأسقطهم الشيطان في وحل الكفر أو النفاق بالارتداد عن الإسلام وصدق الله: ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ \* مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ \* مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ \* ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ \* ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ \* ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ [عبس: ١٧-٢٢]<sup>(٢)</sup>.

٤- موالاته الكفر والضلال سبب لتمزيق الأمة الإسلامية: الإسلام هو إيمان وعمل، إيمان يمثل العقيدة والأصول التي تقوم عليها شرائع الإسلام، ومنها تتبثق فروعه، والعمل يمثل الشريعة والفروع التي تعتبر امتداداً للإيمان والعقيدة حيث يقول تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ... ﴾ [البقرة: ٢٥] ، فالعقيدة الصحيحة الراسخة تفجر المشاعر النبيلة وتوقظ حواس الخير وتربي ملكة المراقبة، وتبعث على طلب معالي الأمور وأشرفها وتتأى بالمرء عن محقرات الأعمال وسفافها، وتجعله يميز بين الحق والباطل، والحلال والحرام، ويفقد هذه العقيدة تموت أخلاق الإنسان، وتجعله يضل الطريق، وينتهي في وحل الضلال والفسق والفجور إلى أن يصل إلى الكفر، وهذا الانحراف عن الحق جعله يتنازل عن الدين والمبادئ والمثل والقيم ويوالي أعداء الإسلام، ومن هنا دخل الضعف على الأمة الإسلامية، وتمزقت، وانقسمت، وتفرقت، وجنى المسلمون على أنفسهم جنایات خطيرة، بسبب ضعف إيمانهم، وتخليهم عن عقيدتهم<sup>(٣)</sup>، وللأسف خرج علينا اليوم من يفصل الدين عن الدولة، ومن ينكر على المسلم أن يتحدث عن حكم الشرع، لا يريدون الدين في السياسة أو الاقتصاد أو غيره وأدخلوا الشبهات على هذا الدين العظيم، حتى يتحرر المسلم من دينه وعقيدته وأخلاقه، ويتمسك بما هو شرقي وغربي وعلماني وليبرالي، المهم يُعطى تنازلاً عن

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، حققها: جماعة من العلماء، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، (ص ٣٣١، ٣٤٠).

(٢) ينظر: المتساقطون على طريق الدعوة، فتحي يكن، (ص ١٢٧).

(٣) ينظر: العقائد الإسلامية، السيد سابق، (ص ٩، ١٠).

دينه، وَيُعَظِّمُ المنافقين والملاحدة وَيُعْطِي ولاءه لعدو الله، وعدو الإسلام، من أجل الإغراءات والشهوات، فأدى ذلك إلى تفسخ العلاقات بين المسلمين وظهور الأحزاب المتعددة، المعادية لبعضها البعض، حتى داخل الأسرة الواحدة نجد الانحراف والتمزق، فهذا ما أراد العدو الذي يكيد ويتآمر على الإسلام والمسلمين ليل نهار، حيث باع المسلم دينه بعرض من الدنيا، وباع عروبتة، وثوابته، ومبادئه، وقضيته واضعاً يده في يد العدو أو من يسانده، ولكن نرجو الأمل بالقلة القليلة الباقية على دينها وعقيدها، ومبادئها، الذين فهموا طبيعة خطر هذه المرحلة التي تمر بها الأمة، والتآمر عليها من العدو والصديق، ورفعوا شعار الانتصار رغم هذا الخضم المتلاطم ضد الإسلام والمسلمين، بأننا جُند محمد ﷺ (١).

٥- **التقوى صفة لأولياء الله:** أهل التقوى هم أولياء الله، أصحاب الولاية حقاً المجتهدون في فعل الطاعات والنوافل، الذين يخشون الله في السر والعلن، لا كما يزعم غلاة الصوفية أو غيرهم من أصحاب المذاهب والملل الفاسدة أنهم أولياء الله لأنهم منحرفون، أصحاب بدع وخرافات لذلك جعل الله فرقاناً بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] ، وقال: ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤] (٢)، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩] ، فالولي اسم عظيم من أسماء الله الحسنى تكرر وروده في القرآن الكريم لتدل على مدى ولاية الله تعالى لعباده وهي نوعان: ولاية عامة تشمل المؤمن والكافر، والبر والفاجر وفي ذلك قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَصَلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠]، أي أنه سبحانه مالكمهم ومتصرف بهم ولكن ليس لهم ولاية محبة وتوفيق ونصر وتأييد كما لعباده المؤمنين، المتقين المخلصين وفي ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ، فالمتقين لهم المغفرة، والرحمة والتأييد، والنصر على الأعداء، والرضى، والرضوان، فالله مولى المتقين والكافرين لا مولى لهم وفي ذلك قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] (٣)،

(١) ينظر: الراقصون على جراحنا، يمان السباعي، (ص ٣٠-٣٣)، وينظر: حاضر العالم الإسلامي والغزو الفكري، د. صالح الرقب، (ص ٣٤).

(٢) ينظر: سلسلة أعمال القلوب، للشيخ محمد صالح المنجد، (ص ٣٠١).

(٣) ينظر: فقه الأسماء الحسنى، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، (ص ١٩٩-٢٠٠).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١] ، فبين أن المتقين الذين يتبعون الرسول ﷺ من أولياء الله وأن من ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول فلا يُعد من أولياء الله تعالى، لأن هذا من مقتضيات الإسلام وأصوله الثلاثة وهي (الله، والرسول، الإسلام) فمن ذاق الإيمان رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥] ، لذلك نجد الملاحدة اليوم الذين يوالون أعداء الله تحاول بكل إمكانياتها أن تُنسي الإنسان الله، وأن تصغر في قلبه، وذاته عظمة رسل الله وخاصة تشويه صورة محمد ﷺ، وتشن حملات تزداد يوماً بعد يوم، ضمن حملة شرسة على الإسلام وأهله المتقين، المخلصين، فيجب على أهل الحق في كل مكان اليوم أن ينتبهوا لما يفعله أعداء الإسلام من أتون ردة خطيرة هائلة عن الإسلام<sup>(١)</sup>، ولكن نريد من أولياء الله اليوم، أن يدافعوا عن الإسلام وتكون كبداية ميلاد جديد، لحيل يتربى على معرفة الله والرسول والإسلام حق المعرفة ومن هنا يأتي انتصار الحق على الباطل من أولياء الشياطين والطواغيت.

## المطلب الثاني

### الموازنة بين اختيار العقيدة أو المطامع الدنيوية

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤] .

أولاً: التفسير التحليلي:

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما تحدث في الآية السابقة عن قطع كل ولاية للكافرين وإن كانوا من أولي القربى يحذر مرة أخرى في الآية الكريمة من العلاقات التي تفضي إلى التقصير في القيام بواجبات الإسلام، زيادة في تفصيل الأصناف من ذوي القربى، فذكر الأبناء لمدى التعلق بهم أكثر من الإخوان ومن صلة القرابة الأخرى، وأن من تعلق بعلائق الدنيا على حساب الدين فهذه صفة النفاق والمنافقين، فجاء السياق هنا لتهديدهم<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: (الله) سلسلة دراسات منهجية هادفة، سعيد حوى، (ص ٣، ٤).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ١٥٢).

## سبب النزول:

ورد عن ابن سيرين قال: قدم علي بن أبي طالب مكة، وقال لقوم سماهم: ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله ﷺ فقالوا: نقيم مع إخواننا وعشائرننا ومساكننا، فأنزل الله ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ...﴾ [التوبة: ٢٤] (١).

## معاني المفردات الغريبة:

"كسادها": كسد الشيء كساداً وكسوداً إذا بار ولم يكن له نفاق، أي قلة التبايع وهو ضد الرواج أي البستموها، بسبب مقاطعة التجارة، وفوات وقت نفاقها.

"اقتربتموها": من الاقترب أي الاكتساب وهو مشتق من قارب إذا قارب الشيء.

"اقتربصوا": التربص الانتظار، أي انتظروا جزاءكم (٢).

## القراءات:

"عشيرتكم": قراءة الجمهور، وقرأ أبو بكر عن عاصم "عشيرتكم" بالألف على الجمع، والآخرين بلا ألف على التوحيد لأن العشيرة واقعة على الجمع، ويقوي هذه القراءة "عشائركم" أبا حسن وقال: لا تكاد العرب تجمع العشيرة على العشيرات، إنما تجمعها على العشائر، والمعنى: أن لكل واحد من المخاطبين عشيرة (٣).

## الأحكام الشرعية:

- ١- وجوب حب الله ورسوله، ولا خلاف في ذلك بين الأمة، وأنه مقدم على كل محبوب.
- ٢- فضل الجهاد على ما سواه من علائق الدنيا كالأهل والمال (٤).

## علوم القرآن: (المتشابهات من الآيات):

المتشابهات في قوله تعالى في سورة براءة: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، مع الآية (١٩) من سورة براءة ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩] ، مع الآية (٣٧) من

(١) لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، (ص ٢٢٣).

(٢) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (م، ص ٤٩١)، وفتح القدير، للشوكاني، (م ١، ص ٧١٧).

(٣) ينظر: تفسير البغوي، (م ٢، ص ٢٣٤)، وتفسير البيضاوي، (م ١، ص ٤٠٠)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ١٥٢)، والكشاف، للزمخشري، (م ٢، ص ٤٣٧).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م ٤، ص ٣٢).



التوبة في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٧] ، فنلاحظ من خلال المتشابهات في الآيات الكريمة من السورة: تخصيص بعض المواضع بالظالمين وبعضها بالفاسقين وبعضها بالكافرين وهذا يُعدُّ من درر التنزيل، وله معاني حيث الظالمين ناسبت مشركي العرب الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم فعبر عنهم بالظالمين لانطواء هذه الصفة على الكفر، كما ناسبت صفة الفاسقين الذين فضلوا شهوات الدنيا على الجهاد في سبيل الله لأنهم خرجوا عن حدود طاعة الله بموالاتهم للمشركين المخالفين لشرع الله تعالى، والكافرين ناسبت وصف الكفار الذين كانوا يزيدون في الأشهر الحرم ليجلُّوا ما حرم الله ويحرموا ما أحله ليوفي عدة أربعة أشهر، فأخبر الله تعالى أن ذلك زيادة في كفرهم، فاقترضى الله بوصفهم بأنه لا يهديهم وهذا عقاب من الله ﷻ يستحقه كل منهم (١).

### ثانياً: التفسير الإجمالي:

يُوجِّه الله سبحانه الخطاب للمؤمنين، بقوله إن كان هؤلاء الأقارب من الآباء والأبناء والإخوان والزوجات ومن سواهم من عشيرتهم أي جماعتكم التي تستنصرون بهم، وأموالكم التي اكتسبتموها وتجارة تخافون كسادها وعدم نفاقها، ومنازل ترضونها أي تعجبكم الإقامة فيها، كل ذلك أحب إليكم من الهجرة إلى الله ورسوله وجاهد في سبيله لنصرة دين الله، فتربصوا أي انتظروا وعيد شديد من الله تعالى، حتى يأتي الله بأمره، أي بعقوبته العاجلة أو الآجلة لكم، والله لا يهدي القوم الفاسقين، أي الخارجين عن طاعته إلى طريق السعادة في الدنيا والشهوات وهذا وعيد لمن آثر أهله أو ماله، أو وطنه على الهجرة والجهاد في سبيل الله (٢).

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- إخلاص العبودية لله تعالى: يقوم إخلاص العبودية لله تعالى بأن يكون حب الله فوق كل حب، فإذا تعارض حب الله تعالى مع حب أي شيء آخر فليقدم حب الله تعالى ورسوله على ما سواهما من الآباء أو الأبناء أو الأخوة أو الأزواج أو العشيرة وغيرهم، أو حبه الأموال والتجارة والثروات وشهوات الدنيا، كما قال تعالى في الآية: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا...﴾ [التوبة: ٢٤] ، فهذا هو الصفاء في العبودية لله تعالى، وهذا من الأسس التي يقوم عليها توحيد الألوهية (العبودية)، حتى يكون صحيحاً، ولا يدخل فيه الشرك أو أدرانته، فيجب الإخلاص لله تعالى في جميع

(١) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، للخطيب الإسكافي، (ص ١٠٥، ١٠٦).

(٢) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٩٢).

العبادات القلبية من حمية وخوف ورجاء وتوكل فلا يتخذ العبد نداً لله ﷻ في الحب، يحبه كما يحب الله أو يقدمه في المحبة على حب الله ﷻ، فلا يكون من المشركين وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] ، فهذا تحذير شديد من الله تعالى لأولئك الذين يقدمون القيم الدنيوية على حب الله وحب رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، فالمحبة لله تعالى ولرسوله ﷺ هي أساس العبادة، والإخلاص لله ﷻ، في العبادة امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ، فيعمل الله ويفرده بالعبادة والمحبة فلا يحب معه سواه وإنما يحب لأجله وفيه، ليس كمن يتخذ أنداداً يحبونهم كحبه، فالمحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها التي تتحقق بإتباع أمره، واجتناب نهيه، لهذا جعل تعالى اتباع رسوله شرطاً وشاهداً على من ادعى محبة الله تعالى فقال في كتابه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] ، فانتهاء محبتهم لله لازم لانتهاء المتابعة لرسوله، فيستحيل صدق عبادتهم مع الله وثبوت محبة الله لهم دون محبة الله واتباع رسوله ﷺ وطاعة أمره، واجتناب نواهيه<sup>(٢)</sup>، لذلك نجد اليوم من يقدم محبة شخص من الأشخاص على محبة الله ورسوله، وطاعته على طاعة الله ورسوله، ومرضاته على مرضاة الله تعالى، ويخاف منه أشد من خوفه من الله، وهذا يكثر في هذا الزمان المرير.

٢- محبة الله ورسوله مقدمة على ما سواهما من المال والولد والأمل وغير ذلك: المحبة والألفة ثمرة حسن الخلق، لأن حسن الخلق يوجب التحابب والتوافق، ومن أوثق عرى الإسلام أن تحب في الله وتبغض في الله، فينبغي أن نحب المسلم لإسلامه، ونبغضه لمعصيته، ونبتعد عنه إذا ابتعد عن محبة الله وطاعة أمره وعن اتباع النبي وتطبيق سنته لأنه إما أن يكون كافراً أو مبتدعاً أو عاصياً لله بأفعاله، لذلك يجب أن لا نفضل أحداً ونحبه على محبة الله ورسوله، فلا نصابح إلا صاحب الخلق وعاقلاً بعيداً عن الفسق والفجور، ولا نعطي ولاعنا إلا الله ﷻ، محبةً له وطاعة لأوامره، وعدم مخالفة شرعه<sup>(٣)</sup>، فالروابط والعلاقات تتبع كلها لقواعد ثابتة في دين الله ﷻ فالله قد فطر الإنسان على جلب النفع، فهو يتخذ لجلبه كل وسيلة، وفطره على

(١) ينظر: منهج القرآن الكريم في عرض قضايا العقيدة، د. وليد العامودي، (ص ٤١)، وينظر: الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس بن عبد الله محمد الجلعود، (م ٢، ص ٩٠٦).  
(٢) ينظر: تهذيب مدارج السالكين، لابن القيم الجوزية، (ص ١١٤).  
(٣) ينظر: مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي، (ص ٩٧، ٩٨)، وينظر: الإيمان، أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، (ص ٦٤).

كره الضرر، فهو يستعمل لدفعه عنه كل حيلة، فيجب أن تكون الاستعانة مشروعة لا ممنوعة، لأن كل هذا يترتب على مدى المحبة والطاعة لله ﷻ والخوف منه وابتغاء رجاءه ومرضاته، ومحبة واقتداء بنبيه محمد ﷺ، بالابتعاد عن كل ما يغضب الله تعالى، لذلك إذا أحببنا الله فلا نتوكل إلا عليه، ولا نستعين إلا به، ولا نرجو إلا إياه، ولا نخاف إلا منه، ولا نعمل إلا بشرعه الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ، لأن هذا كله من أساس ومستلزمات توحيد الله ﷻ، فالاتباع في طاعة الله ورسوله، هو مقياس الحب لله وللرسول ﷺ، فلا تكون الطاعة لله كما تكون لمخلوقاته إلا طاعة الرسول ﷺ لأنها امتثالاً لأمر الله ﷻ، لذلك طاعة الشعب للحاكم، وطاعة الولد للوالد، وطاعة المرأة لزوجها، يجب أن تكون استجابة لطاعة الله إذا كانت لله وبالله وفي الله، ولا تكون استجابة لدواعي الطبع أو خوفاً من خطر أو أذى، فتكون من أجل الدنيا وأطماعها وشهواتها لا تكون طاعة مطلقة لله تعالى فهذا يدخل فيه شرك بالله وفسق إذا فضل حب الدنيا وما فيها من مغريات على حب الله ورسوله (١)، وفي الحديث عن أنس بن مالك ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده والناس أجمعين) (٢)، فعلمة إيمان القلب حب الله ورسوله على ما سواهما.

٣- **وجوب الجهاد في سبيل الله وخاصة جهاد النفس:** الجهاد فرض على المسلمين، سواء فرض عين أو كفاية على حسب حالة الحرب مع العدو، والجهاد أنواع، جهاد الكفار والمحاربين ويكون باليد والمال واللسان والقلب، وجهاد الفساق ويكون باليد واللسان والقلب، وجهاد الشيطان ويكون بدفع الشبهات، وترك ما يزينه من الشهوات، وجهاد النفس ويكون بحملها على تعلم أمور الدين والعمل بها، ومجاهدة أهوائها، وشهواتها، ومقاومتها بسلاح الإيمان، وجهاد النفس من أعظم أنواع الجهاد، وكل هذا الحكمة منه عبادة الله وحده، وعدم الإشراك به، وحفظ النفس والأموال ورعاية للحق وصيانة للعدل والفضيلة (٣)، فالجهاد وسيلة مشروعة للدفاع عن ذات الله، ومن أجل الله وفي سبيل الله، ومن أجل القضاء على ما يسمى بالصهيونية أو الماسونية أو الرأسمالية أو الشيوعية أو الصليبية، أو العلمانية وكل قوى الظلم والفساد في

(١) ينظر: تعريف عام بدين الإسلام، علي الطنطاوي، (ص ٨٤، ٨٥)، وينظر: الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، لابن القيم الجوزية، (ص ٢٥٤، ٢٥٥)، وينظر: الجواهر المضية، محمد بن عبد الوهاب سليمان التميمي، (ص ٣٤).

(٢) مختصر صحيح مسلم، للحافظ المنذري، تحقيق: محمد الألباني، كتاب الإيمان، باب ثلاث من كن فيه ذاق حلاوة الإيمان، (ح ٢٣)، (م ١، ص ١٤).

(٣) ينظر: منهاج المسلم، أبو بكر الجزائري، (ص ٢٦٩).

الأرض، ويبدأ هذا كله من جهاد النفس حيث يقول تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤] ، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] ، فجهاد النفس يحرر الإنسان من أمراض القلوب، وخاصة النفاق، وتجعل الأمة الإسلامية قوية، قادرة على تحقيق النصر بجهادها والقضاء على كل من يُعادي الإسلام والمسلمين (١).

٤- حب الدنيا من مال وقصور وشهوات نتيجة أمراض القلوب: من علامات أمراض القلوب، إثارة حب الدنيا، ومطامعها وشهواتها، على حب الله ورسوله، فهذا مريض بعدم معرفة الله، لأن من عرف الله أحبه، وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ...﴾ [التوبة: ٢٤] ، فمن عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض، يجب معالجته قبل فوات الأوان، وللأسف أصحاب القلوب المريضة ما أكثرهم في هذا الزمان الذين باعوا دينهم بعرض من الدنيا وزخارفها وشهواتها، ونسوا الآخرة والحساب والحشر والصراط والعقاب من الله ﷻ نسوا أن الله لا يهدي القوم الفاسقين، لذلك نهى في أذنهم قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨] ، وقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] ، ويقول الإمام ابن حزم (٢): "هداية النفس مظهرها الرئيسي قبول هداية الله ﷻ التي بُعث بها الرسل عليهم الصلاة والسلام، وقبول الفطرة التي تجزم بأن العبودية لا تكون إلا لله ﷻ، والافتداء بمن هم أعلى الخلق من مقام العبودية لله وهم رسل الله وعلى رأسهم سيدهم وخاتمهم محمد ﷺ" (٣). وبذلك نبتعد عن حب الدنيا وشهواتها ونتخلص من الكفر والشرك والنفاق والفسوق والعصيان والبدعة وجميع أمراض القلوب، ونغيّر أنفسنا باتباع الحق مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] (٤).

(١) ينظر: جند الله ثقافة وأخلاقاً، سعيد حوى، (ص ٣٨٠).

(٢) ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، أصله من فارس، وجده أول من دخل الأندلس، ولد بالقرطبة من بلاد الأندلس سنة ٣٨٤هـ، وكان شافعي المذهب، ثم انتقل لمذهب أهل الظاهر، كان مبدعاً في علوم شتى وجمّة، كان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين، لذلك حذر الفقهاء من الوقوع في الفتن، خاصة العوام من الناس، أقصته الملوك وشرده عن بلاده، حتى توفي في بادية لبلة، في شعبان سنة ٤٥٦هـ. ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، (م ٣، ص ٣٢٥-٣٢٨).

(٣) ينظر: مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد بالردائل، لابن حزم الأندلسي، (ص ١٣).

(٤) ينظر: المستخلص في تركية الأنفس، سعيد حوى، (ص ١٤٦، ١٥٦).

٥- الله يتوعد الفاسقين في كل زمان ومكان: قال تعالى لمن يقدم الدنيا وشهواتها وزينتها على حب الله وطاعته، وطاعة نبيه محمد ﷺ وعلى الجهاد في سبيل الله، بأن الله سوف يغلق عليه أبواب الهداية عقاباً له، بسبب فسوقه وفجوره، وبُعدّه عن رضا الله تعالى، وبسبب ظلمهم لأنفسهم باتباعهم أهل الكفر والضلال، لأنه قرر أن يحقد على الإسلام وأهله، وهذا كله من أجل الدنيا وأهوائها والاستئثار بمتاعها، واتباع وموالاتة الشرك، ومحبة أي أمر سوى محبة الله ورسوله ويتبين ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ \* قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٣-٢٤]، لذلك يجب أن يقرر كل غيور على دينه اليوم، أن يقاطع موالاتة أهل الشرك والكفر وإن كانوا من أولي قربي، وأن يقاطع حب الدنيا وشهواتها حتى لا ينطبق عليه صفة الفسق والفجور، وأن يحارب كل من يعتدي على حدود الله من الفاسقين، الفاجرين وبيوالبهم العدا بالعداء حتى لو كانوا من أقرب الناس إليه، ويبتعد عن اتباع الذل والهوان ولا يرضى الدنيا في دينه ويعلم الحرب عليهم كما أعلنها الله وتوعدهم بالعقاب في كل زمان ومكان<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: خلق المسلم، محمد الغزالي، ص ٩٧.

## المبحث السادس

مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (٢٥-٢٨)

استعراض لأحداث غزوة حُنين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: النصر والعزة بالدين والعقيدة لا بالعدة والعتاد.

المطلب الثاني: حكم الله في المشركين إلى يوم الدين.

## المطلب الأول

### النصر والعزة بالدين والعقيدة لا بالعدة والعتاد

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ \* ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ \* ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٧].

أولاً: التفسير التحليلي:

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما تضمنت الآيات السابقة الحث على قتال المشركين في قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] عندما نقضوا عهدهم وبدأت الخيانة وظهر الغدر منهم، بأنهم عازمون على نقض العهد مع النبي ﷺ لو قُدر لهم النصر على المسلمين ومن دلائل ذلك اعتداؤهم على خزاعة أحلاف المسلمين، وهمهم بإخراج الرسول ﷺ من مكة بعد الفتح، جاء الحديث في هذه الآيات بعد الحث على قتال المشركين، بضمان النصر من الله للمسلمين على أهل الشرك والكفر، وحتى يثير حماسة المسلمين على القتال، جاء في هذه الآيات، بشواهد ما سبق من نصر الله المسلمين في مواطن كثيرة، والتذكير لهم بمقارنة التأييد الإلهي لحال الامتثال لأوامره وفي غزوة حنين شواهد تثبت الحاليتين، فالكلام جاء استئناف ابتدائي لمناسبة الغرض السابق<sup>(١)</sup>.

سبب النزول:

أخرج البيهقي في الدلائل عن الربيع بن أنس أن رجلاً قال يوم حنين: لا نُغلب اليوم من قلة، وكانوا إثني عشر ألفاً، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، فأُنزل الله ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٥]<sup>(٢)</sup>.

وورد عن مجاهد أن هذه أول آية نزلت من براءة يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم، وإحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسول الله ﷺ، وأن ذلك من عنده

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٥، ص ١٥٤)، وصفوة التفسير، للصابوني، (١، ص ٤٩١).

(٢) لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، (ص ٢٢٤)، ودلائل النبوة، للبيهقي، (٥، ص ١٢٣).

تعالى وبتأييده وتقديره لا بعددهم ولا عتادهم، ونبههم على أن النصر من عنده سواء قل الجمع أو كثر، لأن يوم حُنين أعجبتهم كثرتهم وبعد ثباتهم، أنزل الله نصره عليهم ليعلمهم أن النصر من عند الله تعالى وحده وبإمداده (١).

### النحو والبلاغة:

"يوم حُنين" معطوف على "مواطن" بتقدير مضاف، تقديره في أيام مواطن أو تقديره وموطن يوم حُنين، وقيل يوم حُنين: منصوب بفعل مقدر معطوف على نصركم أي ونصركم يوم حُنين على تقدير أن إذ أعجبتم بدل من يوم حُنين، أو قيل أنه منصوب بفعل مقدر أي واذكروا إذ أعجبتم كثرتكم (٢)، وحُنين واد بين مكة والطائف، في ديار هوزان، حدثت فيه وقعة حُنين (٣).

"ويوم حنين" من باب عطف الخاص على العام للتتويه بشأنه حيث جاء النصر بعد اليأس، والفرج بعد الشدة.

"وضاقت عليكم الأرض بما رحبت" شبه ما حل بهم من الكرب والهزيمة والضيق النفسي بضيق الأرض على سعتها على سبيل الاستعارة (٤).

### الأحكام الشرعية:

١- يجوز شرعاً الاستعارة من مشرك، حيث استعار رسول الله ﷺ يوم حُنين دروعاً حربية من صفوان ابن أمية بن خلف الجمحي وكان في ذلك الوقت مشركاً كافراً وهذا رأي أبو حنيفة والثوري والأوزاعي بأنه لا بأس بالاستعانة بالمشركين إذا كان حكم الإسلام هو الغالب، وإنما يُكره الاستعانة بهم إذا كان حكم الشرك هو الظاهر.

٢- جواز استعارة السلاح وجواز الاستمتاع بما استُعير إذا كان على المعهود مما يُستعار له مثله، وجواز استئلاف الإمام المال عند الحاجة إلى ذلك ورده إلى صاحبه (٥)، فقد روي عن صفوان بن أمية أن رسول الله ﷺ استعار منه يوم حُنين أدرعاً، فقال: أغصباً يا محمد؟ فقال: (بل عارية مضمونة) (٦).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (م٢، ص٥٣٧).

(٢) يُنظر: فتح القدير، للشوكاني، (م١، ص٧١٨).

(٣) ينظر: معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، (ص١٢١).

(٤) صفة التفاسير، للصابوني، (م١، ص٤٩٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م٤، ص٣٥).

(٦) رواه أحمد في مسند صفوان بن أمية، والحديث في سنن أبي داود، كتاب البيوع، باب في تضمين العارية،

(ج٥، ص٤١٤)، حديث حسن.



## ثانياً: التفسير الإجمالي:

يؤكد الله ﷻ في هذه الآية الكريمة أنه نصر المسلمين في مشاهد كثيرة، وحروب عديدة، ومن هذه المواطن يوم حُنين حيث نصرهم الله ﷻ بعد الهزيمة التي كانت بسبب الإغترار بالكثرة، أي حين اغتر المسلمون بكثرة عددهم عندما قالوا: لن نُغلب اليوم من قلة، وكان عددهم اثني عشر ألفاً، فلن تتفهم الكثرة، ولم تدفع عنهم شيئاً، وضاعت الأرض عليهم على رحبها وكثرة اتساعها بهم، من شدة الخوف، ثم ولوا على أديبارهم منهزمين، فأخبرهم الله ﷻ أن النصر بيد الله، ومن عنده، وأنه ليس بكثرة العدد، وأنه سبحانه ينصر الفئة القليلة على الكثرة بإذنه، وأنزل الله ﷻ عليهم السكينة والرحمة فاطمأنت قلوبهم وسكنت، وأنزل الملائكة جنوداً تقاوت معهم، لينصرهم ويعذب الذين كفروا بالقتل والأسر والسبي، وذلك جزاء وعقوبة للكافرين الذين كفروا بالله ﷻ وخالفوا أمره وشرعه، ثم أكد الله ﷻ في هذه الآيات أيضاً أنه تاب ﷻ على من أراد أن يتوب عليه فيوفقه للإسلام وكان منهم إسلام هوزان، والله غفور رحيم عظيم المغفرة واسع الرحمة (١)، حيث قبل توبة الكثير ممن حاربوا ضد الإسلام، وتاب الله عليهم وأتوا إلى النبي ﷺ مسلمين تائبين فرد عليهم نساءهم وأولادهم فرحمهم الله حيث وفقهم للتوبة والطاعة له وصفح عن جرائمهم في حق الإسلام والمسلمين، فلا يأس من مغفرة ورحمة الله ﷻ فهو أرحم الراحمين (٢).

## ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- **غفلة القلوب عن الله سبب للضياع والفشل:** هذه المعركة - يوم حُنين - المعركة الأولى التي اجتمع فيها المسلمون وللمرة الأولى جيش عدته اثنا عشر ألفاً حيث أعجبتهم كثرتهم، وغفلت قلوبهم عن الله ﷻ، وغفلوا بها عن سبب النصر الأول، هزمهم الله في أول المعركة، ثم نصرهم بالقلة المؤمنة التي ثبتت مع رسول الله ﷺ وتجدت لله وحده، بزيادة الصلة والقرب منه، لأن هذا هو سبب النصر في المعارك والحروب، لذلك علم الله المسلمين درساً عظيماً في هذه الغزوة بأن الغرور والإعجاب بالنفس والمال والكثرة، يؤدي إلى الهزيمة والضياع والفشل، فالانشغال عن الله والاعتماد على قوة غير قوته، والغفلة منه وعن الأخذ بأسباب النصر ويزلزل الأقدام ويرجف القلوب ويبعث الخوف والاضطراب في الصفوف وبالتالي إلى الهزيمة لأن النصر يحتاج للثابتين على العقيدة وقوة الإيمان بالله، أصحاب القلوب الطاهرة المخلصة، الصفوة المختارة، لا بالزبد الذي يذهب جفاء ولا بالهشيم الذي تذروه الرياح (٣)،

(١) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٩٢)، وتفسير الجلالين، (ص ١٩١).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبد الرحمن السعدي، (ص ٣٣٣).

(٣) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٦١٧).

فهذا كما أرى يصلح درساً عظيماً لأهل فلسطين الذين يذوقون ويلات الحروب من العدو الصهيوني ويرون أنهم رغم الفرق الهائل في الاستعداد العسكري، إلا أن الله ينصرهم في كل مرة على عدوهم وهذا يؤكد أن الله ينصر الفئة المؤمنة القليلة بإمكانياتها الضعيفة على الفئة الباغية بإمكانياتها الكثيرة الطاغية، لذلك يجب علينا الاتعاظ بالزمن، والانتفاع من الوقت، وتستيقظ قلوبنا وتعود لله ﷻ قبل فوات الأوان فالمؤمن الحق هو الذي تهذبه التجارب وتقويه الأيام<sup>(١)</sup>، وصدق الله القائل في كتاب العزيز ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ \* أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يونس: ٧، ٨] ، فالعجب مذموم في كتاب الله تعالى وخاصة ما ورد في قصة حُنين، لأن العجب بالكثرة والعمل والمال مرفوض في دين الله ﷻ لأنه سبب للهلاك في الدنيا والآخرة<sup>(٢)</sup>، وهذا للأسف ما يؤخر الاستخلاف أو يعثره، ثم تأخر التمكين أو تخلفه، ثم اضطراب القلوب بخوف من غير الله يُذهب الأمن ويورث الشقاء، فالغفلة عن تطبيق منهج الله في الأرض هو سبب الفشل والضيق والظنك فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٤] <sup>(٣)</sup>.

٢- معية الله مع المسلمين: سطرت هذه الغزوة معية الله مع أهل الإيمان والإسلام الصادق، وهذه سنة الله في الدعوات أن الله دائماً يكون بمعيته ومعونته لأهل العقيدة الراسخة، فأيدهم ونصرهم وأرسل لهم العون والمعونة من عنده، حيث أنزل جنوداً من عنده لتقاتل بجانب الثابتين المعتزين بدينهم وعقيدتهم وبنبيهم ﷺ، قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ \* هُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤]<sup>(٤)</sup>، فإنزال الملائكة من الله ﷻ تؤكد أن المعية والنصرة الغلبة دائماً للفئة المؤمنة المخلصة مع الله، حيث تصدق الله فيصدقها الله بالنصر والتمكين حيث قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصفات: ١٧٣] ، وقال: ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦] ، فالناظر إلى الأمور من حولنا بمنظار الأسباب لا يستطيع أن

(١) ينظر: خلق المسلم، محمد الغزالي، (ص ٢٢٣).

(٢) ينظر: المستخلص في تركية الأنفس، سعيد حوى، (ص ١٨٧).

(٣) ينظر: مناهج الدعوة وأساليبها، د. علي جريشة، (ص ٢٠٦).

(٤) ينظر: مناهج المسلم، لأبي بكر الجزائري، (ص ٤٦)، وأصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، (ص ٧٩).

يتصور نصراً حقيقياً للإسلام والمسلمين أمام هذه القوى العاتية الظالمة الطاغية التي تواجه الإسلام في كل العالم الدولي والعربي اليوم، إلا إذا كانت المسألة ربانية المصدر بتحقيق النصر والتمكين بمعية وقدرة الله ﷻ حيث يقول تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦] <sup>(١)</sup>، قال الرَّجَّاج <sup>(٢)</sup>: "من كان الله معه فهو الغالب".

٣- الثبات والثقة بالنفس سبب للفوز والفلاح: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ \* وَمَنْ يُوَلَّهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦]، فالثبات للفئة المؤمنة الطاهرة المخلصة في القتال، سبب أساسي من أسباب الفوز والفلاح حيث ثبت النبي ﷺ عندما انهزم بعض المسلمين في بداية الأمر في وقعة حُنين، فكان يقاتل العدو بثبات وعزيمة، وهو يقول: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)، وثبت معه من أصحابه قريب من مائة منهم أبو بكر وعمر والعباس وعلي والفضل بن عباس وأبو سفيان بن الحارث وأسامة بن زيد وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين وعندما أمر ﷺ عمه العباس وكان جهير الصوت أن ينادي بأعلى صوته: يا أصحاب الشجرة -يعني شجرة بيعة الرضوان- حتى انهزم المشركون وانتصر الإسلام بثبات القلة المؤمنة التي تثبتت مع النبي ﷺ <sup>(٣)</sup>، وقد روي في الحديث عن البراء وسأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حُنين؟ فقال البراء: ولكن رسول الله ﷺ لم يفر، وكانت هوزان يومئذ رُماة، وأنا لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكبنا على الغنائم، فاستقبلونا بالسهم ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان بن الحارث أخذ بلجامها وهو يقول: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب) <sup>(٤)</sup>، حتى كتب لهم النصر والعزة والتمكين بثباتهم، فقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] .

٤- السكينة وقت القلاقل والزلازل المادية والروحية من نعم الله العظيمة على العباد: قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ

(١) ينظر: جند الله ثقافة وأخلاقاً، سعيد حوى، (ص ٣٨-٣٩).

(٢) الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، ولد سنة ٢٤١هـ، عالم بالنحو واللغة، كان في فتوته يخرط الزجاج، اتجه في مؤلفاته إلى النحو، ومن كتبه: "معاني القرآن"، و"الإشتقاق"، و"الأمالى في الأدب واللغة"، و"إعراب القرآن"، توفي في بغداد سنة ٣١١هـ. ينظر: الأعلام، للزركلي، (م ١، ص ٤٠).

(٣) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٦١٧).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، (ب ٢٨، ح ١٧٧٧)، (ص ٤٦٣).

جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿ [التوبة: ٢٦] ، وهذه كانت نعمة عظيمة من نعم الله ﷻ على عباده يوم حُنين وذلك بعد أن اغتروا وأعجبوا بأنفسهم، ثم ضاقت عليهم الأرض على رحبتها وسعتها، ولكن أصابهم الضيق والهم والغم بعد أن تولوا مدبرين، ولكن بعدما عادوا ورجعوا إلى الله، أنزل الله عليهم السكينة والاطمئنان في قلوبهم، حيث عاشوا أصعب لحظات القلاقل النفسية والمادية، وزلازل القلوب فأنزل الله السكينة ليثبتها ويسكنها ويجعلها مطمئنة، فهذه من أجل وأعظم نعم الله على العباد<sup>(١)</sup>، فبعد الزلزلة الروحية والشعور بالحرج والضيق والهزيمة الحسية ينزل الله السكينة الخارقة للعادة رداءً فيثبت القلوب الطائفة ويهدئ الانفعالات الثائرة، تمهيداً ليتوب عليهم ويغفر لهم وينصرهم<sup>(٢)</sup>، فكان هذا درس يستفيد منه المسلمون في كل زمان ومكان أن لا يعتمدوا إلا على الله سبحانه ولا يتوكلوا إلا عليه ولا ينشغلوا عنه أو يعتمدوا على قوة غير قوته، ويعلموا تماماً أن القوة هي قوة الإيمان والعقيدة والتجرد لله ﷻ بطاعته وعدم مخالفة أمره وأن الكثرة العددية ليست بشيء وإنما زيد يذهب جفاء بأقل سيل يجرفه، فلا بد من اليقظة ورص الصفوف وتوثيق الصلة بالله فهذا هو سر النصر والفوز والفلاح، وتثبيت الأقدام وإنزال السكينة والمعونة من الله ﷻ على عباده الصادقين المخلصين وصدق الله القائل في كتابه العزيز: ﴿ أَمَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٩] .

٥- الهزيمة عقوبة التخاذل والفرار: بين الله ﷻ عقوبة التخاذل والفرار من المعارك والحروب وخاصة في حنين، رغم أعدادهم الهائلة إلا أن ضعاف القلوب تخاذلوا وفروا وخذلوا الإسلام والمسلمين، حيث قال تعالى: ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ أي وليتم على أديباركم منهزمين، وكان ذلك بسبب اغترارهم بأنفسهم وكثرتهم، فأخبرهم الله ﷻ أن النصر بيده ومن عنده، وأنه ليس بكثرة العدد<sup>(٣)</sup>، لذلك هزمهم الله سبحانه في بداية المعركة عقوبة لهم ليبين لهم مدى خطورة العُجب، والغرور ومدى خطورة الفرار من المعارك والغزوات أمام العدو فهذا من أكبر الكبائر، لذلك الهزيمة والفشل سببه التخاذل والفرار من أهل الخيانة والغدر وضعاف الإيمان المذنبين، أو المنافقين من الطابور الخامس الذي يُعاني منه المسلمون اليوم، وفي كل مكان يظهر فيه الإسلام بقوته وعزته وقوة أهله، يخرج علينا أمثال هؤلاء المتخاذلين، لذلك عقاب لهم لم يتب

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبد الرحمن السعدي، (ص ٣٣٣).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٦١٧).

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي، (م ١، ص ٤٠٠)، وصفوة التفاسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٩٢).

الله عليهم ولم يوقفهم للإسلام بسبب نفاقهم وفجورهم، فكتب لهم العقوبة في الدنيا والآخرة فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] <sup>(١)</sup>، وورد في الحديث عن ابن مسعود قال: "كنت مع النبي ﷺ يوم حنين فولى عنه الناس وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار، فكفا على أقدامنا ولم يولهم الدبر"، ورواية ابن عمر "لقد رأيتنا يوم حنين وإن الناس لمولين وما مع رسول الله مائة رجل" <sup>(٢)</sup>.

٦- فضل الطبقة الإيمانية الأولى: بيّنت الآيات الكريمة مدى قوة الصف الداخلي للمسلمين، بقيادتهم الحكمة الرائعة المتمثلة بشخصية الرسول ﷺ، وهذا يثبت مدى أهمية الجندي المسلم في التمكين والانتصار على العدو لأنهم أهل سورة البقرة والفتح، لأنهم أصحاب الشجرة، أصحاب البيعة، بيعة الرضا من الله ﷻ لهذه الفئة الطاهرة الشريفة المخلصة الصادقة من المسلمين، فهو صف عظيم تربي على التضحية والفداء بكل ما يملك من أجل حماية الدين والعقيدة، فهذه مجموعة فريدة بايعة بإخلاص وصدق فكانوا خير أهل الأرض حتى قال الله فيهم من فوق سبع سموات ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْابَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] ، فكان هذا تبليغ علوي كريم من الله العلي العظيم إلى رسوله الأمين عن هذه الجماعة المؤمنة، فكانت لحظة قدسية شهد فيها الوجود كله مدى رضا الله عنهم، وهذا يؤكد لكل جندي مسلم اليوم أن التجمع الذي لا تصهره التربية على العقيدة السليمة يصعب عليه أن ينتصر، وهذا ما حدث مع المسلمين يوم حنين، من هزة ليميز الله الخبيث من الطيب، فلم يثبت مع النبي ﷺ إلا هذه الفئة المؤمنة التي جاءها النداء الخالد: يا أصحاب البقرة فتقدم مائة من المهاجرين والأنصار السابقين الأولين، ثم نداء آخر: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة (أي بيعة الشجرة) فتقدموا عندما نادى فيهم العباس فجاءوا يقولون: يا لبيك يا لبيك رسول الله، فتقدم بهم النبي بثبات وحمي الوطيس ثم أخذ بيده من الحصار فرمى العدو بها وهو يقول: (شاهت الوجوه) فأدبروا فارين منهزمين، فكانت هذه الفئة الطاهرة أهل أصحاب سورة البقرة والفتح هم القاعدة الصلبة للإسلام، والعمود الفقري للمسلمين، تجمعهم رابطة العقيدة وتثبتهم على الحق وتنصرهم ويكتب لهم العزة والتمكين من

(١) ينظر: الراقصون على جراحنا، يمان السباعي، (ص ٨١-٩٢).

(٢) سنن الترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الثبات عند القتال، (م ٤، ص ١٧٣)، (ح ١٦٨٩)، وقال: حديث حسن.

رب العالمين، فتقضي على أكبر تجمع وثني ضخم من هوزان وثقيف بتوفيق من الله ﷻ<sup>(١)</sup>، فكانت هذه الغزوة درساً عظيماً مهماً من دروس الحرب لأن هذا الجيش دخله أخلاط كثيرون من مشركين وأعراب وحديثي عهد بالإسلام فكان عندهم سيان أن ينتصر الإسلام أو يُخذل من قبلهم ولكن بفضل الله ﷻ وبفضل هذه الجماعة المؤمنة الصادقة، انقلبت الهزيمة إلى نصر، فعلمت المسلمين درساً إلى اليوم أنه لا ينبغي أن يكون في الجيش إلا من يُقاتل خالصاً مخلصاً من قلبه ليكون مدافعاً حقاً عن دينه فلا تميل نفسه إلى الخذلان والضعف والفرار خشية ما أعهده الله للفارين من عذاب أليم وعقاب شديد<sup>(٢)</sup>، فيجب علينا اليوم ونحن نعيش زمن الفساد، وزمن الروبيضة أن نحتاط ونحذر ممن حذرنا الله منهم في سورة البقرة أمثال أهل الغدر والخيانة من اليهود والمنافقين وغيرهم، وأن لا نمشي حسب أهوائنا وشهواتنا، ونتمسك بسورة الفتح، ونقتدي بأهل سورة الفتح حتى يفتح الله علينا ويكتب لنا نصراً عزيزاً مؤزراً من عنده ﷻ، ونسير في طريق التخلية قبل التحلية فنتمسك بصفات المؤمنين الصادقين ونتخلص من صفات المتخاذلين الخائنين، فعندما لا نعطل حكم الإسلام العادل في أي قطر إسلامي يأتي النصر والتمكين من الله<sup>(٣)</sup>.

## المطلب الثاني

### حكم الله في المشركين إلى يوم الدين

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

أولاً: التفسير التحليلي:

مناسبة الآية لما قبلها:

بدأت الآية الكريمة باستئناف ابتدائي للرجوع إلى غرض إقصاء المشركين عن المسجد الحرام بقوله تعالى في السابق ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٧] جيء به

(١) ينظر: المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير محمد الغضبان، (م ٣، ص ٣١، ص ١٦٣)، والرحيق المختوم، للمباركفوري، (ص ٤٢٣).

(٢) ينظر: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، للشيخ محمد الحضري بك، (ص ٢٢٠).

(٣) ينظر: جند الله ثقافة وأخلاقاً، سعيد حوى، (ص ٣٩٧).

لتأكيد الأمر بإبعادهم عن المسجد الحرام مع تعليقه هنا بعبارة أخرى وهي أنهم نجس وفي السابق ورد أنهم لا يدخلونه لأنهم شاهدون على أنفسهم بالكفر فليسوا أهلاً لتعمير المسجد المبني للتوحيد، فربط بين الكفر والنجاسة لأنهم كفار ونجس فلا يعمرُوا المسجد لطهارته وقدسيته<sup>(١)</sup>.

### سبب النزول:

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان المشركون يجيئون إلى البيت ويجيئون معهم بالطعام يتجرون فيه، فلما نُهوا عن أن يأتوا البيت، قال المسلمون: من أين لنا الطعام؟ فأنزل الله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٢٨].

وأخرج ابن جرير عن سعيد ابن جبير<sup>(٢)</sup> قال: لما نزلت ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾، شق ذلك على المسلمين، وقالوا من يأتينا بالطعام والمتاع؟ فأنزل الله ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(٣)</sup>.

### المفردات الغريبة:

"نَجَسٌ": صفة مشبهة، اسم للشيء الذي النجاسة صفة ملازمة له، وقد أُنيط وصف النجاسة بهم بصفة الإشراف، فهي نجاسة معنوية نفسانية وليست نجاسة ذاتية، فالمشرك نجس لأجل عقيدة إشراكه، والمراد تحقيرهم وإبعادهم عن مجامع الخير والفضل والطهارة، لذلك أوجب الإسلام الغسل على المشرك إذا أسلم انخلاعاً من القذارة المعنوية بالطهارة الحسية لإزالة خبائثه نفسه<sup>(٤)</sup>، وعن ابن عباس رضي الله عنه: "أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير، وعن الحسن: من صافح مشركاً توضع"<sup>(٥)</sup>.  
"عَيْلَةٌ": العيلة: الفقر، عيلةً: فقراً، عال الرجل يعيل إذا افتقر<sup>(٦)</sup>، ويُقال عال الرجل يعيل إذا افتقر

(١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ١٥٩)، وفتح القدير، للشوكاني، (م ١، ص ٧١٩).

(٢) سعيد بن جبير الأسدي، الكوفي، أبو عبد الله من كبار التابعين وأعلمهم، ولد سنة ٤٥ هـ، حبشي الأصل، من بني أسد، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر، قُتل على يد الحجاج، قال الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه، توفي سنة ٩٥ هـ، ينظر: الأعلام، للزركلي، (م ٣، ص ٩٣).

(٣) لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، (ص ٢٢٤-٢٢٥)، وتفسير الطبري، (١٤٢، ص ١٩٧)، والحديث سبق تخريجه.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ١٦٠).

(٥) الكشاف، للزمخشري، (م ٢، ص ٤٣٩).

(٦) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، (م ٣، ص ٢٤٦)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م ٤، ص ٤١).

ومنه يعول (١).

### القراءات:

"تَجَسَّ": فُرئ بكسر النون "تَجَسَّ" وبسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف فكأنه قيل: إنما المشركون جنس نجس، أو ضرب نجس، وأكثر ما جاء تابِعاً لرجس وهو تخفيف نجس، نحو كَبَدَ، في كبد، فلا يدخلون المسجد الحرام وهم نجس.

"عَيْلَة" فُرئ: "عائلة" بمعنى المصدر كالعافية، أو حالاً عائلة (٢)، وقرأ ابن مسعود "عائلة" وهو مصدر وقيل معناه: خصلة شاقة يُقال عألني الأمر يعولني أي شق عليّ واشتد (٣).

### النحو والبلاغة:

"إنما المشركون نجس": الصيغة لإفادة الحصر واللفظ فيه تشبيهه بليغ أي كالنجس في خبث الباطن، وخبث الاعتقاد حُذفت منه أداة الشبه ووجه الشبه فأصبح بليغاً يجعلهم كالنجاسة لأنها ملابسة لهم للمبالغة في وصفهم.

و"فلا يقربوا المسجد": عبر عن الدخول بالقرب للمبالغة (٤).

و"المشركون" مبتدأ، وخبره المصدر مبالغة في وصفهم بذلك حتى كأنهم عين النجاسة أو على تقدير مضاف: أي ذوو نجس لأن معهم الشرك وهو بمنزلة النجس.

"فلا يقربوا": الفاء للتفريع، فعدم قربانهم للمسجد الحرام متفرع على نجاستهم (٥).

### الأحكام الشرعية:

١- وجوب العُسل على الكافر إذا أسلم على قول أهل السنة والجماعة؛ لأن معنى الإيمان: قول باللسان وتصديق بالقلب، ويزكو بالعمل قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

٢- لا يجوز للمشرك دخول المسجد الحرام، أي يُحرم تمكين المشرك من دخول الحرم بالإجماع وقيل في المسجد الحرام خاصة وجميع المساجد عامة، لأنهم لا تخلو النجاسة من أجسادهم

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م ٤، ص ٤٢).

(٢) الكشاف، للزمخشري، (م ٢، ص ٤٣٩)، وتفسير البيضاوي، (م ١، ص ٤٠١).

(٣) فتح القدير، للشوكاني، (م ١، ص ٧٢٠).

(٤) صفوة التفاسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٩٤)، والكشاف، للزمخشري، (م ٢، ص ٤٣٩).

(٥) فتح القدير، للشوكاني، (م ١، ص ٧١٩).



سواء نجاسة العين أو نجاسة المعنوية (الشرك) لذلك فمنعه من المسجد واجب لأن علة النجاسة موجودة فيهم والحرمة موجودة في المسجد، وقال الشافعي رحمه الله: الآية عامة في سائر المشركين، خاصة بالمسجد الحرام، ولا يمنعون من دخول غيره فأباح دخول اليهودي والنصراني في سائر المساجد<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: التفسير الإجمالي:

يؤكد الله ﷻ في هذه الآية الكريمة على قدر وخبث المشركين، فقال تعالى: ﴿إِنَّهَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ أي لخبث باطنهم ونجس اعتقادهم بشركهم قال ابن عباس: نجسه كالكلاب والخنازير، وقال الحسن: من صافح مشركاً فليتوضأ، والجمهور على أن هذا على التشبيه أي هم بمنزلة النجس أو كالنجس لخبث اعتقادهم وكفرهم بالله جُعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في الوصف، ونهى الله ﷻ بدخولهم المسجد الحرام ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ أي لا يدخلوا الحرم، حيث أطلق المسجد الحرام وقصد به الحرم كله، وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة ويؤيده حديث: (وألا يحج بعد هذا العام مشرك)، وهو العام الـ ١١ نزلت فيه سورة براءة، ووجه الله سبحانه للمؤمنين بأنهم إذا خافوا الفقر بسبب منعهم من دخول الحرم أو الحج فإن الله ﷻ سوف يغنيكم عنهم بطريق آخر من فضله وعطائه ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قال المفسرون: لما منع المسلمون من تمكين المشركين من دخول الحرم، وكان المشركون يجلبون الأطعمة والتجارات إليهم في المواسم، ألقى الشيطان في قلوبهم الحزن فقال لهم: من أي تأكلون؟ وكيف تعيشون وقد منعت عنكم الأرزاق والمكاسب؟ فأمنهم الله من الفقر والعيلة، ورزقهم الغنائم والجزية فأغناهم بإرادته ومشيتته وقوته ﷻ إنه عليم حكيم، قال ابن عباس: عليم بما يصلحكم، حكيم فيما حكم في المشركين<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- المنهج القرآني ومنهج الجاهلية لا يلتقيان: أعلن الله سبحانه في هذه الآية الكريمة عن المنهج الحق، منهج العقيدة الصحيحة أنه لا يلتقي أبداً ولا يتعايش مع منهج الجاهلية، فلا يلتقي الإيمان مع الكفر ولا يلتقي الطهر مع النجس، فالمنهج القرآني يربي الأمة على

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٤م، ص ٣٨-٣٩).

(٢) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (ص ٤٩٢، ٤٩٣)، والتفسير الوجيز ومعجم معاني القرآن العزيز، لوهبة الزحيلي، (ص ١٩٢).

التجرد لله والخلوص لدينه، ففيه مفاصلة بين الحق والباطل، بين أساس العقيدة وأساس الحياة الدنيا وشهواتها المبني على الجهل وقانون الجاهلية الفاسد فمنهج الله يجعل الناس كلهم عبيداً لله وحده ومنهج الجاهلية يجعل الناس أرباباً لبعضهم البعض<sup>(١)</sup>، وهذا ما نجده اليوم في واقعنا وحاضرنا الأليم حيث نجد طواغيت الدول العربية عبيداً لأسيادهم من اليهود والأمريكان لا يخالفون لهم مبداءً ولا قانوناً ولا رأياً يسيرون من تحت أقدامهم كالعبيد، كما أصبحوا عبيداً للمال والمنصب والسلطان والنفوذ ونسوا أنهم خُلقوا مسلمين، وجاءوا على فطرة الإسلام، دين الرحمة والعدل والأمن والسلام الذي حُرمت شعوبهم منها بسبب طغيانهم وغطرستهم وبعدهم عن العقيدة الصحيحة ومحاولة تزييفهم لحقائق ومنهج القرآن الكريم ليتفق مع أهوائهم وشهواتهم، حتى أنهم اشتروا بعض علماء السلاطين ليفتوا لهم وفق مطالبهم وأوامرهم وشهواتهم ومصالحهم ولكن ليس لنا إلا أن نقول فيهم حسبنا الله ونعم الوكيل فالله ﷻ قال فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ \* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ﴾ [محمد: ٢٥-٢٦] ، فأعلن الله أن الكفار نجس ولا يقربونا أو نقر بهم في مسائل العقيدة والدين خاصة، ولكن ما نجده اليوم أن العالم الإسلامي يعيش ردة خطيرة حيث يلهث خلف الكافرين ويتبع خطاهم، وترك منهج الله وحكم الله فأصبحوا مثلهم في الضلال والكفر والغي حيث يقول تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] ، فقالوا عن أحكام الله رجعية غير تقدمية وأباحوا في بلادهم الخمر والعهر والزنا والفجور واستباحوا دماء المسلمين بالقتل، والتعذيب والتشريد ضمن قوانين وضعية تتصف بالجهل والقهر والظلم ونسوا قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا \* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٥٩-٦٠] <sup>(٢)</sup>.

فيجب على علماء الأمة الإسلامية إرشاد الناس إلى طريق الهداية والرشاد لإخراج الناس من جاهلية هذا العصر، وما يحدث فيه من تعدي على أحكام الدين والعقيدة، فبيان العلماء لمسائل الشرك أداء للأمانة، وقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لصالح حال

(١) ينظر: في ضلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٦١٩).

(٢) ينظر: جند الله ثقافة وأخلاقاً، سعيد حوى، (ص ٥، ٦، ٧).

الإسلام والمسلمين، وعلى العلماء الرجوع إلى الكتاب والسنة التي عرفها الإمام الشافعي بأنها الحكمة حيث قال الحكمة: هي سنة رسول الله ﷺ (١) التي أرسلها الله سبحانه هداية للناس كافة، وقال محمد بن دراز (٢): "الوازع الديني هو الذي يبعث على التمسك والالتزام بالشرائع المستمدة من القرآن ويبعد عن مخالفتها، ويبعد عن العقائد الفاسدة التي تتصف بالباطل والانحراف" (٣).

٢- طهارة وقداصة أول مسجد وضع في الأرض (البيت الحرام): أكد الله سبحانه في هذه الآية الكريمة على نجاسة أهل الشرك، وخاصة نجاسة الفكر والاعتقاد فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ والعلماء كثرت أقوالهم في معنى وصف المشرك بالنجس فمنهم من قال أنها معنوية ومنهم قال بأنها مادية أي نجاسة أبدان ومنهم من جمع بين الأمرين فبعض المذاهب أكدت وأوجبت الغسل على الكافر إذا أسلم، والوضوء إذا صافح المشرك، وكل هذا يصب في دائرة نجاسة المشرك، حيث نهاهم الله سبحانه بأن يقربوا المسجد الحرام أي يدخلوه، فقد حُرِّم عليهم دخوله فليس لهم الاستيطان ولا الاجتياز بسبب علة النجاسة فيهم سواء في اعتقادهم الباطل أم في أبدانهم (٤)، لذلك هذا مما يؤكد على عظمة وقداصة هذا البيت، بيت الله الحرام، الطاهر، الشريف، المبارك، قبلة المسلمين في كل أرجاء العالم، فالحرم كله قبلة ومسجد فلا يدخله إلا أهل الطهارة والنقاء والصفاء، فلا ينجسه مشرك وثني، وقد وردت قداسته وطهارته في القرآن حيث بين الله سبحانه أن رحلة الإسراء والمعراج معجزة النبي ﷺ حدثت من المسجد الحرام فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] ، وأول ما فعل النبي ﷺ في مكة حطم الأصنام من حول الكعبة، فعن عبد الله قال: دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نُصْبًا. وفي رواية (صنماً) فجعل يطعنها بعود كان بيده ويقول: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] ، وقال: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩] (٥)،

(١) الأم، محمد بن إدريس الشافعي، (م٧، ص٢٨٨).

(٢) محمد بن عبد الله دراز: فيه متأدب، مصري، أزهرى، كان من هيئة كبار علماء الأزهر، وله كتب ومؤلفات منها: "الدين"، "دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام"، توفي سنة ١٣٧٧هـ، سنة ١٩٥٨م. ينظر: الأعلام، للزركلي، (م٦، ص٢٤٦).

(٣) ينظر: النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز، (ص١٩٧).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (م٤، ص٤٠، ٤١).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة، (ب٣٢، ح١٧٨١)، (ص٤٦٦).

وجاءت طهارته وقداسته وفضله حيث يأمله الناس ويحجون إليه من كل بقاع العالم لمكانته وفضلته حيث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد كما ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا ومسجد الحرام ومسجد الأقصى) <sup>(١)</sup>، فظهره الله سبحانه من الشرك والمشركين، ومن الأصنام والأوثان بالإعلان يوم الحج الأكبر أن لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان كما كان يفعل أهل الجهل والشرك والضلال فعن أبي هريرة قال: بعثني أبو بكر الصديق الحجّة التي أمره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع في رهط، يؤذنون في الناس يوم النحر: (لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان) <sup>(٢)</sup>، ولكن للأسف نجد الاعتداء اليوم من أعداء الإسلام على مقاساتنا الإسلامية ولكن العالم الإسلامي مُغَيَّب ويعيش في سُبات عميق.

٣- **عقيدة الإسلام مقدمة على الاقتصاد والتجارة والمال:** قررت الآية الكريمة أن العقيدة مقدمة على شهوات الحياة الدنيا ولذا نذرها من عمل ومال ونفوذ وغيره حيث قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾ حيث خاف المسلمون على أنفسهم من الفقر والحاجة لما منعوا المشركين من الموسم وهي تجارة الصيف والشتاء فمن أين يعيشون ويحصلون على مصدر الرزق والمال والتجارة من أجل حياتهم، وعدهم الله سبحانه إن تمسكوا بعقيدته ونفذوا أوامره بقتال المشركين والاحتكام لشرعه سوف يغنيهم الله عن التعامل مع أهل الشرك فلما طبقوا ما أمرهم الله ﷻ وقدموا الدين والعقيدة على حب المال والشهوات أكرمهم الله بالنصر والفوز والفلاح والأمن والأمان وكثر الخير والرزق وزاد مالهم وكبرت تجارتهم وأغناهم الله من فضله بالجهد والظهور على الأمم <sup>(٣)</sup>.

٤- **الله سبحانه هو المتكفل بالرزق لعباده:** هذه الآية الكريمة دلت على مدى تعلق الإنسان في أسباب الرزق، حيث يظهر لنا دائماً مدى تعلق القلب بأسباب الرزق في هذه الحياة الدنيا، وهذا جائز، وغير مناف للتوكل، وإن كان الرزق مقدرًا، وأمر الله وقسمه مفعولًا، ولكنه تعالى علقه بالأسباب حكمة؛ ليعلم القلوب التي تتعلق بالأسباب من القلوب التي تتوكل على رب الأرباب فهذا أفضل وأعظم فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لو توكلتم

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، (ب ٩٥، ح ١٣٩٧)، (ص ٣٤١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، (ب ٧٨، ح ١٣٤٧)، (ص ٣٣٢).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (م ٤، ص ٤٢).

على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً<sup>(١)</sup>، فالالتزام بطاعة الله والتوكل عليه سبب من أسباب الرزق من الله حيث قال في كتابه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: ١٣٢] ، فالله سبحانه هو المتكفل بالرزق لعباده بعد الاعتماد والتوكل عليه بالطاعة وإخلاص العمل لأن أفضل الكسب والرزق ما كان من عمل اليد مثل داود عليه السلام حيث قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠] ، فهذا درس للمسلمين اليوم وهم يعيشون في حالة اقتصاد متردّية وبطالة وفقر وفاقة خاصة الشعوب المنكوبة والمحاصرة مثل فلسطين وسوريا ومصر وغيرها من الدول التي تعاني الفقر يجب أن تقتدي بفعل النبي ﷺ وصحابته حيث بعد أن كثر الفتح وانتشر الإسلام أكرمهم الله بالخير الكثير من الأعمال المتنوعة والتجارة وازدهار الاقتصاد وبالرزق الوفير سواء من السماء أو من الجزية والغنائم<sup>(٢)</sup>، فكل ذلك كان بفضل العود للإسلام وتطبيق شرعه وأحكامه والاعتماد عليه.

---

(١) الترمذي، كتاب الزهد، (٢٣٤٤)، باب (٣٣)، في التوكل على الله، وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (م٤، ص٤٢، ٤٣).

## المبحث السابع

مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (٢٩-٣٣)

الأحكام النهائية في العلاقات بين المجتمع المسلم وأهل الكتاب

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأمر بقتال أهل الكتاب المنحرفين عن الدين حتى يدفعوا الجزية.

المطلب الثاني: عقائد أهل الكتاب المنحرفة.

المطلب الثالث: موقف أهل الكتاب من الإسلام.

## المبحث السابع

### مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (٢٩-٣٣)

الأحكام النهائية في العلاقات بين المجتمع المسلم وأهل الكتاب:

قال تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ \* وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ \* اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ \* يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ \* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ . [التوبة: ٢٩-٣٣].

## المطلب الأول

### الأمر بقتال أهل الكتاب المنحرفين عن الدين حتى يدفعوا الجزية

قال تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩].

أولاً: التفسير التحليلي:

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر الله ﷻ قبح المشركين وأثنى على المؤمنين الطاهرين الصادقين وبين مدى صفات المشركين بأنهم نجس، عاد إلى الحديث عن قبائح أهل الكتاب للتحذير من موالاتهم، وأنهم كالمشركين يسعون لإطفاء نور الله (١).

فالكلام فيه انتقال من الحديث عن نبذ العهد مع المشركين وأحوال المعاملة بينهم وبين المسلمين إلى الحديث عن المعاملة بين المسلمين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى إذ الاثنان يشتركان في الكفر والاعتداء على الإسلام (٢).

(١) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، م ١، ص ٤٩١.

(٢) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، م ٥، ص ١٦٢.

## المفردات:

"الجزية": وزنها فعلة من جزی يجزي: إذا كافأ عما أسدي إليه، فكأنهم أعطوها جزاء عما منحوا من الأمن، وقيل: سميت جزية لأنها طائفة مما على أهل الذمة، أن يجزوه: أي يقضوه وهي في الشرع ما يعطيه المعاهد على عهده (١).

"صاغرون": من الصغار الذل، والصاغر اسم فاعل من صغر بكسر الغين صغراً أو صغاراً إذا ذل وجاء في قوله تعالى: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ، صغار أي أذلاء وهذه حالة لازمة لإعطاء الجزية عن يد: والمقصود لله تعظيم أمر الحكم الإسلامي وتحقير أهل الكفر ليكون ترغيباً لهم في الانخلاع عن دينهم الباطل واتباعهم دين الإسلام (٢).

## النحو والبلاغة:

"عن يد" تأكيد لمعنى يعطوا للتخصيص على الإعطاء "وعن" فيه للمجازة أي يدفعوها بأيديهم ولا يقبل منهم إرسالها ولا الحوالة فيها، ومحل المجرور الحال من الجزية، وجملة صاغرون حال من ضمير "يعطوا" أي يعطوا وهم صاغرون تحقيراً لأهل الكفر (٣).

## الأحكام الشرعية:

١- وجوب قتال المنحرفين من أهل الكتاب لإنكارهم الإسلام، أو قتالهم من أجل دفع الجزية بدلاً من القتل مقابل ما يمنحوا من الأمن في دار الإسلام، وأجاز الجزية للمسلمين، وجعلها عوضاً مما منعهم من موافاة المشركين بتجارتهن، كانت لم تؤخذ من قبل ذلك وهذا تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً...﴾ [التوبة: ٢٨] ، فأغناهم الله من فضله سواء بالجزية أو غيرها (٤).

٢- لا تؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب عرباً كانوا أو عجماً لأنهم هم الذين خُصوا بالذكر في الآية الكريمة وذلك في قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] ، ويعطوها وهم أذلاء مذمومين وقيل عن قهر وقيل يدفعها وهم قائم

(١) فتح القدير، للشوكاني، م ١، ص ٧٢٠.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، م ٥، ص ١٦٧، والكشاف، للزمخشري، م ٢، ص ٤٣٩، والنكت والعيون، للماوردي، م ٢، ص ٣٥١.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، م ٥، ص ١٦٦.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، م ٤، ص ٤٤-٤٥، ومختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، أ.د عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، ص ١٨٠.



والآخذ جالس تحقيراً لهم، فالله سبحانه يرفع من يشاء ويخفض من يشاء لا إله غيره.

٣- تؤخذ الجزية من كل عابد وثن أو نار أو جاحد أو مكذب بالإسلام، أي تؤخذ من جميع أجناس الشرك والجدد، عربياً أو عجمياً إلا المرتد، فقياساً على الشرك الكفر قيل تؤخذ الجزية من المجوس لأنها تقبل من كل من دان بغير الإسلام وتسقط بالإسلام، فلا جزية لمن أسلم، ولو عاهد الإمام وأهل بلد على دفع الجزية وامتنعوا عن أدائها وامتنعوا من حكم الإسلام من غير أن يُظلموا أو يُعتدى عليهم وعمولوا بعدل من الإمام، وجب على المسلمين غزوهم وقتالهم مع أمامهم فإن قاتلوا وغلبوا حكم فيهم بالحكم في دار الحرب سواء، فتؤخذ الجزية من الرجال المقاتلين فلا جزية للعبد أو الأمة أو الشيخ الفاني والنساء والمجانين وغيرهم من الضعفاء<sup>(١)</sup>، وفي الحديث الذي يؤكد على وجوب محاربة أهل الكفر والضلال المنحرفين من أهل الكتاب عن عمر بن الخطاب، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (الأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب، حتى لا أدع إلا مسلماً)<sup>(٢)</sup>.

#### ثانياً: التفسير الإجمالي:

يأمر الله ﷻ في هذه الآية الكريمة بقتال الذين لا يؤمنون إيماناً صحيحاً بالله واليوم الآخر وإن زعموا الإيمان فقال سبحانه: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ... ﴾ [التوبة: ٢٩] ، حيث يؤكد ﷻ على فساد اعتقادهم وبطلانه فاليهود يدعون أن الله ابن والنصارى يعتقدون بألوهية المسيح فلا يحرمون ما حرم الله ﷻ في كتابه، ولا رسوله ﷺ في سنته بل يأخذون بما شرعه لهم الأقباط والرهبان ولهذا يستحلون الخمر والخنزير وما شابهها ولا يعتقدون بدين الإسلام الذي هو دين الحق، فهذا بيان عن هؤلاء المنحرفين من اليهود والنصارى الذين نزلت عليهم التوراة والانجيل، فهم يزعمون أنهم على دين ولكنه دين غير الحق<sup>(٣)</sup>، دين مبدل ومحرف وهو الذي لم يشرعه الله لأنهم يحلون ما حرمه ويحرمون ما أحله، فهم يجب عليهم وإن كانت لهم شريعة منزلة من الله أن يتبعوا آخر شريعة منزلة نسخت ما قبلها وهي شريعة الإسلام، لذلك أمر الله بقتالهم وجعل لقتالهم غاية وهي الجزية فقال تعالى: ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ أي يُعْطُوا المال الذي يكون جزاء لترك المسلمين لقتالهم، وإقامتهم آمنين على أنفسهم وأموالهم بين

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (م ٤، ص ٤٥-٤٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، (ب ٢١، ح ١٧٦٧)، (ص ٤٦٠).

(٣) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٩٣).

أظهر المسلمين، يؤخذ منهم كل عام، كل على حسب حاله، وعليهم أن يعطوها وهم أذلاء وبأيديهم فلا يرسلون بها خادماً ولا غيره، بل لا تقبل إلا من أيديهم وهم صاغرون تحقيراً لهم.

وألحق بأهل الكتاب المجوس حيث أخذ النبي ﷺ الجزية من مجوس هجر، ثم أخذها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من الفرس المجوس، وقيل تؤخذ من كل كافر لأن هذه الآية نزلت بعد الفراغ من قتال العرب المشركين والشروع في قتال أهل الكتاب ونحوهم فقد تواتر عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يدعون من يقاتلونهم إلى إحدى ثلاث إما الإسلام، أو أداء الجزية، أو السيف من غير فرق بين كتابي وغيره<sup>(١)</sup>، فإما أن يدفعوا الجزية صاغرين حقيرين مقهورين بسطان الإسلام وإما القتال، لأنهم يجب عليهم أن يخضعوا للحكم الإسلامي، ويلتزموا أحكام الإسلام، وسيادة الدولة الإسلامية، طالما يعيشون في دار الإسلام<sup>(٢)</sup>، فلا نفهم من ذلك أن الإسلام شرع الجهاد من أجل إزهاق النفوس أو تحقيق المكاسب المادية أو السياسية أو الشخصية، إنما شرع لأهداف نبيلة وغايات سامية ودليل ذلك أن القرآن لم يذكر القتال في القرآن إلا وقرن أنه من أجل الله وفي سبيل الله في سبيل نصرته دين الله، فالغاية هي غاية مقدسة إعلاء كلمة الله تعالى لا لسيطرة أو لمغنم مادي<sup>(٣)</sup>، لذلك أكدت هذه الآية الكريمة على قتال أهل الكتاب المنحرفين الصادين عن دين الله ﷻ أهل المكر والحقد والكيد للإسلام.

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- رُقي الإسلام في التعامل مع غير المسلمين، فلا عهد ولا مهادنة مع أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية: قررت الآية حكماً نهائياً في أهل الكتاب وفق المنهج الإسلامي القائم على الوفاء، والإخلاص والعهد، بأخذ قرار حاسم بأمر من الله تعالى بقتالهم، لفساد عقيدتهم فهم أصحاب الأقوال الفاسدة واليهود يقولون عن أنفسهم هم أبناء الله وأحباؤه وشعب الله المختار والنصارى يقولون بعقيدة التثليث وكل معصية تُغفر بالاتحاد بالمسيح وتناول العشاء المقدس وصك الغفران فهؤلاء كفروا بالله واعتدوا على ألوهيته، لذلك أمر الله بقتالهم إلا أن يسلموا أو يدفعوا الجزية وهم أذلاء حتى يستسلموا، ويخضعون للإسلام دون إكراه، فعندما يساهم في نفقات الدفاع عن نفسه وماله وعرضه وحرماته التي يكفلها الإسلام لأهل الذمة الذين يدفعون الجزية فيصبحوا في ذمة المسلمين وضمانتهم فيقدم لهم الحماية والرعاية من الاعتداء عليهم، وعندما يشعر بالمساواة بينه وبين المسلم حيث يدفع الزكاة وهو يدفع الجزية للمساهمة في بيت مال

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة السعدي، (ص ٣٣٤).

(٢) ينظر: التفسير الوجيز ومعجم معاني القرآن العزيز، أ.د. وهبة الزحيلي، (ص ١٩٢).

(٣) ينظر: روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، (م ١، ص ٢٢٦).

المسلمين الذين يضمن الكفالة والإعاشة لكل عاجز عن العمل بما فيهم أهل الذمة<sup>(١)</sup>، هذا يعرفهم على الإسلام، ومنهج الإسلام، وتعاليم الإسلام، فيعتقدوه دون إكراه لبيان مدى رقيه وعظمته بالتعامل مع غير المسلمين، رغم ما فعلوا بالمسلمين والكل يعلم ما فعله اليهود والصليبيون بالإسلام والمسلمين منذ اعتدائهم على بيت المقدس إلى يومنا هذا وعلى مدار التاريخ والمسلمون يعانون من قسوة تعامل اليهود والنصارى الصليبيين من ذبح وتشريد وتدمير وفساد ورغم ذلك عوملوا من قبل الإسلام معاملة راقية، طيبة تؤكد على مدى عظمة وسماحة هذا الدين الذين يسمو على معتقداتهم الباطلة وجاهليتهم المتعفنة، فهذا حكم الله فيهم إلى يومنا هذا، فهم يكيدوا للإسلام والمسلمين فهم وراء كل كارثة حلت بالمسلمين في كل مكان وزمان على وجه الأرض بإثارة الفتن والمؤامرات والحروب ضد الإسلام، يريدون القضاء على اسم إسلام، يخافون ويرتعبون من هذه الكلمة، ويشعرون بخطر الإسلام من يوم أن ظهر على عقيدتهم الفاسدة إلى يومنا هذا، لكن حاضرننا اليوم يعيش حالة من الاستسلام والخضوع والخنوع لهم، يتعايش معهم، ويُطَبِّع معهم، ويتنازل عن مبادئ ومنهج الإسلام من أجلهم، وهذا ما نتأسف عليه اليوم في واقعنا الإسلامي والعربي لأن الإسلام موجود ولكن وأسفاه من غير مسلمين، فبدلاً ما يسيروا على خطى مؤتة، وتبوك، وخيبر، ويعيدوا مجد الأمة بعودة قوة الإسلام في الأرض، يطبقون منهج الطاعة والولاء والخنوع لليهود والنصارى لعلهم يفوزون بصك الغفران ولكن لا ييأس الإسلام من أهله الشرفاء المخلصين فكما بدأ سيعود وهذا وعد من الله تعالى<sup>(٢)</sup>، حيث يقول ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢] .

٢- حقوق الذمي المعاهد في الإسلام أصبح اليوم أمراً تاريخياً لا واقعياً: إذا راجع المسلمون التقارير الربانية عن المشركين يجدوا أن الأهداف النهائية لهم تجاه الإسلام والمسلمين هي نفس الأهداف النهائية لأهل الكتاب تجاه الإسلام والمسلمين، فكلاهما يريد الخلاص والقضاء على الإسلام والمسلمين، وبعد القضاء على آخر معاقل اليهود والنصارى وكسر المسلمون شوكتهم وخاصة في مؤتة وتبوك وضع الإسلام قواعد أساسية ونهائية تحدد العلاقات بين أهل الكتاب والمجتمع المسلم ضمن المنهج الحركي الواقعي الإيجابي الشامل، فحفظت لهم حقوقهم في أرض الإسلام بدفع الجزية<sup>(٣)</sup>، وحتى عند قتالهم نهى الإسلام عن قتال فئة منهم وهم

(١) ينظر: تاريخ الدولة العربية حتى نهاية الغزو المغولي، د. أحمد فاعور، د. شحادة الناطور، ص ١٢٤.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٦٢٨-١٦٣٣).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (م ٣، ص ١٦٣٤).

الأطفال والنساء والشيوخ والعجزة والرهبان؛ لأن الإسلام لا يقاتل إلا المحاربين الذين يعتدون عليه<sup>(١)</sup>، وكذلك لم يكره الإسلام أحداً منهم للدخول فيه بالتخويف والترهيب والإكراه فأعطاهم الإسلام كمال حقوقهم وحرمتهم للعيش بأمن وأمان بحماية ورعاية المسلمين لهم طالما دفعوا الجزية ولم يعتدوا على الإسلام والمسلمين ولكن اليوم نجد هذا الأمر في واقعنا أصبح أمراً تاريخياً لا واقعياً لأننا اليوم للأسف لا نجد تطبيق الإسلام، نجد المسلمين غثاء كغثاء السيل ولكن بعيون جداً عن أوامر الإسلام، وتطبيق شرع الله في الأرض، فالمنهج الإسلامي منهج واقعي جاد لذلك اليوم للأسف عدنا إلى نقطة البداية كأول عهد الناس برسالة الإسلام، فعندما نطبق الشريعة الإسلامية ونجد فعلاً بقعة طاهرة تطبق شرع الله في الأرض يدينون الله وحده بالحاكمية والسلطان والتشريع كمنهج حياة، يطبقوا ما جاء في هذه النصوص الشرعية الخاصة في مجال العلاقات بين المجتمع المسلم وغيره من المجتمعات خاصة مع أهل الكتاب الإسلام أبداً لا يكون عالم نظريات وإنما عالم الواقعية والجدية، لذلك أوجه رسالة للمسلمين اليوم بأن يبحثوا عن الإسلام بالفعل وقيموا دولة الإسلام منهاجاً وشرعية كما أمر الله ﷺ ولا يبيعوا دينهم بعرض من الدنيا، لأن الإسلام عندما يُطبق الجميع سوف يأخذ حقوقه ويعيش بأمان سواء المسلمين أو غير المسلمين والعكس بالعكس وهذا ما نراه اليوم القهر والذبح والتشريد للمسلمين وغير المسلمين<sup>(٢)</sup>.

٣- **قوة نظام الحكم في الدولة الإسلامية:** أعلنت هذه الآية الكريمة مدى قوة شريعة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين وأعلن للعالم أجمع أن الإسلام، ومنهج الإسلام قانونٌ وشرعية وأحكام أقوى وأعظم نظام حكم عرفه التاريخ على مر العصور، فهي الشريعة التي حفظها الله من التحريف والتغيير والضلال، كما حدث في كتب اليهود والنصارى المحرفة المنحرفة عن الحق، لذلك انطلق الإسلام وخاصة بعد هذه السورة العظيمة التي تحدثت في معظمها عن قتال الروم في الأرض والخلاص من آخر معقل لهم في غزوة تبوك آخر غزوات الإسلام حيث طهرت الأرض من دنسهم وفسادهم، ووقف الإسلام مستعصياً على الإبادة والإفناء، ماضياً في طريقه حتى وصل إلى أعلى قمم التميز والمفاضلة حين أعلن الإسلام الحرب على الطاغوت في الأرض لتسود شريعة الله، فنظام الحكم في الإسلام سار وما يزال يسير وفق الميثاق والقواعد التي أعلنها النبي ﷺ عندما أعلن دولة الإسلام العريقة في المدينة الذي أعلن

---

(١) ينظر: بين العقيدة والقيادة، محمود خطاب، (م ١، ص ١٢٥)، وسماحة الإسلام في الدعوة إلى الله، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، (ص ١٤٨).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٦٣٤).

فيها عن أحكام الإسلام النهائية مع المشركين وأهل الكتاب وغيرهم وأن المؤمنين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، كما نظم حكم الإسلام الشامل والعاقل - الغرم بالغنم -<sup>(١)</sup>، فمن حق الدولة الإسلامية أن تقتطع من الثروات والأموال التي في يد الأفراد ما تراه كافياً لإعلاء كلمة الله<sup>(٢)</sup>، فنحن اليوم في واقعنا نعيش حرب الأحزاب والطوائف والمذاهب ونعيش الغزو الفكري في كل مكان، فنجد النزعات الجاهلية عادت من جديد فكثر الطوائف والأحزاب والفرق، والنزعات القومية والوطنية، والدينية وهذا نجده بكثرة في العالم العربي والإسلامي للأسف، لذلك يجب أن نعود للإسلام العظيم وتعاليمه وأحكامه حتى نستطيع العيش وسط هذا الزحام من الأديان الطوائف المختلفة ونحكم منهم شرع الله فيجب أن يصل هدى الإسلام القوي العزيز معلناً مدوياً في كل أرض وتحت كل سماء لأنه لا حل إلا بالإسلام وتطبيق منهج الله في الأرض، والجميع المسلمون وغير المسلمين يحتكمون لميزان الإسلام العادل، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩] ، فيجب علينا كمسلمين أن نتعامل مع الجميع بأخلاق الإسلام بقوة الإسلام وعظمتها مستمدة من قوة أخلاقه وهذا درس عظيم لكل إنسان مسلم شاباً أو داعياً أو مجاهداً أن يتعامل مع البشر بلين ورحمة وسماحة كما علمنا إسلامنا وقدوتنا محمد ﷺ فالمسألة ليست صنماً يُكسر ويحطم ولكن باستخدام التدرج في إزالة المنكر وفرض شريعة الحق في الأرض<sup>(٣)</sup>، قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: "من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره"<sup>(٤)</sup>.

٤- **الجهاد شرع من أجل إقامة الدين الحق في الأرض:** فالآية الكريمة أمرت بقتال المنحرفين عن الدين الحق بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ...﴾ [التوبة: ٢٩] ، فهذا مقصد عظيم مقاصد الجهاد في الإسلام، وهو المقصد الأسمى قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "كان أصل القتال المشروع هو الجهاد ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن امتنع من هذا قوتل باتفاق المسلمين"<sup>(٥)</sup>، وقد أكد النبي ﷺ هذا المبدأ فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً

(١) ينظر: المال والحكم في الإسلام، عبد القادر عودة، (ص ٥٣).

(٢) ينظر: التحالف السياسي في الإسلام، منير محمد الغضبان، (ص ٨٣، ٩٣، ٩٧، ١٠٧).

(٣) ينظر: المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير محمد الغضبان، (م ٣، ص ١٩٧).

(٤) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، (م ٣، ص ٢٠٧).

(٥) السياسة الشرعية، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، (ص ٩٩).

رسول الله، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله) (١)، فالهدف المرجو من الجهاد هو إعلاء كلمة الله في الأرض وتطهيرها من دنس المنحرفين أمثال المشركين والكفار من أهل الكتاب المعتدين، المحاربين للإسلام، وسحق كل الطواغيت في الدنيا الذين يحاولون صد الناس عن دين الله الحق في الأرض، ويحولون بين الناس وبين وصولهم إلى الله ﷻ حتى ينالوا السعادة والكرامة في الدنيا والآخرة، لا ولن تنال البشرية الكرامة التي وهبها لها الله، ولن يتحرر الإنسان في الأرض إلا حين يكون الدين كله لله، فلا تكون هناك دينونة لسلطان سواه (٢)، لذلك يُعد من الكبائر ترك الجهاد عند تعيينه بأن دخل الحريون دار الإسلام أو ترك الناس الجهاد من أصله (٣)، وغزو الكفار المعتدين، ومناجزة أهل الكفر وحملهم على الإسلام، أو تسليم الجزية أو القتل فهو معلوم من الضرورة الدينية ولأجله بعث الله رسله، وأنزل كتبه، وما زال رسول الله ﷺ منذ بعثه الله سبحانه إلى أن قبضه إليه، وهو يدافع عن هذا الدين، وكان ذلك من أعظم مقاصده (٤)، فالصراع بين الحق والباطل وبين الكفر والإيمان لا ينتهي ولا يزول إلا أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلا بد لهذه الأمة اليوم، إذا أرادت أن تحيا حياة كريمة من أن تستعد الاستعداد الكامل لمجابهة الأعداء بكل ما نملك من قوة وعزم وإباء وأن ننتهياً لقتال كل من يعادي هذا الدين الحق ونجاهد بكل ما نملك من أجل إقامته وإعلان شأنه (٥).

## المطلب الثاني

### عقائد أهل الكتاب المنحرفة

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ \* اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠-٣١].

(١) صحيح البخاري، (م ١، ص ٤)، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، (ح ٢٥).

(٢) ينظر: الإنسان بين الدينونة لله والدينونة لغيره، علي بن نايف الشحود، (ص ١٤٣).

(٣) ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر السعدي، (م ٢، ص ٢٦٩).

(٤) ينظر: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي الشوكاني، (م ١، ص ٩٤٥).

(٥) ينظر: قيس من نور القرآن، محمد علي الصابوني، (م ١، ص ٥٤).

أولاً: التفسير التحليلي:

مناسبة الآيات لما قبلها:

هذه الآيات الكريمة عطف على ما قبلها وهي جملة "ولا يدينون دين الحق" لأن اليهود قالوا أن عزير ابن الله والنصارى قالت أن المسيح ابن الله، فهم بلغوا في الكفر حتى ساووا المشركين، فهذا جاء تشنيعاً لهم ولأفعالهم حيث اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله فجاءت الآيات الكريمة تتكر عليهم صنيعهم، فالله تعالى منزه مما افتروا في حق الله تعالى ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] (١).

سبب النزول:

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى، وشاس بن قيس ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله؟ فأنزل الله في ذلك ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ...﴾ (٢).

وورد في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١] أنها نزلت في عدي بن حاتم ﷺ لما بلغه دعوة رسول الله ﷺ فر إلى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية، فأسرت أخته وجماعة من قومه، ثم من رسول الله على أخته وأعطاها الحرية فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام، فقدم عدي إلى المدينة وكان رئيساً في قومه طيء وأبوه حاتم الطائي فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال: فقلت إنهم يعبدونهم فقال: بلى إنهم حرّموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فذلك عبادتهم إياهم، وقال ﷺ: (يا عدي ما تقول؟ أيسرك أن يقال الله أكبر؟ فهل تعلم شيئاً أكبر من الله ما يضرك أن يقال لا إله إلا الله فهل تعلم إلهاً غير الله؟ ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق) (٣).

(١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ١٦٧-١٦٩)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (م ٢، ص ٥٤٤)، والدرر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، (م ٣، ص ٢٤٨).

(٢) لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، (ص ٢٢٥)، وتفسير الطبري، (م ١٤، ص ١٩٧)، وتفسير الألوسي، (م ١٠، ص ٨٤).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (م ٢، ص ٥٤٤).

## معاني المفردات:

"يُضَاهئون" مأخوذ من قولهم: امرأة ضهياء، وامرأة ضهيء على وزن فعيل لأنها تشبه الرجال في أفعالها، ومنه المضاهاة والمماثلة والمحاكاة: المشابهة، والهمز فيه لغة ومعنى مضاهاتهم لقول الذين كفروا أنهم شابهاوا بهذه المقالة عبدة الأوثان الذين قالوا عن الأصنام اللات والعزى ومناة بنات الله، ومن قالوا بأن الملائكة بنات الله (١).

"يُؤْفِكُونَ" ويقال أفكه يَأفكه إذا صرفه والإفك الكذب لأنه يصرف السامع عن الصدق، أي يُصرفون عن الحق إلى الباطل بعد قيام الأدلة عليه (٢).

"أحبارهم ورهبانهم" علماءهم وقراءهم، والأحبار العلماء وأحدها حبر، وحبر بكسر الحاء وفتحها، والرهبان من النصارى أصحاب الصوامع وأحدها راهب، كصاحب وصحبان (٣)، " وخص الحبر بعالم اليهود لأن عظماء دين اليهودية يشتغلون بتحرير علوم شريعة التوراة، منهم علماء في الدين، وخص الراهب بعظيم دين النصرانية لأن دين النصارى قائم على أصل الزهد في الدين والانتقاع للعبادة فكانت أقوالهم وأفعالهم ومعتقداتهم فاسدة ومخالفة للشريعة الإسلامية" (٤).

## القرءات:

"عزيرٌ": قرأ عاصم والكسائي ويعقوب "عزير" بالتثوين (قراءة الجمهور) والآخرين بغير تثوين، فمن لم ينون قال: لأنه اسم أعجمي ويشبه اسماً مصغراً، ومن نون قال: لأنه اسم خفيف، فوجهه أن يُرف، وإن كان أعجمياً مثل نوح ولوط وهود.

"يُضَاهئون": قرأ عاصم بكسر الهاء مهموزاً، والآخرين بضم الهاء مهموزاً، وهما لغتان يُقال ضاهيته وضاهأته، ومعناهما واحد، يشابهون أو يوافقون" (٥).

## النحو والبلاغة:

"يُضَاهون": لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهاي قولهم قولهم، ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف إليه مقامه، فانقلب مرفوعاً والمعنى: "أن الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ من

(١) ينظر: فتح القدير، للشوكاني، (م ١، ص ٧٢٢)، وتفسير البيضاوي، (م ١، ص ٤٠٢).

(٢) تفسير البغوي، (م ٢، ص ٢٤١)، وتفسير البيضاوي، (م ١، ص ٤٠٢)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ١٦٩).

(٣) تفسير البغوي، (م ٢، ص ٢٤١).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ١٧٠).

(٥) تفسير البغوي، (م ٢، ص ٢٤٠، ٢٤١)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ١٦٨).



اليهود والنصارى يُضاهي قولهم قول قدمائهم، يعني أنه كفر قديم فيهم غير مستحدث، أو يضاهي قول المشركين: الملائكة بنات الله تعالى الله عنه، وقيل الضمير للنصارى أي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزيز ابن الله لأنهم أقدم منهم" (١).

"قاتلهم الله": دعاء للتعجيب أو التعجب يستعمل في التعجب من عمل شنيع، وهو مركب، وصيغة المفاعلة فيه للمبالغة في الدعاء: أي قتلهم الله قتلاً شديداً (٢).

### الأحكام الشرعية:

لا يجوز شرعاً التعدي على الله ﷻ بقول يناقض الإيمان والإسلام، ومخالف للشرع لأن هذا يعد كفراً، فلا يحل إطلاق النبوة على الله فتعالى الله عن ذلك فهو منزّه عما يقول أهل الشرك والكفر، فكتب الله عليهم القتل أي اللعن لقول ابن عباس: كل شيء في القرآن قتل فهو لعن (٣).

### ثانياً: التفسير الإجمالي:

لما أمر الله ﷻ بقتال أهل الكتاب، ذكر من أقوالهم الخبيثة ما يهيج المؤمنين الذين يغارون لربهم ولدينهم على قتالهم، والاجتهاد وبذل الوسع فيه، فاليهود وقد تجرأوا على الله وعلى ألوهيته وربوبيته وعظمته وجلاله في ادعائهم بأن عزيز ابن الله وكذلك النصارى قالت من غير حجة أو دليل أن المسيح ابن الله فشابهت أقوالهم الشنيعة قول المشركين الذين يقولون الملائكة بنات الله، فتشابهت أقوالهم الباطلة الفاسدة وتشابهت في فساد الاعتقاد بالشرك والكفر وصرافهم من الحق إلى الباطل (٤).

فإنه سبحانه واحد أحد فرد صمد فكيف ينسبون هؤلاء اللعناء الولد له، فإنه منزّه ومقدس عن ذلك الوصف، وورد أنهم قالوا ذلك لأنه لم يبق فيهم بعد بختصر من يحفظ التوراة، فلما أحيا الله عزيز بعد مائة عام وأملى عليهم التوراة حفظاً فتعجبوا من ذلك وقالوا: ما هذا إلا لأنه ابن الله فقدسوه هؤلاء اليهود لعنهم الله أما النصارى سبب قولهم أن المسيح ابن الله لأن عيسى عليه السلام ولد بدون أب، فادعوا أنه ابن الله، ولكن الله ﷻ رد عليهم بقوله ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي هذه الأقوال الشنيعة هي مجرد دعوى باللسان من غير دليل ولا برهان وهذا دليل كذبهم وافتراءهم على الله فهم

(١) الكشاف، للزمخشري، (م ٢، ص ٤٤٠).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م ٥، ص ١٦٩)، وتفسير الرازي، (م ١٦، ص ٣٦).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م ٤، ص ٥١).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي، (ص ٣٣٤).

يشابهون قول المشركين قبلهم بأن الملائكة بنات الله ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ﴾ فهذا دعاء من الله عليهم بالهلاك لأنهم انصرفوا عن الحق إلى الباطل بعدما سمعوا الأدلة فكفروا وأشركوا بالله وكذلك بطاعتهم اليهود لأحبارهم والنصارى لرهبانهم في أمور التحليل والتحریم، وتركوا أمر وشرع الله سبحانه، فكانهم عبدوهم من دون الله، فكانت طاعتهم لهم مادية لطاعة الرب فاتخذوهم ﴿ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ فهذا حال الكفرة الذين أمروا على لسان أنبيائهم بعبادة إله واحد هو الله رب العالمين فلا معبود بحق سواه، ومع ذلك كفروا وأشركوا به، فسبحانه وتعالى مقدس ومنزه عن أقوالهم ﴿ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١] (١).

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- ملة الكفر واحدة بين أهل الكتاب والمشركين: الآيات الكريمة وضحت أن ملة الكفر، والشرك واحدة سواء عند اليهود أو النصارى أو المشركين من قبلهم فنصت الآيات أن ما عليه أهل الكتاب شرك وكفر باطل وهي تتوافق وتضاهي معتقدات الذين كفروا من قبل من المشركين في أقوالهم وسلوكهم وتصرفهم الواقعي أمام الإسلام الحق، وأمام القرآن الكريم، وأمام محمد ﷺ، فعقيدة النبوة عند اليهود لله بأن عزيز ابن الله، وعقيدة التثليث عند النصارى بأن عيسى هو المسيح ابن الله، شابته عقيدة الوثنيين الإغريق والرومان والهنود والفرعنة، فمعتقداتهم الباطلة مستمدة هذه الوثنيات اللعينة الخبيثة وليس من أصل النصرانية ولا اليهودية، فهم بهذا اتركوا جميعاً في الصد عن دين الله، وينصب العدا والمكر والكيد للقضاء على الإسلام (٢)، وقد حذرنا الإمام الشهيد حسن البنا دائماً في مقالاته الرائعة أن نحذر كمسلمين من أعدائنا فالعدو واحد، عدو للدين والعقيدة، عدو للوطن، فلا يفرق بين أعداء الدين سواء كانوا مشركين أو أهل كتاب، ويؤكد على ضرورة الاتحاد ضد العدو لدفع الأخطار والمحن من بطش وعدوان لهؤلاء المجرمين على الإسلام (٣)، فلقد عبث هؤلاء اليهود والنصارى المجرمون في كتبهم، فحرفوا، وبدلوا، وكتموا، وغيبوا الحق من كتبهم، وساروا على نهج من قبلهم من المشركين الذين ضلوا عن الحق وصدوا عن سبيل الله، وكل ذلك لأنهم يعلمون خطر رسالة محمد ﷺ على كياناتهم، ووجودهم، ومصالحهم، فيحاولون إلى يومنا هذا أن يحجبوا شعاع هذا النور، نور الحق والهداية، نور الإسلام ولكن يقول تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ

(١) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (م ١، ص ٤٩٣-٤٩٤).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٦٢١).

(٣) ينظر: الإمام الشهيد حسن البنا، جابر رزق، (ص ١٠١).

لِيُظْفِرُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ [الصّف: ٨]، ويقول شيخ الإسلام: "وكان المسيح مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، بشر به، فجعل الله أمة محمد ﷺ فوق النصارى إلى يوم القيامة" (١)، فنقول اليوم لمن يتبعون ملة الكفر من اليهود والنصارى الصليبيين، كفوا عن ذلك خاصة من بني جلدتنا، فيجب علينا مخالفتهم، والحذر منهم، فإن مما يميز عقيدة المسلم اليوم وجوب مخالفة اليهود والنصارى، وعقيدة الولاء والبراء، والانتماء لله ولرسوله والمؤمنين، والمعادة لمن حارب الله ورسوله والمؤمنين (٢)، فيقول تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتِ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]، فليحذر المسلم من اتباعهم وموالاتهم ومحبتهم لئلا يحشر معهم يوم القيامة، فئة أهل السعير والجحيم، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إن المرء مع من أحب) (٣)، فعلى المسلمين الحذر الشديد من هذه الطائفة من البشر الخبيثة فهم أشد أعداء الإسلام.

٢- من صفات الكفار الكذب وقول الزور والافتراء على الحق: فالكفار لا يقولون شيئاً بأفواههم وألسنتهم إلا وكان كذباً وزوراً، فعندما قال سبحانه ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ معناه التأكيد أنهم قالوا هذا القول الباطل، الكاذب بدون برهان أو دليل أو حجة وليس منه بيان، قول ساذج مجرد دعوى لا معنى لها، قول غير صحيح في حق الله تعالى لأنهم معترفون بأن الله سبحانه لم يتخذ صاحبة فكيف يزعمون أن له ولداً، فهو قول لساني كاذب بالأفواه، بخلاف الأقوال الصحيحة التي تعضدها الأدلة ويقوم عليها البرهان، فالله سبحانه لم يذكر قولاً مقروناً بذكر الأفواه والألسن لكل كافر أو معتدي على الدين كالمنافقين وغيرهم من أهل الكفر والضلال إلا وكان قولاً وزراً كاذباً (٤)، عارٍ عن الصحة والحقيقة، كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، و﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، و﴿يَقُولُونَ بِاللَّسْتِئْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١]، فلعنهم الله سبحانه على هذا الكذب والإفك والافتراء على الله الواحد الأحد الفرد الصمد، سبحانه مقدس ومنزه عن هذا الخبث فحقق عليهم اللعنة والعذاب الشديد من الله، فهؤلاء المجرمون أهل الضلال والافتراء يريدون أن يستبدلوا دين الله ﷻ، بأديان باطلة ومعتقدات فاسدة وضعية، حرفوها بأيديهم، وقالوا

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، (م ٣، ص ٥٠٤).

(٢) ينظر: تفسير القرآن الحكيم، تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، (م ٢، ص ١٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب علامة حب الله ﷻ، (ح ٦١٦٨)، (م ٨، ص ٣٩).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (م ٤، ص ٥٢).

بأسنتهم ليفسدوا أمة الإسلام، لذلك حذر الله نبيه وأمته منهم عندما قال: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧] ، أي احذر واعلم يا محمد ولتعلم أمتك من بعدك أن الحق المطلق والمنهج الأصوب إنما هو من عند الله تعالى، وما جاءك الله ﷻ به لا ما يقوله النصارى واليهود، فعلى الأمة المؤمنة الثبات على الحق ولا تتجّر إلى أقوالهم فتواليهم بالمودة، وتسير وفق أهوائهم ومصالحهم<sup>(١)</sup>، وقال شيخ الإسلام: "قالهدى بغير هدى من الله - أو غير ذلك - ضلالة، ونحن علينا أن نتبع ما أنزل علينا من ربنا من الكتاب والحكمة، ونلزم الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين"<sup>(٢)</sup>، ونجد اليوم للأسف الأبواق المنحرفة، التي تتبع أقوال وأبواق اليهود والنصارى المعادون للإسلام عبر الإعلام الفاسد، والأقلام المسمومة، وللأسف من بني جلدتنا!، فترى اليوم عبر الفضائيات الملوثة زمن الروبيضة، الذي يكذب فيه الصادق ويصدق فيه الكاذب، يريدون تدمير جيل بأكمله، خاصة وأن جيل اليوم ارتبط بالفضاء المعلوماتي الواسع عبر الكمبيوتر وشبكة الانترنت، ولكن هناك بارقة أمل في المخلصين من شبابنا اليوم الذين انتزعوا بعض حقوقهم في تشكل فكر سياسي إسلامي بعدما عنت الحكومات الظالمة عتواً كبيراً في الأرض، فقامت الثورات الكمبيوترية التي كانت سبباً لثورات الشعوب وانتفاضتهم على الظلم والقهر والفساد<sup>(٣)</sup>.

٣- الربوبية والعبودية لا تكون إلا لله تعالى: أكدت الآيات الكريمة على العقيدة الصحيحة الراسخة، عقيدة المؤمنين، وأعلنت اللعن والقتل لكل من يخالف العقيدة بمحاربتها ومعاداة أهلها وهذا ما فعله أهل الكتاب فقال عنهم سبحانه ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] فأكد الله لهم أن الدين عند الله الإسلام، وجميع الأنبياء رضوان الله عليهم نادوا بدعوة التوحيد ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] ، وقوله ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٥٠] ، ومع ذلك غيروا وبدلوا وحرفوا، وجاءوا بمعتقدات باطلة وفاسدة، حتى كتبهم الصحيحة الغير محرفة ترفضها فهذا هو ديدنهم إلى يومنا هذا، فينتظرون المواقف التي من خلالها يطعنون في دين الله، وفي عقائد المسلمين فمن يومهم وهم يطعنون في أصول الدين فمنهجهم يقوم على الكذب والتشكيك والتسفيه بما جاء في

(١) ينظر: زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة، (م ١، ص ٤٥٤).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (م ٤، ص ٥١٤).

(٣) ينظر: تنظير التغيير النظرية التكاملية للتغيير السياسي الإسلامي، محمد أحمد الراشد، (ص ١١٠، ١١١).

كتاب الله تعالى فعندما جاء الرسل ليعلموا الناس التوحيد وطريق الله المستقيم حتى تسمو نفوسهم وتركوا عن هذه الضلالات المنحرفة<sup>(١)</sup>، ويقول الشاطبي: "ومن المقاصد العامة للإسلام تزكية الإنسان وهو مقصد ثابت نصاً واستقراءً فقد علل القرآن الكريم البعثة النبوية بتزكية النفس"<sup>(٢)</sup>، فتزكية النفس إذن لا تكون من الأخبار والرهبان، ولا تكون بتقديس المناهج الوضعية والمستوردة من الغرب وإنما تكون بالعبودية والخضوع لرب واحد أحد، فرد صمد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)<sup>(٣)</sup>، فالتوحيد هو الكفيل الوحيد الذي يحرر البشر من الوثنية والعبودية لغير الله ويقول الغزالي: "ومقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة"<sup>(٤)</sup>، فنقول اليوم لكل من اعتدى على ألوهية وربوبية الله صلى الله عليه وسلم، وما أكثرهم في هذا الزمان الذين أصبحت أمريكا قبلتهم وإسرائيل واليهودية المتعفنة شريعة ومنهاجاً لهم نقول للعلمانيين والليبراليين والشيوعيين والشيعة ممن أخذوا عن المستشرقين من اليهود والنصارى يستمعون لأقوالهم ويحذوا حذوهم ويدرسون في جامعاتهم ويطبّقون مناهجهم، بأن يتقوا الله ويعودوا قبل فوات الأوان، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر)<sup>(٥)</sup>، فيجب على المسلم أن يحذر من أهل المادة كهؤلاء من أهل الفجور والضلال وأن يتجه للقوة الروحية، بعبادة الله سبحانه فمن هنا تعود الأمة لقوتها وأخلاقها وتنتصر على الزيف، ويكون النصر بالعودة لله سبيلاً إلى نصر آخر، فما تزال الأمة بخير إذا عادت لله وحده لا شريك له، ولتطبيق منهجه في الأرض وكانت أمة مجاهدة لهذه الملل الفاسدة<sup>(٦)</sup>.

٤- عاقبة الكفر لعنة الله: كتب الله صلى الله عليه وسلم اللعنة على أهل الكفر والضلال من أهل الكتاب والمشرّكين وكل من كفر بالله سبحانه كما جاء في قوله ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠]،

(١) العقائد الإسلامية، سيد سابق، (ص ٣٢)، والإيمان، محمد نعيم ياسين، (ص ١٥)، والله صلى الله عليه وسلم، سعيد حوى، (ص ١٦٥).

(٢) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، (م ١، ص ٢٧٠).

(٣) صحيح مسلم، (م ١، ص ١٣٤)، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، (ح ٢٤٠).

(٤) المستصفي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، (ص ١٧٤).

(٥) سنن الترمذي، (م ٤، ص ٩٦)، باب الفتن، (ح ٢٢٦٠)، وصححه الألباني: الجامع الصغير وزيادته، (م ٢، ص ١٣٢٦).

(٦) ينظر: مقاصد القرآن الكريم، الإمام الشهيد حسن البناء، (ص ١١٦-١١٨).

أي لعنهم الله، ويعني اليهود والنصارى، لأن الملعون كالمقتول، وقال ابن عباس: كل شيء في القرآن قتل فهو لعن وهو دعاء بالشر عليهم<sup>(١)</sup>، فالكافرين الذين صدوا عن الإسلام بعد أن ظهرت لهم البراهين والأدلة عليه، واستبدلوا الهداية بالجهل، فهم كما وصفهم الله من قبل بشر الدواب في قوله ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥] فهم غافلون عن الحق، رافضون ومحاربون له ولقد سطر الله ﷻ في القرآن مصير هؤلاء الكفار المجرمون، ونعتهم بأفبح الصفات، وكتب عليهم اللعنة من الله والملائكة والناس أجمعين، قال الطبري: "إن الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ من اليهود والنصارى وسائر أهل الملل والمشركين من عبدة الأوثان، وماتوا على جحودهم ذلك وتكذيبهم أبعدهم الله وأسحقهم من رحمته"<sup>(٢)</sup>، فالكفرة استحقوا هذا الله من الله والملائكة والناس، بسبب تكذيبهم واستكبارهم وعلوهم في الأرض، أرادوا أن يغيروا الوجود كله، ذلك الوجود الذي يذعن وينقاد بالطاعة والخضوع لله ﷻ، فهم بذلوا أعمارهم وأوقاتهم وأموالهم للهبوط بالإنسانية إلى منازل البهيمية، رفضوا الأخلاق والفضيلة والدين، هؤلاء لا على أرواحهم إقبال ولا لمصيبتهم جيران، ولا لأحد عليهم ترحم، خسروا في الدنيا والآخرة يلعنهم البعوض في الهواء، والنقع في الماء، لا رفق لهم ولا تخفيف ولا إسعاف ولا ألطاف"<sup>(٣)</sup>، فعضب الله عليهم بسبب رفضهم الانقياد للحق والاستجابة للهدى والرشاد، ضلوا وأضلوا من حولهم، عادوا الإسلام والمسلمين بكل صفات البشاعة والقبح فيهم، فهم اعتدوا على الله قبل اعتدائهم على البشر، طغوا وتجبروا فاستحقوا من الناس ومن الله اللعن والكره والبغض، حتى المخلوقات كلها على وجه الخليقة تلعنهم بسبب فساد أديانهم ومعتقداتهم الباطلة، لذلك كان جزاؤهم من جنس عملهم فأبعدهم الله من رحمته<sup>(٤)</sup>، لذلك علينا كمسلمين موحدين الاستقامة على منهج الله ورسوله، قال عمر بن الخطاب ﷺ: "الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعالب"<sup>(٥)</sup>، لذلك يجب علينا كمسلمين أن نحتاط من هذا الزمان فقد كثرت فيه البدع، والمنكرات، والخرافات، والمعتقدات الباطلة، وكثر السحرة والمشعوذين، وكثرت الفضائيات المسمومة التي تبتث الفساد والمنكرات لأهل المعاصي والفسوق الخارجين عن حدود الله، لذلك يجب أن نحذر من أن تصيبنا لعنة من الله وطرد من

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (م٤، ص ٥٣).

(٢) تفسير الطبري، لابن جرير الطبري، (م٣، ص ٢٦١).

(٣) تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوزان القشيري، (م١، ص ١٤٣).

(٤) تفسير السعدي، (ص ٧٧).

(٥) تفسير السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي السمعاني، (م٢، ص ٤٦٣).

رحمته ونندم يوم لا ينفع الندم، فالإسلام حرم الابتداع في الدين بأداء طقوس وعبادات لم تشرع أو بتقليد أعمى لأهل الكفر والضلال وما أكثره في هذا الزمان، ففي الحديث عن ابن عباس قال: بينما النبي ﷺ يخطب إذ هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي ﷺ مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه<sup>(١)</sup>، فكل ما تعبد بعبادة لم يشرعها الله ولا رسوله فهو متعبد ببدعة وهذا كفر وضلال منهي عنه في الإسلام.

### المطلب الثالث

#### موقف أهل الكتاب من الإسلام

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ \* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

أولاً: التفسير التحليلي:

مناسبة الآيات لما قبلها:

يعود الحديث في الآيات الكريمة عن قبائح أهل الكتاب ويحذر منهم ومن مواليتهم وأنهم كالمشركين في هدفهم يسعون لإطفاء نور الله<sup>(٢)</sup>، فكانت هذه الآيات استئناف ابتدائي لزيادة إثارة غيظ المسلمين على أهل الكتاب، بكشف ما يضمرونه للإسلام من مكر وحسد وكيد ضده، خاصة حين تحققوا من انتشاره وظهوره على دينهم ومعتقداتهم الباطلة، فأرادوا أن يبطلوه بإطفاء نوره، وصد الناس عن اتباعه، والتحريض عليه بالاعتداء والكيد لمنعه من الظهور والانتشار<sup>(٣)</sup>.

النحو والبلاغة:

"يطفئوا نور الله": نور الله أراد به نور الإسلام فإن الإسلام بنوره المضيء وحججه القاطعة يشبه الشمس الساطعة في نورها وضيائها فهو من باب الاستعارة، وهي من لطائف الاستعارات<sup>(٤)</sup>.

وهو كلام بليغ من كمال بلاغته أنه صالح لتفكيك التشبيه بأن يشبه الإسلام وحده بالنور ويشبه محاولو إبطاله بمريدي إطفاء النور ويشبه الإرجاف والتكذيب للدين بالنفخ لإطفاء النور ومن

(١) رواه البخاري، باب النذر في معصية، (م٨، ص١٤٣)، (ح٦٨٠٤).

(٢) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (م١، ص٤٩١).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م٥، ص١٧١).

(٤) صفوة التفاسير، للصابوني، (م١، ص٤٩٤).

البلاغة أن آلة النفخ وآلة التكذيب واحدة وهي الأفواه، وإضافة النور إلى اسم الجلالة إشارة إلى أن محاولة إطفائه عبث، فلا يستطيعون إبطال مراد الله تعالى وهذا من تمام إرادته وعظمته وكمال قدرته (١).

### الأحكام الشرعية:

وجوب توحيد الله ﷻ وتنزيهه عن كل نقص وعيب بقوله ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ...﴾ فهذه دلالة وحجة على توحيده فجعل البراهين بمنزلة النور لما فيها من البيان والمعنى لا يجوز تكذيب الإسلام، أو جحده وإنكاره، لمجيء رسول الله ﷺ بالحجة والبراهين، فأظهر دين الإسلام على كل دين.

وورد أن الله تعالى سوف يُظهِره عند نزول عيسى ﷺ أو عند خروج المهدي، ولا يجوز أن نقول أن المهدي هو عيسى ﷺ فهو غير صحيح لأن الأخبار الصحاح قد تواترت على أن المهدي من عشيرة رسول الله ﷺ فلا يجوز حمله على عيسى ﷺ (٢).

### ثانياً: التفسير الإجمالي:

بين الله ﷻ في هذه الآيات الكريمة مدى حقد وكراهية ومكر أهل الكتاب على الإسلام والمسلمين في قوله ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ...﴾ حيث يريد هؤلاء الكفار من أهل الكتاب وكذلك من المشركين أن يطفئوا نور الله أي نور الإسلام وشرع محمد ﷺ بأفواههم الحقيرة، البشعة، بمجرد جدالهم وافتراءهم وهو النور الذي جعله الله لخلقهم ضياءً، فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفى شعاع الشمس أو نور القمر بنفخة بقمه ولا سبيل إلى ذلك لقوله ﷺ ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ...﴾ أي ويأبى الله إلا أن يعليه ويرفعه ويعز شأنه ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ أي ولو كره هؤلاء الفجار الذين كفروا بالله تعالى (٣)، وأرادوا، وأصروا على تكذيب القرآن الذي سماه الله نوراً يُستتار به في ظلمات الجهل، وفي ظلمات الكتب المحرفة والأديان الباطلة ولكن الله أتم نوره الباهر على جميع خلقه، وقد تكفل بحفظه من كل مكروه وسوء فالحق لا يضره شيئاً من أفعال المجرمين أمثال اليهود والنصارى والمشركين، الذين لم يستطيعوا أن يواجهوا محمد ﷺ الذي نزل عليه هذا الدين الحق ولم تكن معه أدلة أو براهين فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (م، ٥، ص ١٧١، ١٧٢).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (م، ٤، ص ٥٥).

(٣) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (م، ١، ص ٤٩٤)، وتفسير الجلالين، (ص ١٩١).



لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾، فأظهره الله على سائر الأديان، بكل ما فيه من أحكام وشرائع وأخلاق وقيم تصلح لكل زمان ومكان وهذا هو الهدى والحق، وأيده الله بالبراهين والحجج والأدلة الساطعة، وبالسيف والسنان حتى لو كره المشركون ذلك ومكروا مكرهم وبغوا واعتدوا، فإن المكر السيء لا يضر إلا صاحبه، فوعد الله لا بد أن ينجزه لعباده المؤمنين المخلصين الصادقين<sup>(١)</sup>، فأرسل محمد ﷺ بالهداية التامة والدين الكامل وهو الإسلام وأظهره على سائر الأديان المخالفة بالرفعة والعزة وعلو المنزلة.

وما أروع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا المقام قال: "واعلموا أن النصره للمؤمنين والذين هم محسنون، وهؤلاء القوم مقهورون مقموعون، والله ﷻ ناصرنا عليهم ومنقم لنا منهم، فأبشروا بنصر الله تعالى وبحسن عاقبته وهذا أمر قد تيقناه وتحققناه"<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: المقاصد والأهداف:

١- عداوة أهل الكتاب للإسلام والمسلمين: يستدل من الآيات الكريمة مدى عداوة أهل الكتاب على الإسلام والمسلمين، وخاصة منذ أن أحسوا بخطر الإسلام عليهم في المدينة فحاولوا محاربتة حرباً خبيثة استخدموا فيها كل الوسائل البشعة للقضاء عليه، بدأت بإنكارهم وجحودهم ما في كتبهم الصحيحة من البشارة بالرسول ﷺ ورفضوا ما قالوه الطيبون منهم الذين يقرون بشريعة الإسلام، ورفضوا الإسلام وتصدوا له بكل أشكال الكيد والحقد والفساد، فالقرآن المدني كشف زيفهم وحقيقة أمرهم، ووسائلهم الخبيثة في محاولتهم القضاء على الدين، وحسنت أمرهم براءة الله منهم في التوبة، لبيان مدى بشاعتهم ومحاربتهم للإسلام<sup>(٣)</sup>، فهؤلاء لم يتفقوا في شيء مثل انفاقهم على الإسلام، لاستئصال جذوره من قلوب المسلمين ولكل من ينتمي لهذا الدين العظيم، وقد علم هؤلاء المجرمون أن أعظم أسباب القوة والمنعة والنصرة لدى المسلمين هي تمسكهم بالعقيدة الراسخة الصحيحة فحاولوا بكل سبيل أن يشككوا الأمة في عقيدتها وأفكارها وكل ما يدعوها للتفكر بما يقربها من إسلامها وعبوديتها لله وحده لا شريك له، فاتباع أهواء الناس الباطلة هو من الظلم العظيم الذي يقطع طريق الحق ويُردي الناس في مهاوي

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبد الرحمن السعدي، (ص ٣٣٥)، والتفسير الوجيز ومعجم معاني القرآن العزيز، أ.د. وهبة الزحيلي، (ص ١٩٣).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (م ٢٨، ص ٤١٩).

(٣) ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٦٢٣)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، (م ٣، ص ٥٠٤).

الباطل<sup>(١)</sup>، لذلك يجب علينا اليوم الحذر كل الحذر من أهل الكتاب، فعداوتهم مستمرة ليومنا هذا ومع ذلك نجد من ينسلخون عن دينهم وأخلاقهم يتبعون المعادون للإسلام منهم، ويقلدونهم باسم الحضارة، ويبيعون دينهم وعقيدتهم من أجل رضاهم وموالاتهم على الباطل، فالأصل في المسلم أن لا يسلك سلوكاً يدل على رضاه بالكفر وأهله ولا يفعل فعلاً يدل على إعجابه بعقيدتهم، كأن يتشبه بهم في عقائدهم أو عاداتهم أو شعائهم أو أزيائهم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(بعثت بالسيف حتى يُعبد الله لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم)**<sup>(٢)</sup>، وقال ابن تيمية: "وهذا الحديث أقل أحواله يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم)<sup>(٣)</sup>، وشيخ الإسلام أكد في كتابه مدى خطورة أهل الكتاب وخطر التتار والصليبيين وكيف سيطروا على أكثر بلاد المسلمين وحذر من تقليدهم واتباعهم وحذر الأمة من الوقوع في وصل الاتباع والتقليد لأهل الملل والنحل وخاصة اليهود والنصارى الذين يكيدون للإسلام والمسلمين، فعلى المسلمين اليوم أن يستيقظوا من سباتهم العميق وأن يستمسكوا بمنهج القرآن فيه العقيدة الصحيحة التي هي سبيل خلاصهم وسبب عزهم ومجدهم ونصرهم فكل منا على ثغر من ثغور الإسلام، فيجب أن يدافع عن عقيدته بكل ما أوتي من قوة، وقال شيخ الإسلام: "الذين يقدمون محبة مخلوق واتباعه، على محبة الله ورسوله كان فيهم من الظلم والشرك، ومن أحب شيئاً دون الله عذب"<sup>(٤)</sup>، وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود للكفر كما يكره أن يفن في النار)**<sup>(٥)</sup>، فمحبة الذين يعادون الإسلام لم تتفع وفي الآخرة يكون الندم ويقول ابن القيم في ذلك: "تقطع العلائق والمواد التي كانت لغير الله، وفي غير ذات الله"<sup>(٦)</sup>، لذلك علينا كمسلمين أن نحذر اليوم قبل الحسرات يوم لا ينفع الندم يوم القيامة، فلا نوالي الكفار ونتخذهم

(١) ينظر: تفسير القرآن الحكيم، تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، (م ٢، ص ١٦).

(٢) مسند الإمام أحمد، (م ٩، ص ١٢٣)، وصححه الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته، (ح ١/٥٤٦).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد عبد الحلیم بن تيمية، (م ١، ص ٢٧٠).

(٤) الإيمان، أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، (ص ٦٤).

(٥) صحيح البخاري، (م ١، ص ١٢)، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، (ح ١٦).

(٦) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن القيم الجوزية، (ص ٢٨٠).

أوثاناً من دون الله، ويتقديم محبتهم على محبة الله فالسعي لغير الله باطل (١).

٢- **فساد أهل الكتاب عبر التاريخ:** إذا استعرضنا موقف أهل الكتاب من الإسلام والمجتمع المسلم عبر التاريخ، سنجد فسادهم، فكل ما جاء في التاريخ عن فسادهم وفساد معتقداتهم وعداوتهم للدين، صدقة وأكد عليه القرآن الكريم، فقد بين الله سبحانه طبيعة موقف أهل الكتاب من المسلمين في عدة مواضع من القرآن وهو تارة يتحدث عنهم وحدهم، وتارة يتحدث عنهم مع الذين كفروا من المشركين، تبيين وحدة الهدف بينهم في تجمعهم الحركي لمواجهة الإسلام والمسلمين، وتوجه ضربة للقضاء عليه، فهم يودون لو يرجع المسلمون كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق، وأن يكونوا هوداً أو نصارى، ويقول تعالى عن المشركين: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧] ، فالواقع التاريخي يكشف مدى زيفهم ومكرهم وعدائهم للإسلام والمسلمين على مدار التاريخ وإلى يومنا هذا، فالتاريخ لم ينقطع لحظة منذ اليوم الأول الذي واجههم الإسلام في المدينة حتى اللحظة الحاضرة أشار التاريخ لحربهم المسعورة على الإسلام، من يوم أن استقبلوا محمد ﷺ ودينه في المدينة شر استقبال، بالدسائس والأكاذيب والشبهات والفتن يلقونها في الصف المسلم بطرق ملتوية ماكرة، فشككوا في رسالة رسول الله ﷺ وهم يعرفونه أكثر ما يعرفون أبناءهم واحتضنوا المنافقين وأمدوهم بالشبهات لضرب العقيدة، وما فعلوه في حادث تحويل القبلة (٢)، بأن النبي خالف الأنبياء (٣)، واليهود استغلوا ذلك ليهزوا الإيمان في القلوب ولتوجيه حرب إعلامية على الإسلام (٤)، ففي كل مناسبة لهم مواقف كيد وحقد ومكر على الإسلام كان ينتزل القرآن بشأنها ليحذر المسلمين من بشاعتهم وسوء أخلاقهم، وخاصة شهادة التاريخ عن غدرهم وخيانتهم للعهود والمواثيق مع النبي مرة بعد مرة وتآليب المشركين في الأحزاب ضد الإسلام والمسلمين، وإثارة الفتن الكبرى، مثل الفتنة التي قتل فيها الخليفة الراشد عثمان بن عفان، وكذلك كانوا رأس الفتنة بين علي ﷺ ومعاوية ﷺ، وقادوا حملة الوضع في الحديث والسيرة وروايات التفسير، ومهدوا لحملة التتار للقضاء على خلافة المسلمين، إلى يومنا هذا واليهود هم اليهود، هم وراء كل محاولة لسحق طلائع الإسلام، وجيل القرآن في كل أرجاء العالم، وكذلك النصارى

(١) ينظر: طريق الهجرتين وباب العادتين، لابن القيم الجوزية، (ص١٢)، والموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس بن عبد الله بن محمد الجلود، (م٢، ص٩٠٦).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م٣، ص١٦٢٧-١٦٣١).

(٣) ينظر: زاد المعاد، لابن القيم الجوزية، (م٣، ص٦٠).

(٤) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، (م١، ص٦٤٠).

من الرومان والفرس وعداوتهم عبر قرون وأزمة منذ أن ظهر الإسلام في الجزيرة والكنيسة تتصّبب العداء والحرب لهذا الدين العظيم، دين الحق، وجاءت بالمسيحية من ركام الوثنيات القديمة الفاسدة، من الإغريق والهنود والفرعنة، فمن يومهم إلى يومنا هذا وهم يعادون الإسلام والمسلمين فمنذ تجمع الروم الغساسنة لمحاربة الإسلام في مؤتة وانتصار المسلمين عليهم وكسر شوكتهم بعدم تحقيق أهدافهم رغم إمكانياتهم، إلى أن جاءت تبوك وأنهت وجودهم وتجمعاتهم، بعد تاريخ بشع لها في حربها ضد الإسلام حيث شهد التاريخ وحشيتها وضراوتها في تعذيب ملايين المسلمين وقتلهم وتشريدهم لم يعرف التاريخ لها نظيراً من قبل ولا تراعي في المسلمين إلا ولا ذمة، فهذه الحروب لم تضع أوزارها إلى يومنا هذا فالصليبيون المتسلطون على العالم الإسلامي بجبروتهم وطغيانهم موجودون وما زالوا المسلمين يعانون إلى اليوم من قتل وذبح وتشريد في كل مكان، كل هذا لأن المارد العظيم يهددهم، فيشعرون دائماً بخطر الإسلام عليهم، فكلمة إسلام وقرآن ترعبهم فهو الجدار الوحيد الذي يهدد الأعداء، فعداوة أهل الكتاب للإسلام والمسلمين ليست وليد مرحلة تاريخية معينة وإنما هي وليد حقيقة ما زالت معلنة وموجودة إلى اليوم وبضراوة أشد وإصرار أقوى على محاربة الإسلام بكل الطرق وبكافة الوسائل المتاحة لهم<sup>(١)</sup>.

٣- دفاع الله ﷻ عن دينه رغم كيد الكائدين: وتمثل ذلك بقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﷻ فالله ﷻ تكفل بحفظ دينه ونبيه وكتابه، ومنهجه المستقيم، الذي يصلح لكل زمان ومكان، متصف بالشمول والروعة والعزة، ومع ذلك مكر له الماكرون وكادوا له من أجل القضاء عليه، ولكن الله ﷻ بقدرته وعظمته، قادر على حماية هذا الدين العظيم، فعندما أمر المسلمين بقتال الكفار حتى لا يكون على ظهر الأرض شرك ويكون الدين كله لله، وهو الظاهر على سائر الأديان، فإن انتهوا المعتدون عما هم فيه من الشرك والعناد وقتال المؤمنين كفؤوا عنهم دون ظلم أو عدوان، فحتى في دفاع الله عن دينه شرع القتال في سبيل الله لتطهير الأرض ولرد كيد الأعداء وبطشهم ولكنه محاط ومقيد بكثير من الضوابط والقيم حتى لا يُساء استعماله، وهكذا علمنا عبر كتابه العزيز ونبيه الكريم محمد ﷺ كيف ندافع عن إسلامنا وعقيدتنا ومبادئنا ومنهجنا القويم ولكن ندافع كما أمرنا الله وفق ضوابط وأخلاقيات الشريعة<sup>(٢)</sup>.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (م٣، ص١٦٣١، ١٦٣٣).

(٢) ينظر: الفكر الإسلامي للحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي، (ص٢٠٢)، ولمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، (ص٢٦٧).

وأكد النبي ﷺ على هذا المبدأ فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)<sup>(١)</sup>، ويقول تعالى مؤكداً أنه بقدرته وعظمته، يغلب كل من يكيد للإسلام ويمكر به ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] ، فالله مدافعاً عن دينه وعن من يحمل هذا الدين عقيدة ومنهاجاً ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨] ، وقال ﷺ مخبراً عن السفهاء من اليهود والنصارى والمشركين بأن دأبهم التشكيك والاستهزاء والاعتراض على الدين، وعلم الله المؤمنين كيف يردون عليهم بأنه مالك هذا الكون كله، ليس شيء خارج عن إرادته وملكه، يوجه عباده حيث يشاء، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وذلك في قوله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ اللَّيْلِ كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٢-١٤٣] <sup>(٢)</sup>، فهكذا نجد القرآن الكريم يدافع عن عقيدة الإسلام السمحة، وجعلته دين وسط بين الأديان فهو ليس فيه غلو أو تعطيل في الدين كاليهود ولا تحكمت فيه تقاليد الروحانية كالنصارى، فهو دين الوسطية الذي جمع بين الروح والجسد وتميز بالأفضلية على سائر الأديان، وأمة الإسلام فضله على سائر الأمم<sup>(٣)</sup>، لذلك نعلم جميعاً منذ أن خلق الله الخليفة وبعث الأنبياء والرسل، وهو يدافع عن دينه في الأرض، وسنة الله في الدعوات إلى يومنا هذا إهلاك الله لكل معتدي على الإسلام، فما ظننا بالله ﷻ الذي نحبه حباً شديداً في أن يدافع عن ديننا ويسوم أعداء الإسلام سوء العذاب، ويعرضه لأنواع الهلاك، لذلك يجب علينا معاداة عدوه<sup>(٤)</sup>، ومحاربة كل المفسدين في الأرض متوكلين على الله بأنه سوف ينصر المؤمنين ويهزم الفاسدين<sup>(٥)</sup>، لأن أهل الضلال تجارتهم خاسرة فكل من تجرأ على الله وأفسد في الأرض كتب الله عليه الهلاك واللعن، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

- 
- (١) صحيح البخاري، م ١، ص ١٤، كتاب الإيمان، باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة)، (ح ٢٥).  
(٢) ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، (م ١، ص ١٢٥).  
(٣) ينظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، (م ٢، ص ٦).  
(٤) ينظر: تهذيب مدارج السالكين، لابن القيم الجوزية، (ص ٢١٤-٢١٥).  
(٥) جند الله ثقافة وأخلاقاً، سعيد حوى، (ص ٢٠٢).

٤- محمد ﷺ رسول الهداية للعالمين: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] ، أكدت الآية الكريمة أن محمد ﷺ بُعث هادياً للناس أجمعين، ولم يُبعث جانياً أو مقاتلاً كما قال الحاقدون، والمستشرقون أعداء الإسلام، فالإسلام دعوى بالحسنى لا بالإكراه، ومحمد ﷺ نبي الملحمة ونبي الرحمة، نبي محارب، يتصدى بالسلاح لمن يحملون السلاح ضد الإسلام، ونبي يبحث عن السلام في كل شبر من الأرض، بلين ورحمة وسماحة، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ، إنه ما قاتل حُباً في القتال، ولكن كرهاً للتسلط والعدوان على الحق، وعلى الإسلام، حتى عندما فُرضت الجزية، على أهل الكتاب، لم يكن جانياً لها جامعاً لها حُباً في جمع المال والسيطرة بالظلم والقهر كما يفعل طواغيت اليوم، وإنما جمع الجزية من غير المسلمين ليحافظ عليهم وعلى مقدراتهم، آمنين، غير مقهورين، سالمين، مسالمين في دار الإسلام، ليدخلوا في دين الله دون إكراه أو تخويف وترهيب<sup>(١)</sup>، وهذا يدل على الدين الإسلامي دين العدالة والمساواة، ومحمد ﷺ رسول السلام والرحمة للمسلمين وغير المسلمين ففي الحديث عن النبي ﷺ: (المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم)<sup>(٢)</sup>، فالإسلام كرم الإنسان وأعطاه حقوقه كاملة سواء كان مسلماً أو كافراً من أجل هذه الكرامة أرسل الرسل هداية للناس وكان خاتمهم رسول البشرية محمد ﷺ، ليدفع عن النفس الموت والهلاك، والإسلام كفل حماية الإنسان، وحماية عرضه ونفسه وماله، وأبطل ما كان في الجاهلية من ظلم وقهر وفساد، وأمر بالعدل والمساواة<sup>(٣)</sup>، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فمن أمر بكنتم ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله، فقد كنتم ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بينه للناس في الكتاب، وهذا مما ذم الله به علماء اليهود، وهو من صفات الزائغين من المنتسبين إلى العلم من هذه الأمة"<sup>(٤)</sup>، فرأينا كيف تعامل المجرمون من الكفرة المنحرفين من أهل الكتاب في مواجهة النبي ﷺ، ليصدوا عن الدين، ويبعدوا المسلمين

(١) ينظر: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغالي، ص ١٥٥، والتحالف السياسي في الإسلام،

منير الغضبان، (ص ٩٤)، ومحبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبد الرؤوف محمد عثمان، (ص ٦٠).

(٢) سنن أبي داود، (م ٣، ص ٨٠)، كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر، (ح ٢٧٥١)، وقال الألباني حسن صحيح.

(٣) ينظر: تاريخ التشريع الإسلامي، مناع بن خليل القطان، (ص ١٧١).

(٤) الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، (م ٦، ص ٣٣٣).

عن مصدر عزهم ومجدهم، وسر قوتهم، فشكّلوا ستاراً حديدياً حول انتشار الإسلام، وضيعوا عليه وحاربه واستفتوا رجال الدين عندهم من العلماء والأخبار والرهبان، لينشروا الشرك والوثنية ويحيدوا عن الحق، وغيروا وبدلوا وحرفوا في كتبهم حتى يخالفوا الإسلام والقرآن، وضيعوا الحقائق التي أثبتتها محمد ﷺ والقرآن بأيديهم، طمعاً لأهوائهم وشهواتهم<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ فيهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]، فالرسول ﷺ هو القدوة الصالحة التي تقاس بها البشرية، وهو الرسل جميعاً سبب كل خير في هذا الوجود ولهم الأثر الباقي في الحياة<sup>(٢)</sup>، فهو ﷺ بُعث للناس كافة بالحق والهدى والنور ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، فعن جبير بن مطعم أن النبي ﷺ قال: (أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي)<sup>(٣)</sup>، فنحن مسؤولون جميعاً أن نتبع خطاه ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر، فعدم إنكار المنكر دليل على ذهاب الإيمان ويقدر كراهية المنكر يتبين مدى قوة الإنسان<sup>(٤)</sup>، وعلى الحكام اليوم أن يحفظوا الدين بأصوله المستقرة كما علمنا محمد ﷺ وكما أجمع عليه سلف الأمة، يقيم الحدود والحقوق ليكون الدين محروساً من الخلل، والأمة ممنوعة من الزلل<sup>(٥)</sup>، وهذا هو هدي محمد ﷺ.

٥- سورة براءة إعداد للأمة: سورة براءة التي تيرأت من الشرك والوثنية، وقضت على برائث الشرك، وتجمع الكفر والنفاق، وغرّبت المجتمع من الخبث إلى غير رجعة، حيث ألحقت بالوثنية، وأهل الضلال ضربة قوية وقاصمة، أحدثت تغييراً عميقاً في المنطقة وانتشر الإسلام في جنوب وشمال الجزيرة العربية وما بعدها حيث أظهر الله دينه على الدين كله، ونصره، وأعزه، وأعز جنده المؤمنون الصادقون المخلصون، فقال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ \* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣]، حيث انفرط عقد الشرك والوثنية،

(١) ينظر: النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، (ص ٢٥٣).

(٢) ينظر: العقيدة الإسلامية، عبد الرحمن صن حبنكة الميداني، (ص ٣٠٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، (م ٤، ص ٥٥٤)، (ح ٣٥٣٢)، ومختصر صحيح مسلم، للإمام المنذري.

(٤) ينظر: نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، مصطفى سعيد الحق وآخرون، (م ١، ص ١٧٠).

(٥) ينظر: الأحكام السلطانية، علي بن محمد بن حبيب البصري المعروف بالماوردي، (ص ٤٠).

وقضى الإسلام على معاقل الوثنية، واليهودية الماكرة وكسرت شوكتهم، كما قضى على خطر الرومان فكانت مؤتة وآخر غزوات الإسلام تبوك حيث واجه الإسلام الاستفزاز الروماني ورسم المستقبل للإسلام بفوزه وانتصاره على طواغيت الأرض من الرومان وفضح كل من تعاون معهم من المنافقين والمرتدين وضعيفي الإيمان، وطهرت الأرض من كل برائن الوثنية واليهودية والمنافقين، أهل الغدر والخيانة فعد براءة إعداد للأمة حتى تحمل الرسالة بعد ذلك بقوة وعزة وتقف في وجه كل من يخون ويغدر الإسلام أو يعتدي عليه، فهذه السورة العظيمة التي حملت آية السيف وأعلنت البراءة والحرب على كل من يعادي الإسلام والمسلمين، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣] ، فلا بد للأمة اليوم من الإعداد الجيد للجهاد في سبيل الله، بتوطيد النفس على البذل والتضحيات من أجل نصرته الدين لأن أعداء الإسلام كثر وأهل الفتن في الأرض لا ينقطع عدوانهم ولا ينتهي طغيانهم<sup>(١)</sup>، وعن عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **(أخرج اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً)**<sup>(٢)</sup>، فعلينا اليوم أن نعد العدة للأعداء، الذين ينالون من الإسلام ليل نهار والعالم العربي والإسلامي يعيش بذل وهوان، يطبق الأنظمة الوضعية الفاسدة، ويتعد عن تطبيق منهج الله تعالى، فالصراع بين الحق والباطل مستمر إلى قيام الساعة، فلا بد من الاستعداد لمجابهة أعداء الإسلام بكل ما تملك أمة الإسلام من قوة وعزم وأن تأخذ بالأسباب، وتتوكل على الله، فلا عيش في هذا الزمان إلا لمنطق القوة<sup>(٣)</sup>، فنحن في فلسطين بوابة الجهاد للأمة ضد العدو الصهيوني الغادر، بحاجة اليوم إلى الاستعداد الجيد لمواجهة هذا العدو الظالم، ففي فلسطين تجد كل الآلام والمحن والشدائد التي يعيشها الشعب الفلسطيني المكوم، يعيش ألم الحروب، والقصف والدمار، والحصار، والفقر والجوع والبطالة، ترى آلام اليتامى والثكالى، ترى في فلسطين كل ألوان العذاب من قبل المحتل الغاصب، الذي يعتدي على أراضيها، ويدنس مقدساتها ومسراها، ولا من مجيب وانتقلت الآلام إلى جيران فلسطين كمصر وسوريا واليمن وليبيا والعراق، فإله نسال الخلاص من هؤلاء الطواغيت الذين أفسدوا وما زالوا، ونسال الله كما أفاقت الشعوب من غفلتها، أن يفيق الحكام ويعودوا لرشدهم، وينتصروا لدينهم وعقيدتهم وشعوبهم، ولا يسيروا خلف أنظمة فاسدة تحركهم كأمریکا وإسرائيل، لأن كل ما يجري من دسائس ومؤامرات ضد

(١) ينظر: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، (ص ١٤٩-١٥٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، (ب ٢١، ح ١٧٦٧).

(٣) ينظر: قيس من نور القرآن، محمد علي الصابوني، (م ١، ص ٥٤).



الإسلام اليوم والشعوب الإسلامية وراءها ثعبان خطير يدس السم هو الخطر الصهيوني الأمريكي، فعلينا أن نجد ونجتهد كما علمتنا براءة كيف نكون أمة مترابطة شعارها الإسلام وواقعها الإيمان ومنهجها القرآن والسنة، ويجمعها النور والخير، والطاقة والعزيمة في بناء جيل الأمة، وعلى أن الإسلام دين ودولة ومصحف وسيف<sup>(١)</sup>.

٦- **براءة كشفت الخبث الوثني وقضت عليه بمعية الله تعالى:** كشف الله ﷻ مكر وخبث التجمع الوثني، وتناولت براءة لهذه الفئة التي لعنها الله، ورغم محاولتها بكل الوسائل البشعة للتخلص من الإسلام إلا أن معية الله تعالى مع المؤمنين تجلت، فكان النصر والعزة والظهور للإسلام وفي هذا قال جل شأنه: ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢] ، وهذا الوعد الحق من الله، الدال على سنته التي لا تتبدل، في إتمام نوره بنصره لدينه وإظهاره على الدين كله، ومن هنا تظهر محبة ومعية الله للمؤمنين، فتغرس في قلوبهم الأمن والطمأنينة، وتدفعهم إلى الجهاد، والصبر على المشقة والمحن والأواء، وكيد ومكر الكافرين في كل زمان ومكان<sup>(٢)</sup>، فبعد أن عاد النبي ﷺ من تبوك منتصراً على الروم النصارى الصليبية الحاقدة، منتصراً عزيزاً، مطهراً لأرض الإسلام من الوجود الوثني، أقاموا حجتهم في العام التاسع من الهجرة بكامل الحرية، في تجمع رائع يُعلن أن العبودية والريوبية لله ﷻ الواحد الأحد، وأزالوا كل صور الشرك من الكعبة المشرفة معلنين البراءة من الشرك وأهله حيث نزل قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١] ، وهذا الإعلان الحاسم من الله سبحانه أنهى أحزاب الشرك والوثنية من أرض العرب، كما أعطت فرصة لمشركي العرب بالتعرف على الإسلام وبالتالي الدخول فيه دون إكراه<sup>(٣)</sup>، وهكذا نجحت دعوة الله في الأرض على التخلص من ركام الجاهلية، والحياة الأرضية، المادية، وكسرت أصنام الجهل والوثنية، ورفعت صوت التوحيد عالياً، ونشرت العدل، ورفعت الظلم والقهر عن المستضعفين في الأرض، وأعطت كل ذي حق حقه فكانت لحظات فريدة للإسلام من عمر الدعوة، كتبت له السعادة، والحرية، والوحدة، فغير خط التاريخ ورسم غد مشرق للإسلام<sup>(٤)</sup>، فإله سبحانه وعد عباده المؤمنين في الأرض أن يكونوا هم الغالبون، فكتب لهم النصر، والتمكين والعزة،

(١) ينظر: ملحمة فلسطين، د. عدنان علي رضا النحوي، (ص ٩١، ٩٣)، وقضايا إسلامية معاصرة، د. يوسف القرضاوي، (ص ١٤٧).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (م ٣، ص ١٦٤٤).

(٣) ينظر: المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير محمد الغضبان، (م ٣، ص ١٩٤).

(٤) ينظر: الرحيق المختوم، صيفي الرحمن المباركفوري، (ص ٤٥٨، ٤٥٩).

فكانت لهم الدولة التي ملأت الأرض نوراً وعدلاً فقال في كتابه عن المعتدين: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ \* فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٥٠-٥١]، وقال: ﴿وَقَدْ مَكْرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ \* فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُحْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٦-٤٧] ، وهكذا أعداء الأمم هم أعداء اليوم، والتاريخ يعيد نفسه، فهذه هي سنة الله في الخلق، فالיום دعوة الله تعود بنفس المشهد، لها رجال يحمونها ويصدون كل من يعاديها، بالصبر والثبات أمام الكائدون الماكرون، وأكبر مثال اليوم ما تعيشه غزة، هذه البقعة الصغيرة على الخارطة لكنها عظيمة برجالها، وقوة إيمان أهلها، فتصدوا في وجه العدو الغاصب المحتل، والعالم للأسف يتفرج عليها وهي تُضرب وتُفهر وتُحاصر في حرب تتلوها حرب أشع، ولكن ثبتت، وصمدت في وجه العدو، وأذهلت العالم كله ببطولاتها وبطولات رجالها <sup>(١)</sup>، فالיום علينا أن نسير على خطى النبي ﷺ المجاهد الأول الذي علم الأمة الجهاد، ورسم لها صفحات البطولة عبر بدر وأحد والخندق وانتهاء بمؤتة وتبوك، فلا زال المشوار أمامنا يحتاج إلى جهد، فلا وقت للراحة والدعة فانفض يا مسلم عن نفسك غبار العجز والكسل، وقم قديم لدينك، ودعوتك، ووطنك فسفينة الدعوة ماضية، ومعية الله معك، لن يخذلك، فوعد الله قائم، فاحمل الراية وامضي، وسر على نهج الرسول والصحابة والتابعين، وعلى خطى البنا والياسين أصحاب الهمم الذين أحيوا الأمم وليكن شعارنا الله غايتنا والرسول قدوتنا والقرآن دستورنا والجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣] .

(١) ينظر: زاد الرواحل، بقلم الدائرة التربوية بغزة، (ص ٢٢٤، ٢٢٥).

## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي قال في كتابه العزيز: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، فمنَّ عَلَيَّ بفضلِهِ وتوفيقِهِ، وكرمه أن أكون من خدمة كتاب الله تعالى، فأعظم الشكر لله ﷻ أن أنعم عَلَيَّ، بإتمام رسالتي، لتخرج في أتم وأفضل صورة، وأرجو من الله العلي القدير، الإخلاص والقبول، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزدنا علماً من كتابه العظيم، والله أسأل أن ينفع برسالتي كل من قرأها، وأن تكون عوناً لطلاب العلم وأن يحقق الله ﷻ منها الاستفادة والخير للجميع والله من وراء القصد.

وقد اشتملت الرسالة على عدة نتائج وتوصيات وهي على النحو التالي:

### أولاً: أهم النتائج:

- ١- علم المقاصد والأهداف، علم عظيم ورائع، يمتلئ ويزخر بالحكم والأحكام والفوائد الجليلة، لما له من صلة وثيقة ووطيدة بكتاب الله ﷻ، فالقرآن دستور الحياة وهو المصدر الأساسي المستمد منه الشرائع والحكم والفوائد، وهو علم يبحث في أسرار آيات القرآن الكريم، ومكنوناته الجليلة التي تحدد البناء المتكامل للأمة من خلال العبادات والمعاملات والتشريعات وتحدد معالم الطريق من خلال المنهج الحركي للقرآن الكريم.
- ٢- جمع البحث بين سورتين عظيمتين تكمل كل واحدة الأخرى (الأنفال والتوبة)، لما لهما من فضل عظيم على الأمة الإسلامية المجاهدة وبما فيهما من أحكام وشرائع وأسرار تحقق مصالح العباد في كل زمان ومكان.
- ٣- وضحت مقاصد السورتين الدلائل الراسخة على عظمة القرآن الكريم، الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ودلت على مدى موافقته لما يحتاج إليه البشر من تشريع وأحكام وما يتطلبونه من حكم وقيم وفوائد وأسرار وحقائق تنير لهم الطريق في حياتهم وتكون بلسماً شافياً لحل مشكلاتهم، خاصة ما يعانونه من الظلم والقهر والفساد في الأرض.
- ٤- شرع الله سبحانه الغنائم للمسلمين وبيّن كيفية توزيعها على المسلمين.
- ٥- غزوة بدر الكبرى سبب وجود الإسلام في الأرض.
- ٦- وجوب احترام العهود والمواثيق ومحاربة أهل الغدر والخيانة، ولا يعقد المسلمون مع الكفار عهداً أو هدنة إلا بشروط المسلمين ووفقاً لمصلحة الإسلام.

٧- العقيدة الإسلامية هي الأساس في طبيعة العلاقات بين المسلمين في المجتمع المسلم والمجتمعات الأخرى، فلا ولاية ونصرة إلا لأهل العقيدة الراسخة، فلا ولاية لأهل البغي والضلال.

٨- الإسلام منهج هداية لا منهج إبادة، فالكفر والشرك في الأرض لم يعد وثن أو صنم أو حجر يعبد ويقدم وإنما تعددت الآلهة التي تُعبد من دون الله وكثرت الفتن، وحب الشهوات من دون الله وهذا يجعل الأمانة أعظم على الأمة الإسلامية، فالعلماء والدعاة إذا قاموا بواجبهم في هداية الناس إلى الخير، سوف يعيش الناس في ظل نور الإسلام.

٩- أثبتت غزوة حُنين للعالم أجمع في كل زمان ومكان، أن النصر والتمكين، والعزة يكون بقوة الإيمان والثبات على العقيدة، لا بالعدة والعتاد، وهذا ما أثبتته مجاهدو الشعب الفلسطيني في غزة، الصغيرة في حجمها الكبيرة بعظم رجالها الذين أثبتوا للعالم أجمع هذه المعادلة الصحيحة ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

١٠- وجوب قتال كل من يعادي الإسلام ويحاربه من المنحرفين أهل الفساد والفجور في الأرض أمثال أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين عبثوا وحرفوا في كتبهم لأنهم يشعرون دائماً بخطر رسالة محمد ﷺ على كياناتهم، ذلك المارد العظيم الذي يربعهم -الإسلام- فخططوا ومكروا للإسلام خوفاً على وجودهم ومطامعهم ومصالحهم، وما زال واقع الأمة اليوم واقعاً مؤلماً بتكالب الأعداء من اليهود الصهاينة المعادين، والنصارى الصليبيين، ومن سار على خطاهم وحذا حذوهم من بني جلدتنا ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

١١- الإعداد الجيد للمرحلة القادمة مع أعداء الإسلام، بالتخطيط والاستعداد الجيد كما علمتنا سورتي الأنفال والتوبة، فيجب على المسلمين أن يعدوا جيل الأمة لمواجهة أي خطر يهدد الإسلام والمسلمين، خاصة ونحن نعيش الآن ثورات عريضة ضد الظلم والقهر والفساد، وبسبب الاعتداء المستمر على منهج الإسلام وعلى المسلمين.

### ثانياً: التوصيات:

١- كثرة التدبر والتفكير والتأمل عند تلاوة القرآن الكريم حتى نكتشف أسرار العلم ونستخلص منه الدروس والعبر، والحكم والفوائد والحقائق التي يغفل عنها الكثير، مع أنها هي سبب رقي واقع المسلمين إلى الأفضل بإيجاد حلول لكل مشاكلهم.

٢- الاهتمام بعلم مقاصد وأهداف الآيات والسور من القرآن الكريم، لأنه علم فيه إحياء لحركة الإسلام ومنهجه القويم، وتجديده على كل مستوى سواء كان تربوياً، أو ثقافياً، أو تنظيمياً أو اقتصادياً أو سياسياً؛ لأنه مرتبط بنصوص القرآن وبالعصر والواقع الذي نحياه فيكون تأثيره قوياً مقنعاً، وأوصي الباحثين وطلاب العلم خاصة والدعاة الذين يفسرون القرآن الكريم، بالاهتمام والاعتناء بعلم مقاصد وأهداف الآيات والسور القرآنية لما في ذلك من غايات عظيمة ومصالح هامة تفيد الأمة الإسلامية، كما أنها تعمق الإيمان في قلب المؤمن وتجعله يثبت على عقيدته الراسخة.

٣- دراسة القرآن الكريم أدبياً وفنياً وتشريعياً، فهو كتاب العربية الأعظم والأكبر، فالقرآن وإن كان كتاب هداية وتشريع، لكنه بالوقت نفسه عصارة جهد فني إبداعى ولغوي في حياة العرب والمسلمين، فهو عربي النص عالمي الدلالة.

٤- أوصي كل مسلم ومسلمة بتربية الأبناء على الأخلاق وغرس روح الجهاد في سبيل الله لديه، حتى ينشأ على حب التضحية والفداء والثبات على دينه وعقيدته، فينشأ مدافعاً حامياً لدينه ووطنه وكرامته.

٥- أوصي كل من يهمله الأمر بتدريس سورتي الأنفال والتوبة في المدارس والمعاهد والجامعات والمساجد وللأسر الدعوية والمراكز التعليمية لأنها مدرسة بل جامعة تخرج جيل النصر وتعد الأمة لموعده النصر القريب بإذن الله تعالى، كما وعدنا في كتابه العزيز ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

٦- أوصي الباحثين بمواصلة دراساتهم العلمية في مجال البحث في القرآن الكريم وخاصة عن وجه الإعجاز الموضوعي في القرآن، أو وجه إعجاز عن المقاصد والأهداف القرآنية، وإثبات حجة هذا الوجه في مجال الأبحاث العلمية المحكمة لطلبة الدراسات العليا في الجامعات الإسلامية والكليات الشرعية.

هذا وقد انتهى بحث رسالتي، وأمل من الله ﷻ، أن يكون جهدي المتواضع خرج بصورة تليق بشرف هذا الكتاب المعظم، كتاب الله ﷻ، فإن وقعت في هذا البحث، فالفضل والمنة لله ﷻ، وإن كان من زلل أو سهو أو نسيان فهذه هي طبيعة الإنسان، فالكمال لله ﷻ وحده، ﷻ، وأسأل الله القبول والإخلاص والرفق والرضا، فهو سبحانه ولي التوفيق.

## الفهارس

وتحتوي على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

سورة الفاتحة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
- ١	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٢	١١
- ٢	﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ... ﴾	٧-٦	٢٢٠
سورة البقرة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
- ٣	﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾	٢٥	٢١٣
- ٤	﴿ أَوْكَلْنَا عَاهِدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	١٠٠	١٧٠
- ٥	﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾	١٢٠	١٥٨، ١٤٠ ٢٦٨
- ٦	﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ... ﴾	١٤٣-١٤٢	٢٦١
- ٧	﴿ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ... ﴾	١٤٥	٢٥١
- ٨	﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾	١٤٧	٢٥٢
- ٩	﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا ﴾	١٦٥	٢١٨
- ١٠	﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾	١٦٨	٢٢٠
- ١١	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ... ﴾	١٧٦	٢٦٣
- ١٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ... ﴾	١٨٣	١٠

١٤٢	٢٠٥-٢٠٤	﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ... ﴾	-١٣
١٩٦، ١٥٨ ٢٥٩	٢١٧	﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾	-١٤
٢٦٨، ١١٣، ٩٨	٢٤٩	﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾	-١٥
١٠٤	٢٥١	﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾	-١٦
٢١٤	٢٥٧	﴿ اللَّهُ وَرِئُ الْوَالِدِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾	-١٧
سورة آل عمران			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٢١٨، ٢١٥	٣١	﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ... ﴾	-١٧
٢١٥، ١٩٥، ٨١	٨٥	﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ... ﴾	-١٨
١٤٠	١٠٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ... ﴾	-١٩
١٨٥	١١٨	﴿ لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ ﴾	-٢٠
٦٩	١٢٢	﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾	-٢١
٩٨	١٢٣	﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	-٢٢
٢٢٧، ٩٨	١٢٦	﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾	-٢٣
٢٥١	١٦٧	﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾	-٢٤



١٨٠	١٧٣	﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا... ﴾	-٢٥
٨٢	١٨٢	﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾	-٢٦
١٧٤	١٨٦	﴿ تَتَّبِعُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا... ﴾	-٢٧
سورة النساء			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٢٤٥، ١٦٩	٥٩	﴿ فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... ﴾	-٢٨
٢٣٤	٦٠-٥٩	﴿ فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ... ﴾	-٢٩
١١٥	٦٩	﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ ﴾	-٣٠
١٧٥	٧٨	﴿ فَهَالِكٌ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾	-٣١
١٠٣	٩٤	﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾	-٣٢
٢٠٤	٩٦-٩٥	﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ... ﴾	-٣٣
٢٠٥	٩٧	﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾	-٣٤
٢٠٦	٩٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ... ﴾	-٣٥
٢١٢	١٣٩-١٣٨	﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾	-٣٦
٢٢٩	١٤٥	﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ... ﴾	-٣٧

سورة المائدة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٨-	﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾	٤٤	٢٣٤
٣٩-	﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ... ﴾	٥٤	٢٠٢
٤٠-	﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾	٥٦	٢١١
٤١-	﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾	٥٦	٢٢٦، ٢١١
٤٢-	﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾	٦٧	١٠٦
٤٣-	﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ... ﴾	٨٢	١٧٠
٤٤-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ... ﴾	١٠٥	٢٢٠
سورة الأنعام			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٥-	﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾	١٢٤	٢٤٠
٤٦-	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	١٦٢	١٩٧
سورة الأعراف			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٧-	﴿ ... رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾	١٢٦	٥٦

سورة الأنفال			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٨-	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ... ﴾	٢	٢٣
٤٩-	﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾	٤	١٤٥
٥٠-	﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾	٨	١٧٤، ٤٥
٥١-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا... ﴾	١٥-١٦	٢٢٧
٥٢-	﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى... ﴾	١٧	١٨١
٥٣-	﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾	٣٠	٢١
٥٤-	﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾	٣٠	١٤٠، ١٢٩
٥٥-	﴿ إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٣٤	٢١٤
٥٦-	﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ... ﴾	٣٩	٣٧
٥٧-	﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ ﴾	٤١	٤١
٥٨-	﴿ وَعَلِمُوا أَنَّمَا أُغْنِيَتْكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُسْبَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾	٤١	٤٣، ٤٠، ٣٩
٥٩-	﴿ إِنَّ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ ﴾	٤١	٤٥، ٤٤، ٤٠
٦٠-	﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا... ﴾	٤٣	٤٦
٦١-	﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾	٤٤	٥٨، ٤٨
٦٢-	﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقَاتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا... ﴾	٤٣-٤٤	٥٨، ٤٩

٥٢	٤٧-٤٥	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا... ﴾	-٦٣
٥٣	٤٧	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا... ﴾	-٦٤
٦٦، ٥٨	٤٨	﴿ وَإِذْ زَيْنَ هُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ... ﴾	-٦٥
٦٤، ٦٣	٤٨	﴿ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾	-٦٦
٦٤	٤٩	﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ... ﴾	-٦٧
٦٩، ٦٧	٤٩	﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	-٦٨
٧٢	٥٤-٥٠	﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ... ﴾	-٦٩
٧٩، ٧٦	٥٤-٥٢	﴿ كَذَابٍ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ... ﴾	-٧٠
١٤٦، ٧٩، ٧٧	٥٤-٥٣	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا نِعْمَةً... ﴾	-٧١
٢٥٤، ٨٦	٥٥	﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	-٧٢
٩٢، ٩١، ٨٩ ١٣٧، ٩٣	٥٨	﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾	-٧٣
٩٧، ٩٦، ٩٤	٦٠	﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾	-٧٤
١١٤، ٩٨	٦٠	﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ... ﴾	-٧٥
١١٤، ٩٨	٦٠	﴿ تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ... ﴾	-٧٦
١٦٣، ١٠٤	٦١	﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ... ﴾	-٧٧
١٠٤	٦٢	﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ... ﴾	-٧٨
١٠٥، ١٠٠	٦٣	﴿ وَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾	-٧٩
١١٠	٦٤	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	-٨٠

١٠٨	٦٥	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ ﴾	-٨١
١٠٩، ١٠٨	٦٥	﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾	-٨٢
١١١-١٠٩، ١١٥	٦٦	﴿ فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾	-٨٣
١٢١، ١١٧	٦٧-٦٩	﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي الْأَرْضِ ﴾	-٨٤
١٢٠، ١١٨	٦٩	﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	-٨٥
١٢٢، ١١٨	٦٨	﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	-٨٦
١٢٣	٧٠	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى ... ﴾	-٨٧
١٢٥، ١٢٤	٧٠	﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	-٨٨
١٢٧، ١٢٦، ١٢٩، ١٢٨	٧١	﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	-٨٩
١٣٤، ١٣٢، ٢٠٠	٧٢	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾	-٩٠
١٣٦، ١٣٥	٧٢	﴿ وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	-٩١
١٣٢	٧٢	﴿ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾	-٩٢
١٣٨، ١٣٧، ١٣٩	٧٣	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾	-٩٣
١٤٢، ١٣٤، ١٤٦، ١٤٣	٧٥	﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	-٩٤

سورة التوبة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٩٥-	﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ... ﴾	١	١٥٠، ١٦٦، ٢٦٥
٩٦-	﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ... ﴾	٢	١٥٤
٩٧-	﴿ أَنْ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ... ﴾	٣	١٦٦
٩٨-	﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا ﴾	٤	١٥٥
٩٩-	﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ... ﴾	٥	١٠١، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٦
١٠٠-	﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ... ﴾	٥-٦	١٥٩
١٠١-	﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ... ﴾	٧-١٠	١٦٦
١٠٢-	﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ﴾	٨	١٤١، ١٦٩
١٠٣-	﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً... ﴾	١٠	١٦٩
١٠٤-	﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ... ﴾	١١-١٢	١٧٠
١٠٥-	﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ... ﴾	١٢	١٧١، ١٧٨
١٠٦-	﴿ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ... ﴾	١٢	١٧٥، ١٧٨
١٠٧-	﴿ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ... ﴾	١٣-١٥	١٧٧
١٠٨-	﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾	١٤	١٨١
١٠٩-	﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ... ﴾	١٤-١٥	١٨٢

١٨٢	١٥	﴿ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ﴾	-١١٠
١٨٤	١٦	﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا... ﴾	-١١١
١٩١، ١٩٠، ٢٣٠	١٧	﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ... ﴾	-١١٢
١٨٩	١٧-١٩	﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ... ﴾	-١١٣
١٩٤، ١٩١، ١٩٧	١٨	﴿ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾	-١١٤
١٩٥، ١٨٩	١٩	﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾	-١١٥
٢١٦	١٩	﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾	-١١٦
٢٠٠، ١٩٨	٢٠	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾	-١١٧
٢١٠	٢٣	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾	-١١٨
٢٢١، ٢١٢	٢٣-٢٤	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ ﴾	-١١٩
٢١٦، ٢١٥	٢٤	﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾	-١٢٠
٢١٧، ٢١٦	٢٤	﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾	-١٢١
٢٢٣	٢٥-٢٧	﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾	-١٢٢
٢٢٨	٢٦	﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ... ﴾	-١٢٣
١٨٩	٢٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ... ﴾	-١٢٤

٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٠	٢٨	﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾	١٢٥-
١٧٤، ١٤١، ٢٤٤، ٢٤٠	٢٩	﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾	١٢٦-
٢٤١، ٢٣٩	٢٩	﴿ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾	١٢٧-
٢٣٩	٢٩	﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾	١٢٨-
٢٤٥، ٢٣٩	٢٩-٣٠	﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ... ﴾	١٢٩-
٢٤٧	٣٠	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ بْنُ اللَّهِ... ﴾	١٣٠-
٢٥٣	٣٠	﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤْفَكُونَ ﴾	١٣١-
٢٤٦	٣٠-٣١	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ... ﴾	١٣٢-
٢٥٠، ٢٤٧	٣١	﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾	١٣٣-
٢٦٣، ٢٤٣، ٨٩	٣٢	﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ... ﴾	١٣٤-
٢٥٥٨، ٨٩	٣٢	﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ... ﴾	١٣٥-
٢٥٥، ١٠٦، ٢٦٣، ٢٦٢	٣٢-٣٣	﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ... ﴾	١٣٦-
١٢٩، ١٠٩، ٢٦٢	٣٣	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ... ﴾	١٣٧-



٢١٧	٣٧	﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾	١٣٨-
٣	٤٢	﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ... ﴾	١٣٩-
٢١٢	٦٧	﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾	١٤٠-
١٨٧	٧١	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ... ﴾	١٤١-
٢٠٢	١٠٠	﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ... ﴾	١٤٢-
١٠	١٠٣	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾	١٤٣-
١٩٦	١٠٥	﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾	١٤٤-
٢٢٨	١٠٩	﴿ أَفَمَنْ أَتَّسَّ بِبُنْيَانِهِ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ ﴾	١٤٥-
١٨٠، ١٥٤	١١١	﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ... ﴾	١٤٦-
٢٦٤	١٢٣	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ... ﴾	١٤٧-
٢٦٢	١٢٨	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ... ﴾	١٤٨-
سورة يونس			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٢٢٩	٨-٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا... ﴾	١٤٩-
٢١٧	٣٠	﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ... ﴾	١٥٠-
١٥٦	٤١	﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	١٥١-
٢٢٩، ٢١٧	٦٣-٦٢	﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ... ﴾	١٥٢-
١٥٧	١٠٨	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ... ﴾	١٥٣-

سورة هود			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٥٤-	﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ... ﴾	٤٩	١٢٥
١٥٥-	﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾	٥٠	٢٥٢
١٥٦-	﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ... ﴾	١٠٢	٨٣
سورة يوسف			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٥٧-	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ... ﴾	٢	د
١٥٨-	﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٢١	١٩٣
سورة الرعد			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٥٩-	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ... ﴾	١١	٢٢٠، ٧٩، ٦٣
سورة إبراهيم			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦٠-	﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ... ﴾	٢٧	٢٢٧
١٦١-	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ ... ﴾	٢٨-٢٩	٨١
١٦٢-	﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَرْوُلٍ مِنْهُ الْجِبَالُ ... ﴾	٤٦-٤٧	٢٦٦

سورة النحل			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦٣-	﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَضْدُ السَّبِيلِ ... ﴾	٩	٣
١٦٤-	﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾	٨١	١٣
١٦٥-	﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾	٨٨	٢٦١
سورة الإسراء			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦٦-	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ... ﴾	١	٢٣٥، ١٩٧
١٦٧-	﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾	١٥	٨٣
١٦٨-	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾	٧٠	٨٣
١٦٩-	﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾	٨١	٢٣٥
سورة الكهف			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧٠-	﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾	٥	٢٥١
١٧١-	﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾	٩٨	١٨١
١٧٢-	﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾	١١٠	١٩٥
سورة مريم			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧٣-	﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾	٤١	٢٠٧

سورة طه			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧٤-	﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾	٨٤	١٨٠
١٧٥-	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾	١٢٤	٢٢٦
١٧٦-	﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا... ﴾	١٣٢	٢٣٧
سورة الأنبياء			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧٧-	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ... ﴾	٢٥	٢٥٢
١٧٨-	﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ... ﴾	٨٠	٢٣٧
سورة الحج			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧٩-	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا... ﴾	٣٨	٢٦١، ١٨١
١٨٠-	﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ... ﴾	٧٨	١٨٦
سورة المؤمنون			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨١-	﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجَارُونَ ﴾	٦٤	٦٤
١٨٢-	﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ... ﴾	٧١	٨١
سورة النور			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٣-	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ... ﴾	٥٥	١٤١، ٥٠ ٢٦٩، ٢٠٤

سورة النمل			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٤-	﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ... ﴾	٥٠-٥١	٢٦٦
١٨٥-	﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ... ﴾	٦٢	٥٦
١٨٦-	﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾	٧٩	٢٠٤
سورة العنكبوت			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٧-	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾	٩	١٩٥
١٨٨-	﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾	٤٥	١٠
سورة الروم			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٩-	﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٤٧	١٨١، ٨٩
سورة لقمان			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٠-	﴿ وَأَقِصْ دِي مَشِيكَ وَاعْغِضْ مِنْ صَوْتِكَ... ﴾	١٩	٣
سورة الأحزاب			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩١-	﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ... ﴾	٢٣	٢٠٧، ١٨٦
١٩٢-	﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ... ﴾	٧٢-٧٣	٨٤

سورة سبأ			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٣-	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾	٢٨	٢٦٣
١٩٤-	﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيءُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ ﴾	٤٩	٢٣٥
سورة فاطر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٥-	﴿ إِلَيْهِ يُصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ... ﴾	١٠	٢٣٢
سورة يس			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٦-	﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾	٣٧	١٥٩
سورة الصافات			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٧-	﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾	١٧٣	٢٦٦، ٢٢٦
سورة ص			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٨-	﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ... ﴾	٢٦	٨١
١٩٩-	﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾	٢٩	٨، ٥
سورة الزمر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٠٠-	﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٩	هـ، ٢٦٧

سورة غافر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٠١-	﴿ فَسْتَدْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ... ﴾	٤٤	١٧٥
٢٠٢-	﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾	٥١	١١٥
٢٠٣-	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ... ﴾	٦٠	٥٦
سورة الزخرف			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٠٤-	﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾	٦٧	١٨٧
سورة الجاثية			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٠٥-	﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾	١٩	٢١٤
سورة محمد			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٠٦-	﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثَخَتُّمُوهُمْ فَشَدُّوا الْوَتَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدَ وَاِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أُوزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾	٤	٢٢٠، ١٦٠
٢٠٧-	﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴾	٤	١٢
٢٠٨-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾	٧	٢٠٥، ١١٣
٢٠٩-	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصَلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴾	٨	١١٣

٧٩	١٠	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ... ﴾	-٢١٠
١١٤، ١٠٥، ٩٧	١١	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾	-٢١١
٦٧	٢٠	﴿ فَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةَ مُحْكَمَةً وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ... ﴾	-٢١٢
٢٣٤	٢٦	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ... ﴾	-٢١٣
١٠٤، ١٠١	٣٥	﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ... ﴾	-٢١٤
سورة الفتح			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١١٣	٤	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾	-٢١٥
٧٥، ٦٢	٤	﴿ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾	-٢١٦
٢٥١	١١	﴿ يَقُولُونَ بِاللَّسْتِثِيمِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾	-٢١٧
٢٢٩	١٨	﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ... ﴾	-٢١٨
١٨٤، ٨٩	٢٨	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ... ﴾	-٢١٩
سورة الحجرات			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٨١	٨-٧	﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ... ﴾	-٢٢٠
٨٣	٩	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾	-٢٢١
٨٣	١٣	﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ﴾	-٢٢٢
٢٠٧	١٥	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا... ﴾	-٢٢٣



سورة الذاريات			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٢٤-	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٢١٨،٣
سورة النجم			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٢٥-	﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾	٣-٥	١٢٥
سورة القمر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٢٦-	﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾	٤٥	٦٤
سورة الحديد			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٢٧-	﴿أَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ...﴾	٧	١٢٦
٢٢٨-	﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ...﴾	١٢	٢٠٨
سورة المجادلة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٢٩-	﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾	١٠	٦٢
٢٣٠-	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَدْلَى...﴾	٢٠-٢١	١٢٩
٢٣١-	﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	٢٢	٩٧

سورة الحشر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٣٢-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ ... ﴾	١٨-١٩	٧٦
سورة الممتحنة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٣٣-	﴿ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ ... ﴾	٨	١٦٣
سورة الصف			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٣٤-	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ... ﴾	٤	٢٠٧
٢٣٥-	﴿ يُرِيدُونَ لِيطْفئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ... ﴾	٨	٢٥١
٢٣٦-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنَجِّيْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ... ﴾	١٠-١٣	٢٠٣
سورة الجمعة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٣٧-	﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا ... ﴾	٢	٢٠٧
سورة الطلاق			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٣٨-	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾	٢-٣	١٢٦

سورة الملك			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٣٩-	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	١	١١
سورة نوح			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٤٠-	﴿ قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ... ﴾	١٠-١٢	٨٠
سورة عبس			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٤١-	﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ ... ﴾	١٧-٢٢	٢١٣
سورة البلد			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٤٢-	﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾	١٠	٨٤
سورة العاديات			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٤٣-	﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾	١	٩٦

## ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

م	الحديث	مكان وروده والحكم عليه	الصفحة
١-	(آخر سورة نزلت سورة...)	صحيح - أخرجه مسلم	٢٩
٢-	(إذا فسدت أهل الشام فلا خير فيكم ولا تزال طائفة من أمتي منصورين لا نصير لهم من خذلهم حتى تقوم الساعة)	سنن الترمذي - حديث حسن صحيح	١٩٣
٣-	(إذا نودي للصلاة أدبر للشيطان له فراط حتى لا يسمع التأذين)	صحيح - أخرجه البخاري ومسلم	٦٢
٤-	(أذهب فاطرحه في القبض... ) (أذهب فخذ سيفك)	أخرجه أحمد والترمذي - حديث حسن صحيح	٣٥
٥-	(أربع من كن فيه كان خالصاً، ومن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أوتى من خان، وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)	صحيح - أخرجه البخاري ومسلم	٦٧
٦-	(أغزو باسم الله، في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال فإن هم أجابوك إليك فقبل وكف عنه)	صحيح - أخرجه مسلم	١٠٣
٧-	(اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة...)	صحيح - أخرجه مسلم	١١
٨-	(اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة...)	صحيح - أخرجه مسلم	١١
٩-	(ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من...)	صحيح - أخرجه مسلم	١١
١٠-	(الخيال معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والمغنم)	صحيح - أخرجه البخاري ومسلم	٩٦
١١-	(الدعاء هو العبادة)	سنن الترمذي، أبو داود، سنده صحيح	٥٦
١٢-	(العز إزاري والكبرياء ردائي فمن ينازعني في واحد منهما فقد عذبتة...)	صحيح - أخرجه البخاري ومسلم	٥٧

٧٠	صحيح - أخرجه البخاري ومسلم	(اللهم إنني أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت)	-١٣
٥٤	صحيح - أخرجه البخاري ومسلم	(اللهم منزل الكتاب ومُجري السحاب وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم)	-١٤
٢٦٢	سنن أبي داود، قول الألباني: حسن صحيح	(المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على...)	-١٥
١٣٩	صحيح - أخرجه مسلم	(الناس تبع القريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم)	-١٦
٦٨	صحيح - أخرجه البخاري ومسلم	(الناس كمعادن الأرض منهم الطيب اللين ومنهم...)	-١٧
٢٤٨، ٢٦٤	صحيح - أخرجه البخاري ومسلم	(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله...)	-١٨
١٦١	صحيح - أخرجه البخاري ومسلم	(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة)	-١٩
١٦٤	صحيح - أخرجه البخاري ومسلم	(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله...)	-٢٠
٤١	صحيح - أخرجه مسلم	(أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، أمركم بالإيمان بالله...)	-٢١
٩٨	صحيح - أخرجه مسلم	(أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك...)	-٢٢
٨٣	صحيح - أخرجه مسلم	(إن الظلم ظلمات يوم القيامة)	-٢٣
٢٠٨	صحيح - أخرجه مسلم	(إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك...)	-٢٤
٢٥٤	صحيح - أخرجه البخاري	(إن المرء مع من أحب)	-٢٥
١٠	صحيح ابن حبان - حديث صحيح	(إن سورة في القرآن ثلاثون آية تستغفر لصاحبها حتى يغفر...)	-٢٦

١١	المستدرك على الصحيحين حديث صحيح	(إن لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة ...)	-٢٧
١٨١	صحيح - أخرجه مسلم	(إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين) صحيح مسلم	-٢٨
٢٦٦	صحيح أخرجه البخاري ومسلم	(أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحي بي الكفر...)	-٢٩
٢٩	صحيح - ورد في صحيح سنن الترمذي	(أول هذه السورة نزلت على رسول الله ﷺ أثناء رجوعه من غزوة تبوك ...)	-٣٠
٩٩	صحيح - أخرجه مسلم	(أي الناس أفضل يا رسول الله؟ قال مؤمن يجاهد...)	-٣١
٤٠	صحيح - أخرجه مسلم	(أيكما قتله؟ فقال كل واحد منهما أنا قتلته...)	-٣٢
٨١	صحيح - أخرجه مسلم	(بادروا بالأعمال الصالحة، فتكون فتنة كقطع الليل المظلم...)	-٣٣
٢٥٨	مسند الإمام أحمد، وصححه الألباني بالجامع الصغير	(بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي ...)	-٣٤
٢٢٤	رواه أحمد في مسند صفوان ابن أمية بسند صحيح	(بل عارية مضمونة)	-٣٥
١٨٧	صحيح - أخرجه مسلم	(تجدون الناس معادن فخيرهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام...)	-٣٦
٢٦١	صحيح - أخرجه البخاري	(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان...)	-٣٧
٢٠٣	صحيح - أخرجه مسلم	(خير أمتي القرن الذي يلوني ثم الذين يلونهم ثم الذين ...)	-٣٨
٢٣٨	صحيح - أخرجه مسلم	(دخل النبي ﷺ مكة، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود كان بيده ويقول: "قل جاء الحق ....")	-٣٩
٣٠	صحيح - أخرجه مسلم	(سمعت أبي يقول سألت علي بن أبي طالب: لِمَ لَمْ تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال .....	-٤٠
١٣	صحيح - أخرجه مسلم	(سورة الأنفال قال: "تلك سورة بدر" وذلك ...)	-٤١
١٢	صحيح - أخرجه مسلم	(سورة التوبة، قال: التوبة: بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل، ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى ...)	-٤٢

٢٠٣	صحيح - أخرجه مسلم	(سئل أي الناس خيراً؟ قال قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم...) (٤٣-)
٦٨	أخرجه الطبراني في الكبير حديث صحيح	(عليكم بالشام فإنها صفوة بلاد الله يشكنها خيرته من خلقه...) (٤٤-)
٢٠٧	صحيح - أخرجه مسلم	(عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر...) (٤٥-)
١٩٦	صحيح - أخرجه مسلم	(غدوة في سبيل الله أو روحة خير مما طلعت عليه الشمس) (٤٦-)
٢٠٧	صحيح - أخرجه مسلم	(فإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار) (٤٧-)
٥٥	سنن أبي داود - إسناده صحيح	(كان أصحاب الرسول يكرهون عند القتال...) (٤٨-)
١٨٩	صحيح - أخرجه مسلم	(كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فقال رجل منهم ما أبالي لا أعمل لله عملاً بعد الإسلام...) (٤٩-)
٢٢٩	سنن الترمذي - حديث حسن	(كنت مع النبي ﷺ يوم حنين فولى عنه الناس وثبت معه ثمانون رجلاً من...) (٥٠-)
١١٥	صحيح - أخرجه مسلم	(لا تتمنوا لقاء العدو وإذا لقيتموهم فاصبروا) (٥١-)
١٠	صحيح - أخرجه مسلم	(لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه...) (٥٢-)
٥٥	سنن أبي داود - سنده صحيح	(لا تردان أو قلماً يردان: الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم...) (٥٣-)
٦٣	صحيح - أخرجه مسلم	(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) (٥٤-)
٢٠٢	صحيح - أخرجه مسلم	(لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك من أحدهم...) (٥٥-)
٢٣٦	صحيح - أخرجه مسلم	(لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا ومسجد) (٥٦-)
١٤٦، ٢٠٥	صحيح - أخرجه مسلم	(لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا) (٥٧-)

٢٠٥	صحيح - أخرجه مسلم	(لا هجرة، ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا)	-٥٨
١٩٢، ٢٩	صحيح - أخرجه مسلم	(لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت ...)	-٥٩
١٦٤	صحيح - أخرجه مسلم	(لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله...)	-٦٠
٥٧	صحيح - أخرجه مسلم	(لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر...)	-٦١
٢١٩	صحيح - أخرجه مسلم	(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)	-٦٢
٢٤١	صحيح - أخرجه مسلم	(لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً)	-٦٣
٢٠٥	صحيح - أخرجه البخاري ومسلم	(لعل الله يخرج من أصلابهم من يقول لا إله إلا الله)	-٦٤
١٩٦	صحيح - أخرجه مسلم	(الغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما .....)	-٦٥
٢٣٢	سنن الترمذي - حديث حسن	(لقد رأيتنا يوم حنين وإن الناس لمولين وما مع رسول الله ...)	-٦٦
٩١	صحيح - أخرجه مسلم	(لكل غادر لواء يوم القيامة يُرفع له بقدر...)	-٦٧
٣٠	المستدرک علی الصحیحین - حديث صحيح	(لِمَ لَمْ تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان وبراءة نزلت ...)	-٦٨
١٩٣	صحيح - أخرجه مسلم	(لن يبرح هذا الدين قائماً، يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى ...)	-٦٩
٢٣٦	سنن الترمذي - حديث حسن صحيح	(لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خصاصاً وتروح بطاناً)	-٧٠
١٧٢	صحيح - أخرجه البخاري	(ما بقي من أصحاب هذه الآية "فقاتلوا أئمة الكفر" إلا ثلاثة، ولا بقي من المنافقين إلا ...)	-٧١
١٢١	صحيح - أخرجه مسلم	(ما تقولون في الأسارى ...)	-٧٢
٦١	أخرجه الإمام مالك في الموطأ حديث مرسل	(ما رأى إبليس يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا وأغيظ من يوم عرفه، وذلك مما ...)	-٧٣
٢٥٥	صحيح - أخرجه البخاري	(مره فليتكلم وليستظل وليقعد و...)	-٧٤



٢٠٦	صحيح - أخرجه مسلم	(مضت الهجرة بأهلها...)	-٧٥
١٢	صحيح - أخرجه مسلم	(من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من ...)	-٧٦
٥٧	صحيح - أخرجه البخاري	(من سمع سمع الله به، ومن رأى رأى الله به)	-٧٧
٣٥	صحيح - أخرجه مسلم	(من فعل كذا فله كذا وكذا فذهب شبان الرجال وجلس الشيخ تحت الرايات)	-٧٨
١٨٦، ٥٨	صحيح - أخرجه البخاري ومسلم	(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)	-٧٩
٤٠	صحيح - أخرجه مسلم	(من قتل قتيلًا فله سلبه)	-٨٠
١٩٣	صحيح - أخرجه مسلم	(من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من)	-٨١
١٨٣	سنده صحيح - أخرجه الطبراني بسند صحيح	(هل لك إلا أن تكون من أوائل هذا الأمر؟ قال: لا، قال فما يمنعك منه؟ قال: ...)	-٨٢
٦٩	صحيح - أخرجه مسلم	(هم الذين لا يكتون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون...)	-٨٣
٢٥٣	صحيح - أخرجه مسلم	(والذي نفس محمد بيده لا يسمع أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن...)	-٨٤
٩٩	صحيح - أخرجه مسلم	(وأما خالد فإنكم تظلمون خالدًا فإنه قد تبرع في سبيل الله...)	-٨٥
١٢٢	صحيح - أخرجه البخاري ومسلم	(وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم...)	-٨٦
٦١	صحيح - أخرجه مسلم	(يا رب إنك إن تهلك هذه العصاة فلن تُعبد في الأرض أبدًا...)	-٨٧
٨٢، ٧٥	صحيح - أخرجه مسلم	(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا...)	-٨٨
٢٤٧	صحيح - أخرجه مسلم	(يا عدي ما تقول؟ أضررك أن يقال الله أكبر؟ فهل تعلم شيئاً أكبر من الله ما يضررك أن يقال...)	-٨٩

٥٧	صحيح - أخرجه مسلم	(يا قوم والله ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة لا نقاتلهم إلا بهذا الدين...)	-٩٠
٢٥٣	سنن الترمذي - وصححه الألباني في الجامع الصغير	(يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر)	-٩١
٦٩	صحيح - أخرجه مسلم	(يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب...)	-٩٢
٨٠	صحيح - أخرجه مسلم	يقول الله ﷻ: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها، أو...)	-٩٣

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

م	العلم	الصفحة
١-	ابن حزم	٢٢٠
٢-	أبو الدرداء	١٢
٣-	أبو أمامة الباهلي	١١
٤-	أحمد الريسوني	٥
٥-	ثوبان	-
٦-	جابر بن سمرة	١٩٦
٧-	جابر بن عبد الله	٧٠
٨-	الجويني	١٣
٩-	حذيفة بن اليمان	١٧٥
١٠-	ربيع بن عامر	١٨٦
١١-	الزجاج	٢٣٠
١٢-	الزرقاني	٤١
١٣-	زيد بن ثابت	٢٣
١٤-	سعيد ابن جبير	١٢
١٥-	سهل بن سعد الساعدي	-
١٦-	الشاطبي	١٠
١٧-	عروة بن الجعد البارقي	٩٨
١٨-	علال الفاسي	٥
١٩-	عمران بن الحصين	٧١
٢٠-	قتادة	١٢

٨٩	كعب بن الأشرف	-٢١
٧	ماجد عرسان الكيلاني	-٢٢
٦٧	الماوردي	-٢٣
٢٠٨	مجاشع بن مسعود	-٢٤
١٢٠	مجاهد بن جبر	-٢٥
١٣٣	محمد الطاهر بن عاشور	-٢٦
٢٣٨	محمد بن عبد الله دراز	-٢٧
١٩٦	المغيرة بن شعبة	-٢٨
١٩٢	النعمان بن بشير	-٢٩
١٠٦	النعمان بن مقرن	-٣٠
٧٠	وائلة بن الأسقع	-٣١

## رابعاً: المصادر والمراجع

- ١- إبراهيم المقادمة: القائد... والداعية والمجاهد: عاطف عدوان، ط١: ٢٠٠٤م، الناشر: مركز أبحاث المستقبل-فلسطين-غزة.
- ٢- الإتيقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٣- الإتيقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، راجعه: مصطفى القصاص، ط٢: ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، الناشر: مكتبة المعارف-الرياض.
- ٤- الأحكام السلطانية: علي بن محمد بن حبيب البصري الشهير بالماوردي، الناشر: دار الحديث-القاهرة.
- ٥- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، الناشر: دار المعرفة-بيروت.
- ٦- الإخوان المسلمون في حرف فلسطين: كامل الشريف-مصطفى السباعي، الناشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية-القاهرة.
- ٧- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٨- الأساس في التفسير: سعيد حوى، ط٤: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر.
- ٩- أسباب النزول: للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق أيمن صالح شعبان، ط٢: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، الناشر: دار الحديث-القاهرة.
- ١٠- الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته: عبد المنعم محمد حسين، ط١٠: ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، الناشر: الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة.
- ١١- استمتع بحياتك: محمد بن عبد الرحمن العريفي، ط١: ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م، الناشر: دار الضياء.
- ١٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، الناشر: دار الجيل-بيروت.
- ١٣- أسرار ترتيب القرآن نوادر التراث، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ومرزوق علي إبراهيم، الناشر: دار الفضيلة - القاهرة.

- ١٤- الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط١: ١٤١٥هـ، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.
- ١٥- أصول التربية الإسلامية وأساليبها: عبد الرحمن النحلوي، ط١: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، الناشر: دار الفكر-دمشق.
- ١٦- أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان، ط٣، ١٣٦٦هـ-١٩٧٦م، الناشر: دار البيان-بغداد.
- ١٧- أصول المواجهة الإعلامية: محمود الزهار، ط١: ٢٠٠٤م، الناشر: مركز النور للبحوث والدراسات-فلسطين-غزة.
- ١٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط١: ١٤١١هـ-١٩٩١م، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.
- ١٩- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس الزركلي، ط١٥: ٢٠٠٢م، الناشر: دار العلم للملايين.
- ٢٠- آفاق على الطريق: محمد نوح، ط٧: ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، الناشر: دار الوفاء-المنصورة.
- ٢١- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، ط٧: ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، الناشر: دار عالم الكتب-بيروت-لبنان.
- ٢٢- الأم: محمد بن إدريس بن العباس الشافعي، الناشر: دار المعرفة-بيروت، سنة النشر: ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- ٢٣- الإنسان بين الدينونة لله والدينونة لغيره، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، ط١: ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- ٢٤- أهداف التربية الإسلامية: ماجد عرسان الكيلاني، ط٢: ١٤١٧هـ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- ٢٥- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر الجزائري، ط٥: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- ٢٦- الإيمان: أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٥: ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، الناشر: المكتب الإسلامي-عمان-الأردن.
- ٢٧- الإيمان: محمد نعيم ياسين، ط١: ١٤١٢هـ-١٩٩١م، مكتبة السنة، القاهرة-مصر.
- ٢٨- بأقلامنا زاد الرواحل: ط١: ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، الناشر: الدائرة التربوية-فلسطين-غزة.
- ٢٩- بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، متوفى سنة ٣٧٣هـ.

- ٣٠- البحر المحيط: محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط: ١٤٢٠هـ، الناشر: دار الفكر-بيروت.
- ٣١- البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر.
- ٣٢- البرهان في أصول الفقه: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، ط: ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان.
- ٣٣- بطولات قسامية: نحو سلسلة أمنية عسكري: جميل وادي، الناشر: غزة-فلسطين.
- ٣٤- بين العقيدة والقيادة: محمد شيت خطاب، ط: ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، الناشر: دار القلم-دمشق-بيروت.
- ٣٥- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بالزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- ٣٦- تاريخ التشريع الإسلامي: مناع بن خليل القطان، ط: ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، الناشر: مكتبة وهبة.
- ٣٧- تاريخ الدولة العربية حتى نهاية الغزو المغولي: أحمد فاعور-شهادة الناطور، ط: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ٣٨- التجديد في الإسلام، ط: ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ط: ٢: ١٤١١هـ-١٩٩٠م، الناشر: المنتدى الإسلامي.
- ٣٩- التحالف السياسي في الإسلام: منير محمد الغضبان، ط: ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، الناشر: مكتبة المنار-الأردن الزرقاء.
- ٤٠- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: سمير المجذوب، ط: ١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، الناشر: المكتب الإسلامي.
- ٤١- تحفة الذاكرين: بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ﷺ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليماني الصنعاني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: آفاق، غزة- فلسطين.
- ٤٢- التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا: يوسف القرضاوي، ط: ٣: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، الناشر: مكتبة وهبة-القاهرة.
- ٤٣- التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية: علي علي صبح، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث.
- ٤٤- تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل: للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، ط: ١: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان.

- ٤٥- تفسير البيضاوي: المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان.
- ٤٦- تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد ابن عاشور، سنة النشر: ١٩٩٧م، الناشر: دار سحنون-تونس.
- ٤٧- تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (٧٩١-٨٦٤هـ)، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ)، ط١: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، الناشر: منصور دار البيان الحديثة-غزة-فلسطين.
- ٤٨- تفسير السمعاني-تفسير القرآن: منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي السمعاني، تحقيق: ياسر ابن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١: ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، الناشر: مطابع أخبار اليوم.
- ٤٩- تفسير القرآن الحكيم-تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا، سنة النشر: ١٩٩٠م، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٥٠- تفسير القرآن العظيم: أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، ط٢: ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، كتب هوامشه وضبطه: حسين بن إبراهيم زهران، الناشر: دار الفكر-بيروت.
- ٥١- تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير البصري، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١: ١٤١٩هـ، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.
- ٥٢- تفسير القرآن العظيم: للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، الناشر: المكتبة التوفيقية.
- ٥٣- تفسير القرآن الكريم - الأجزاء العشرة الأولى، للإمام أحمد أكبر محمود شلتوت، الناشر: دار الشروق - مصر.
- ٥٤- تفسير القرآن الكريم: عبد الله شحاته، ط٢، ٢٠٠٠م، الناشر: دار الغريب - القاهرة.
- ٥٥- تفسير القشيري-لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوزان القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط٣، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٥٦- تفسير الكبير: محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين، ط٣: ١٤٢٠هـ، الناشر: دار الإحياء للتراث العربي-بيروت.
- ٥٧- تفسير الماوردي-النكت والعيون: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، ط: ٣٦٤-٤٥٠هـ، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.



- ٥٨- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، ط١: ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م، الناشر: مصطفى البابي الحلبي وأولاده-مصر.
- ٥٩- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط٢، ١٤١٨هـ، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق.
- ٦٠- التفسير الميسر: د. عائض القرني، ط٤: ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، الناشر: مكتبة العبيكان-الرياض.
- ٦١- التفسير الوجيز ومعه أسباب النزول وقواعد الترتيل: وهبة الزحيلي على هامش القرآن العظيم، ط١: ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، الناشر: دار الفكر-دمشق-سوريا.
- ٦٢- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ط١، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٦٣- التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، ط٢: ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
- ٦٤- تنظير التغيير: النظرية التكاملية للتغيير السياسي الإسلامي: محمد أحمد الراشد، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، الناشر: الدائرة التربوية - قطاع غزة.
- ٦٥- تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، ط١: ١٣٢٥هـ، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند.
- ٦٦- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١: ٢٠٠١م.
- ٦٧- تهذيب مدارج السالكين: ابن قيم الجوزية، وهذب: عبد المنعم صالح العلي العزى، الناشر: دار المنطلق-الإمارات.
- ٦٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: تفسير السعدي: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط٤: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت.
- ٦٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١: ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- ٧٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر.

- ٧١- الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، راجعه صدقي محمد جميل، علق عليه: الشيخ عرفات العشاء، ط: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، الناشر: دار الفكر، بيروت-لبنان.
- ٧٢- جند الله ثقافة وأخلاقاً: دراسات منهجية هادفة في البناء: سعيد حوى، ط٢.
- ٧٣- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، ط٢: ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، الناشر: دار العاصمة-السعودية.
- ٧٤- الجواهر المضيئة: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، ط١: ١٣٤٩هـ، الناشر: دار العاصمة.
- ٧٥- حاضر العالم الإسلامي والغزو الفكري: صالح حسين الرقب، ط١: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، الناشر: فلسطين-غزة.
- ٧٦- حجة القراءات: عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة ابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني.
- ٧٧- الحركة الإسلامية وقضية فلسطين: زياد أبو غنيمة، ط١: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، الناشر: دار الفرقان.
- ٧٨- حركة المقاومة الإسلامية حماس في فلسطين: أحمد عز الدين، الناشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية-القاهرة.
- ٧٩- الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها: عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، ط١: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، الناشر: دار القلم-دمشق.
- ٨٠- حماس الفكر والممارسة السياسية: خالد الحروب، ط١: ١٩٩٦م، الناشر: بيروت.
- ٨١- حياة الصحابة: محمد يوسف الكاندهلوي، ط١، الناشر: دار الصابوني-القاهرة.
- ٨٢- خلق المسلم: محمد الغزالي، ط: ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، الناشر: دار القلم-دمشق-بيروت.
- ٨٣- الدر المنثور في التفسير المأثور: جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الفكر-بيروت.
- ٨٤- دُرّة التنزيل وقرّة التأويل: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي، برواية ابن أبي الفرخ الأردستاني، ط١: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
- ٨٥- الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية: صادق أمين، ط: ١٩٧٨م، الناشر: جمعية عمال المطابع التعاونية-عمان.
- ٨٦- دلائل النبوة: للبيهقي، حديث من كتاب لباب النقول.
- ٨٧- دلائل النبوة: للبيهقي، ط١، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، الناشر: المرين.

- ٨٨- دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية المباركة: تيسير جبارة، ط١: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، الناشر: دار الفرقان-عمان.
- ٨٩- الراقصون على جراحننا: يمان السباعي، ط١: ١٤٠٠-١٩٨٠م، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت.
- ٩٠- الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية: صفي الرحمن المباركفوري، ط٤: ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، الناشر: دار الوفاء-القاهرة.
- ٩١- روائع البيان في تفسير آيات الأحكام: محمد علي الصابوني، ط٣: ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، الناشر: مكتبة الغزالي-دمشق، مؤسسة العرفان-بيروت.
- ٩٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١: ١٤١٥هـ، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.
- ٩٣- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء: محمد أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية-بيروت.
- ٩٤- روضة المحبين ونزهة المشتاقين: محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن القيم الجوزية، ط١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.
- ٩٥- روضة الناظر وجنة المناظر: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، ط٢: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر.
- ٩٦- زاد المرابطين: الجزء الثاني، ط: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، الناشر: مكتبة ومطبع دار المنارة-فلسطين-غزة.
- ٩٧- زاد المعاد في هدى خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن شمس الدين ابن القيم الجوزية، ط٢٧: ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت، مكتبة المنار الإسلامية-الكويت.
- ٩٨- زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة، دار النشر: دار الفكر العربي.
- ٩٩- الزواجر عن اقتراف الكبائر: أحمد بن محمد بن علي بن حجر السعدي، ط١: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، الناشر: دار الفكر.
- ١٠٠- سباق نحو الجنان، كيف تجعل قلبك أسرع القلوب: خالد أحمد أبو شادي، ط١: ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، الناشر: دار البشير للثقافة والعلوم-طنطا.
- ١٠١- سُبُل السلام، شرح بلوغ المرام، من أول الأحكام: محمد بن إسماعيل الكحلاني، الناشر: دار الفكر.

- ١٠٢- سلسلة أعمال القلوب: محمد صالح المنجد، التحقيق: عبد الوارث الحداد، ط١: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، الناشر: دار الفجر للتراث-القاهرة.
- ١٠٣- سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجاً وسيرة: عبد العظيم إبراهيم المطعني، ط١: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، الناشر: مكتبة وهبة.
- ١٠٤- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا-بيروت.
- ١٠٥- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط٢: ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي-مصر.
- ١٠٦- السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي الخُسرَجري الخراساني البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطان ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- ١٠٧- السياسة الشرعية: أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، ط١: ١٤١٨هـ، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف-السعودية.
- ١٠٨- سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط٣: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- ١٠٩- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط١، الناشر: دار ابن حزم.
- ١١٠- شرح العقيدة الطحاوية: حققه وراجعها جماعة من العلماء، خرج أحاديثها: محمد ناصر الدين الألباني، ط٨: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، الناشر: المكتب الإسلامي-بيروت.
- ١١١- الشمائل المحمدية: للإمام أبي عيسى محمد بن سورة الترتري صاحب السنن، تحقيق: سيد عمران، ط٢: ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، الناشر: دار الحديث-القاهرة.
- ١١٢- شهداء القسام عشاق الخلود: محمد عبد الله، الناشر: إصدارات مجلس طلاب الجامعة الإسلامية-فلسطين-غزة.
- ١١٣- الشيخ أحمد ياسين حياته وجهاده: عاطف عدوان، ط١: ١٩٩١م، الناشر: الجامعة الإسلامية-غزة.
- ١١٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت.
- ١١٥- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٣م، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

- ١١٦- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١: ١٤٢٢هـ، الناشر: دار طوق النجاة.
- ١١٧- صحيح الجامع الصغير وزيادته: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.
- ١١٨- صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط: ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- ١١٩- صحيح وضعيف سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة-الإسكندرية.
- ١٢٠- صحيح وضعيف سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة-الإسكندرية.
- ١٢١- صفقات رابحة: كيف تحجز مقعداً في الجنة؟، خالد أبو شادي.
- ١٢٢- صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، ط١: ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، الناشر: دار الصابوني-القاهرة.
- ١٢٣- الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي المعروف بأبي سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١: ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.
- ١٢٤- طريق الهجرتين وباب السعادتين: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية، ط٢: ١٣٩٤هـ، الناشر: دار السلفية-القاهرة.
- ١٢٥- العبادة في الإسلام: يوسف القرضاوي، ط٦: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت.
- ١٢٦- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية، ط٣: ١٤٠٩هـ-١٩٨٦م، الناشر: دار ابن كثير-دمشق، دار التراث-المدينة المنورة-السعودية.
- ١٢٧- العقائد الإسلامية: السيد سابق، الناشر: دار الكتاب العربي-بيروت-لبنان.
- ١٢٨- على درب حذيفة بن اليمان: إسلام ناصر، ط: ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- ١٢٩- العوائق: محمد أحمد الراشد، ط: ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، الناشر: دار المنطلق.
- ١٣٠- العولمة: نشأتها-أهدافها ووسائلها: صالح الرقب، ط١: ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، الناشر: مجلس طلاب الجامعة الإسلامية-فلسطين-غزة.
- ١٣١- العين: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

- ١٣٢- الفتاوى الكبرى: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ط١: ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، الناشر: دار الكتب العلمية.
- ١٣٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط١: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.
- ١٣٤- فرسان الشهادة، على درب حذيفة بن اليمان: إسلام ناصر، ط١: ١٩٩٤م-١٩٩٥م، الناشر: دراسات في الأمن العسكري الإسلامي.
- ١٣٥- فقه الأسماء الحسنة: عبد الرزاق عبد المحسن البدر.
- ١٣٦- فقه الأسماء الحسنى: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط٢: ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، الناشر: المعهد العلمي العالي-جدة.
- ١٣٧- فقه السنة: السيد سابق، ط: ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، الناشر: دار الكتب.
- ١٣٨- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الرائدة: محمد سعيد رمضان البوطي، ط٢٥: ١٤٢٦هـ، الناشر: دار الفكر-دمشق.
- ١٣٩- فقه السيرة: محمد الغزالي السقا، ط١: ١٤٢٧هـ، الناشر: دار القلم-دمشق.
- ١٤٠- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: محمد البهي، ط١٠، الناشر: مكتبة وهبة.
- ١٤١- في آفاق التعاليم: سعيد حوى، ط٢: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، الناشر: مكتبة الرسالة الحديثة-الأردن-عمان.
- ١٤٢- في رحاب التفسير: عبد الحميد كشك، ط١، الناشر: المكتب المصري الحديث - القاهرة - مصر.
- ١٤٣- في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، ط١٧: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، الناشر: دار الشروق-بيروت-القاهرة.
- ١٤٤- في ظلال القرآن، دستور الأسرة: أحمد فائز، ط١: ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت.
- ١٤٥- في قضية فلسطين الحق والباطل: نبيل شبيب، ط١: ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، الناشر: المركز الإسلامي في آضن واتحاد الطلبة المسلمين في أوروبا.
- ١٤٦- القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- ١٤٧- قيس من نور القرآن: محمد علي الصابوني، ط٢: ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.

- ١٤٨- قضايا أساسية على طريق الدعوة: مصطفى مشهور، الناشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية-القاهرة.
- ١٤٩- قضايا إسلامية معاصرة على بساط البحث: يوسف القرضاوي، ط١: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، الناشر: دار الضياء-الأردن-عمان.
- ١٥٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ط١: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان.
- ١٥١- لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي، تحقيق وتعليق: حمزة النشري-عبد الحفيظ فرغلي-عبد الحميد مصطفى، الناشر: المكتبة القيمة-القاهرة.
- ١٥٢- لسان العرب: جمال الدين ابن منظور، ط٣: ١٤١٤هـ، الناشر: دار صادر-بيروت.
- ١٥٣- لسان العرب: جمال الدين ابن منظور، ط٣: ١٤١٤هـ، الناشر: دار صادر-بيروت.
- ١٥٤- لمحات في الثقافة الإسلامية: عمر عودة الخطيب، ط١٥: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- ١٥٥- الله ﷻ، سلسلة دراسات منهجية هادفة: سعيد حوى، ط٤: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، الناشر: دار السلام، مصر-القاهرة.
- ١٥٦- ماذا يعني انتمائي للدعوة؟: محمد عبدة، ط١: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، الناشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية-القاهرة.
- ١٥٧- المال والحكم في الإسلام: عبد القادر عودة، ط٥: ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، الناشر: المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع.
- ١٥٨- مباحث في علوم القرآن: مناع خليل القطان ط٣، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- ١٥٩- المبسوط في القراءات العشر: أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، الناشر: مجمع اللغة العربية-دمشق، سنة الناشر: ١٩٨١م.
- ١٦٠- المبشرات بانتصار الإسلام: يوسف القرضاوي، ط٣: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، الناشر: المكتب الإسلامي-بيروت-دمشق-عمان.
- ١٦١- المتساقطون على طريق الدعوة كيف.. ولماذا؟! فتحي يكن، ط١: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت.
- ١٦٢- مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف-السعودية.

- ١٦٣- محبة الرسول بين الاتباع والابتداع: عبد الرؤوف محمد عثمان، ط١: ١٤١٤هـ، الناشر: رئاسة إدارة البحوث والعلمية والإفتاء-الرياض.
- ١٦٤- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥: ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، الناشر: المكتبة العصرية-بيروت-صيدا.
- ١٦٥- مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية: عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، ط٣: ١٤٢٩هـ، الناشر: المعهد العلمي العالي لإعداد معلمات القرآن والسنة بجدة.
- ١٦٦- مختصر صحيح مسلم: زكي الدين عبد العظيم المنذري، ط١: ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، الناشر: دار الفجر للتراث-القاهرة.
- ١٦٧- مختصر صحيح مسلم: للحافظ المنذري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، الناشر: مطابع مقهوي-الكويت.
- ١٦٨- مختصر منهاج القاصدين: أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، علق عليه: شعيب الأرنؤوط-عبد القادر الأرنؤوط، ط١: ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م، الناشر: دار البيان-دمشق.
- ١٦٩- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتمد بالله البغدادي، ط٣، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.
- ١٧٠- مداولة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل: لابن حزم الأندلسي، تحقيق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، ط١: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، الناشر: مكتبة الصحابة-بطنطا.
- ١٧١- المسار: محمد أحمد الراشد، ط٣: ١٤١٢هـ-١٩٩١م، الناشر: دار المنطلق-الإمارات-دبي.
- ١٧٢- مسافر في قطار الدعوة: عادل عبد الله الليلي الشويخ، ط٢، الناشر: دار البشير للثقافة والعلوم-طنطا.
- ١٧٣- المستخلص في تركية الأنفس: سعيد حوى، ط٤: ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، الناشر: دار السلام-القاهرة.
- ١٧٤- المستخلص في تركية الأنفس: سعيد حوى، مكرر.
- ١٧٥- المستدرك على الصحيحين: الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدوية النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١: ١٤١١هـ-١٩٩٠م، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.
- ١٧٦- المستصفي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط١: ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، الناشر: دار الكتب العلمية.



- ١٧٧- المسجد الأقصى والأخطار المحدقة به والاعتداءات التي تعرض لها المسجد الأقصى منذ احتلاله عام ١٩٦٧م-٢٠٠٦م: نسيم شحدة ياسين، ط١: ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، الناشر: رابطة علماء فلسطين-غزة-فلسطين.
- ١٧٨- مسند الإمام أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط١: ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- ١٧٩- مشاريع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد: أحمد بن إبراهيم ابن النحاس الدمشقي الدمياطي، هذبه وانتقاه: صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط١: ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، الناشر: دار النفائس-الأردن.
- ١٨٠- مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور: إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، ط١: ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، دار النشر: مكتبة المعارف-الرياض.
- ١٨١- مساعد النظر للإشراف على مقاصد الصور: إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، ط١: ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، دار النشر: مكتبة المعارف-الرياض.
- ١٨٢- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، الناشر: المكتبة العلمية-بيروت.
- ١٨٣- معترك الأقران في إعجاز القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٨٤- معجم البلدان: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، ط٢: ١٩٩٥م، الناشر: دار صادر-بيروت.
- ١٨٥- معجم البلدان: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، ط٢: ١٩٩٥م، الناشر: دار صادر-بيروت.
- ١٨٦- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب ابو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة.
- ١٨٧- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، دار النشر: مكتبة ابن تيمية-القاهرة.
- ١٨٨- معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر، ط١: ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، الناشر: عالم الكتب.
- ١٨٩- معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، ومساعدة آخرون، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، الناشر: عالم الكتب.
- ١٩٠- المعجم الوسيط-مجمع اللغة العربية: إبراهيم مصطفى وآخرون، الناشر: دار الدعوة.

- ١٩١- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: عبد السلام فهد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- ١٩٢- معرفة الصحابة: أبي نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن مهران، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ومسعد عبد الحميد السعدني، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- ١٩٣- المغني: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، الناشر: مكتبة القاهرة.
- ١٩٤- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها: علال الفاسي، ط٥: ١٩٩٣م، الناشر: دار العرب الإسلامي.
- ١٩٥- مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، ط٢: ١٤٢١هـ-٢٠٠٢م، الناشر: دار النفائس-الأردن.
- ١٩٦- مقاصد القرآن الكريم: الإمام الشهيد حسن البناء، جمع وتحقيق: أحمد سيف الإسلام حسن البناء، الناشر: دار الوثيقة-الكويت.
- ١٩٧- مقاصد وأهداف سورة التوبة - دراسة موضوعية في القرآن الكريم، د. عصام العبد زهد، ود. زهدي محمد أبو نعمة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، الناشر: مطبعة المقداد - غزة.
- ١٩٨- ملحمة فلسطين: عدنان علي رضا النحوي، ط٣: ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، الناشر: دار النحوي-السعودية-الرياض.
- ١٩٩- مناهج الدعوة وأساليبها: علي حريشة، ط١: ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، الناشر: دار الوفاء-القاهرة-المنصورة.
- ٢٠٠- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، حققه وعلق عليه: أحمد عيسى المعصراني، ط١: ١٤٣٤هـ-٢٠٠٣م، الناشر: دار السلام-القاهرة.
- ٢٠١- المنطلق: أحياء فقه الدعوة: محمد أحمد الراشد، ط١٥: ١٤١٢هـ-١٩٩١م، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت.
- ٢٠٢- مناهج المسلم: عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات: أبي بكر جابر الجزائري، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، الناشر: مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة.
- ٢٠٣- منهج التربية الإسلامية: محمد بن قطب بن إبراهيم، ط١٦، الناشر: دار الشروق.
- ٢٠٤- منهج التربية الإسلامية: محمد بن قطب بن إبراهيم، ط٦، الناشر: دار الشروق.
- ٢٠٥- المنهج الحركي للسيرة النبوية: منير محمد الغضبان، ط٦: ١٤١١هـ-١٩٩٠م، الناشر: مكتبة المنار-الأردن.

- ٢٠٦- منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، د. محمود بن أحمد بن فرج الرجيلي، ط١: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، الناشر: عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة-السعودية.
- ٢٠٧- منهج القرآن الكريم في عرض قضايا العقيدة: وليد محمد حسن العامودي، الناشر: آفاق-غزة-فلسطين.
- ٢٠٨- الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي المشهور بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١: ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، الناشر: دار ابن عفان.
- ٢٠٩- مواقف الداعية التعبيرية: عبد الله ناصح علوان، ط١: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، الناشر: دار السلام-جدة.
- ٢١٠- مواقف حاسمة للعلماء في الإسلام: علي شحاته-أحمد حبيب عبد المجيد، الناشر: دار الفكر.
- ٢١١- الموالات والمعاداة في الشريعة الإسلامية: محماس بن عبد الله بن محمود الجلود، ط١: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، الناشر: دار اليقين للنشر والتوزيع.
- ٢١٢- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: محمد بن عبد الله دراز، ط١: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع.
- ٢١٣- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: محمد بن عبد الله دراز، ط١: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، دار العلم والنشر والتوزيع.
- ٢١٤- النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام: أحمد عبد الوهاب، الناشر: مكتبة وهبة.
- ٢١٥- نحو تفسير موضوعي لسورة القرآن الكريم: محمد الغزالي، ط٢: ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، الناشر: دار الشروق-القاهرة.
- ٢١٦- نزهة المتقين: شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين: أبي زكريا محي الدين يحيى النووي، ط٢٠: ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت.
- ٢١٧- نظام الإسلام العقيدة والعبادة: محمد المبارك، ط٤: ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، الناشر: دار الفكر-بيروت-لبنان.
- ٢١٨- نظرات في كتاب الله: حسن أحمد عبد الرحمن محمد البنا الساعات، الناشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية-القاهرة، سنة النشر: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ٢١٩- نظرية المقاصد عند ابن عاشور: إسماعيل الحسني، ط١: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

- ٢٢٠- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي: أحمد الريسوني، ط٢: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، الناشر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي.
- ٢٢١- النكت والعيون: تفسير الماوردي: أبي الحسن علي بن حبيب الماوردي البصري، ط: ٣٦٤-٤٥٠هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت.
- ٢٢٢- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين: محمد الخضري، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان.
- ٢٢٣- الوابل الصيب من الكلم الطيب: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، ط٣: ١٩٩٩م، الناشر: دار الحديث-القاهرة.
- ٢٢٤- وثيقة جنيف، مسودة اتفاقية للوضع الدائم: دراسة وتعليقات: عبد الفتاح دخان.
- ٢٢٥- الوجيز: في فقه السنة والكتاب العزيز: عبد العظيم بن بدوي الخلفي، ط٣: ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، الناشر: دار ابن رجب، مصر-المنصورة.
- ٢٢٦- وفيات الأعيان: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان البرمكي، تحقيق: إحسان عباس، ط: ١٩٠٠م، الناشر: دار صيدا-بيروت.
- ٢٢٧- اليسر والسماحة في الإسلام: فالح بن محمد الصغير، الناشر: وزارة الأوقاف السعودية.
- ٢٢٨- اليسر والسماحة في الإسلام: فالح بن محمد الصغير، الناشر: وزارة الأوقاف السعودية.
- ٢٢٩- اليهود سيهدمون المسجد الأقصى المبارك قريباً: صالح الرقب، ط١: ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، الناشر: فلسطين-غزة.
- مراجع ومواقع الإنترنت:

- 1- <http://ar.wikipedia.org/wiki>.
- 2- <http://www.masreat.com>.
- 3- <http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid->.
- 4- <http://ar.wikipedia.org/wiki>.
- 5- [Org/wiki/http://ar.wikedia](http://ar.wikedia)

## خامساً: فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	الإهداء
ب	شكر وتقدير
د	المقدمة
د	أولاً: أهمية الموضوع
هـ	ثانياً: أسباب اختيار الموضوع
هـ	ثالثاً: الدراسات السابقة
و	رابعاً: منهج الباحثة
و	خامساً: خطة البحث
١	التمهيد
٢	المبحث الأول: تعريف المقاصد والأهداف والفرق بينهما وبيان أهميتهما
٣	المطلب الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً
٦	المطلب الثاني: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً
٧	المطلب الثالث: الفرق بين المقصد والهدف
٨	المطلب الرابع: أهمية بيان المقاصد والأهداف من السور والآيات القرآنية
٩	المطلب الخامس: طرق معرفة مقاصد السور والآيات وأهم المصنفات في هذا العلم
١٥	المبحث الثاني: تعريف الدراسة التحليلية
١٦	المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً
١٧	المطلب الثاني: معرفة متطلبات الدراسة التحليلية
١٩	المبحث الثالث: التعريف بسورة الأنفال ومناسبتها مع غيرها ومحورها
٢٠	المطلب الأول: التعريف بسورة الأنفال من حيث بيان أسماؤها وعدد آياتها ومكان وزمان نزولها وفضائلها

٢٣	المطلب الثاني: المناسبات في سورة الأنفال من حيث بيان مناسبة السورة بما قبلها وبما بعدها ومناسبة أولها بآخرها
٢٥	المطلب الثالث: محور وأهداف سورة الأنفال
٢٦	المبحث الرابع: التعريف بسورة التوبة وأسمائها ومناسبتها مع غيرها ومحورها
٢٧	المطلب الأول: التعريف بسورة التوبة من حيث أسمائها وعدد آياتها وزمن ومكان نزولها وفضائلها
٣٠	المطلب الثاني: المناسبات في سورة التوبة من حيث ربط مناسبة السورة بما قبلها وبما بعدها
٣١	المطلب الثالث: محور وأهداف ومقاصد سورة التوبة
٣٣	الفصل الأول الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف النصف الأول من الحزب التاسع عشر الأنفال من الآية (٤١-٧٥)
٣٤	المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٤١-٤٤)
٣٥	المطلب الأول: كيفية توزيع الغنائم في غزوة بدر
٤٦	المطلب الثاني: رؤى الأنبياء حق
٥١	المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٤٥-٤٩)
٥٢	المطلب الأول: الثبات والدعاء سبب للنصر والرياء سبب للهزيمة
٥٨	المطلب الثاني: تزيين الشيطان للمشركين أعمالهم وخذلانه لهم
٦٤	المطلب الثالث: المنافقون ومواقفهم من النصر
٧١	المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٥٠-٥٤)
٧٢	المطلب الأول: مشاركة الملائكة في بدر الكبرى
٧٦	المطلب الثاني: سنة الله في إهلاك الطغاة
٨٥	المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٥٥-٦٤)

٨٦	المطلب الأول: شر الدواب الذين لا يسمعون كلام الله
٨٩	المطلب الثاني: حكم خائن العهد والميثاق
٩٤	المطلب الثالث: إعداد العدة لإرهاب أعداء الله
١٠٠	المطلب الرابع: جواز عقد الهدنة مع غير المسلمين
١٠٧	المبحث الخامس: مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٦٥-٦٦)
١٠٨	المطلب الأول: فريضة الجهاد على المسلمين
١١١	المطلب الثاني: قوة المؤمنين في ميزان الله
١١٦	المبحث السادس: مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٦٦-٧١)
١١٧	المطلب الأول: الأسر بعد الإثخان في الأرض
١٢٣	المطلب الثاني: دور الإيمان والمغفرة في فداء الأسرى
١٢٦	المطلب الثالث: تحذير الأسرى من خيانة الرسول ﷺ
١٣١	المبحث السابع: مقاصد وأهداف سورة الأنفال من الآية (٧٢-٧٥)
١٣٢	المطلب الأول: أصرة العقيدة بين المؤمنين
١٣٧	المطلب الثاني: الولاية للمؤمنين في الإسلام
١٤٢	المطلب الثالث: حكم التوارث على أساس الهجرة والقرابة
١٤٨	الفصل الثاني التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف النصف الثاني من الحزب التاسع عشر من القرآن (التوبة من الآية ١-٣٣)
١٤٩	المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (١-٦)
١٥٠	المطلب الأول: البراءة من المشركين وعهودهم
١٥٥	المطلب الثاني: الوفاء بالعهد لمن لم ينقضوا عهودهم
١٥٩	المطلب الثالث: قتال المشركين بعد الأشهر الحرم

١٦٥	المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (٧-١٢)
١٦٦	المطلب الأول: لا عهد للمشركين عند الله ورسوله
١٧٠	المطلب الثاني: كيفية التعامل مع غدر الكفار
١٧٦	المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (١٣-١٦)
١٧٧	المطلب الأول: قتال المشركين كافة
١٨٤	المطلب الثاني: تمييز صفوف المسلمين بالشدائد والمحن
١٨٨	المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (١٧-٢٢)
١٨٩	المطلب الأول: عمارة بيت الله تقوم على قاعدة توحيد الله
١٩٨	المطلب الثاني: فضل المؤمنين المهاجرين المجاهدين
٢٠٩	المبحث الخامس: مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (٢٣-٢٤)
٢١٠	المطلب الأول: الولاء لأولي القربى الكفار شرك بالله
٢١٥	المطلب الثاني: الموازنة بين اختيار العقيدة أو المطامع الدنيوية
٢٢٢	المبحث السادس: مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (٢٥-٢٨)
٢٢٣	المطلب الأول: النصر والعزة بالدين والعقيدة لا بالعدة والعتاد
٢٣٠	المطلب الثاني: حكم الله في المشركين إلى يوم القيامة
٢٣٨	المبحث السابع: مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (٢٩-٣٣)
٢٣٩	المطلب الأول: الأمر بقتال أهل الكتاب المنحرفين عن الدين حتى يدفعوا الجزية
٢٤٦	المطلب الثاني: عقائد أهل الكتاب المنحرفة
٢٥٥	المطلب الثالث: موقف أهل الكتاب من الإسلام
٢٦٧	الخاتمة
٢٦٧	أولاً: أهم النتائج
٢٦٨	ثانياً: أهم التوصيات



٢٧٠	الفهارس
٢٧١	أولاً: فهرس الآيات القرآنية الكريمة
٢٩٢	ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
٢٩٩	ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم
٣٠١	رابعاً: فهرس المصادر والمراجع
٣١٧	خامساً: فهرس الموضوعات
٣٢٢	ملخص الرسالة باللغة العربية
٣٢٣	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

## ملخص الرسالة

تضمنت هذه الرسالة الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع عشر من القرآن الكريم، من سورتي الأنفال (٤١-٥٧) والتوبة (١-٣٣).

واشتملت الدراسة على مقدمة وتمهيد وفصلين، تناول الفصل التمهيدي التعريف بالمقاصد والأهداف، وكذلك المقصود بمفهوم الدراسة التحليلية، والتعريف بسورتي الأنفال والتوبة.

وتناول الفصل الأول الحديث عن حكم الغنائم وكيفية توزيعها، ثم تطرق إلى بيان خطورة ظاهرة النفاق والمنافقين على المجتمع المسلم، وذكر طبيعة العلاقة بين المجتمع المسلم والمجتمعات الأخرى، ثم أوضح حكم التوارث في الإسلام.

وتحدث الفصل الثاني عن قضية الولاء والبراء في الإسلام، ثم ذكر أهمية المحافظة على المقدسات الإسلامية، وخاصة بيت الله الحرام والمسجد الأقصى مهبط الأنبياء، ومسرى الحبيب محمد ﷺ والمسجد النبوي.

كما حذر البحث من حب الدنيا وشهواتها، وتوعد الفاسقين بالعذاب الشديد، واستعرض البحث أحداث غزوة حنين، ورسم العلاقات النهائية بين المسلمين وأهل الكتاب، وتطرق إلى غزوتي مؤتة وتبوك، وبيان معالم النصر لجبل التحريم، وتطهير الأرض المقدسة من دنس الكفر والضلال، وأتبع البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

## ABSTRACT

This research contains the analysis study and means and objectives for Part (19) in the Holy Quran in Sorat Al-Anfal "41-57" and Sorat Al-Tawba "1-33".

The research covers (3) main topics such as introduction, body and (2) chapters discussion in the body part talked about the knowledgabe means and what is beyond having an analysis study intending and constrating to show the exact full meaning for Sorat Al-Anfal and Sorat Al-Tawba.

The first part covered the right roll and legetemat legislation on what is accepted to have when there is agained benefit of valuable things and items gotten by war taken will it will be destrebuted.

The chapter of pretending that he/she supporting a moslem group and in fact not. Of course it is very dangerous in the moslem world and society which will lead to destroy the relationship between people in moslem society against none moslem one.

Also showed how can people again from relatives by accepted legetemat roll in the same family.

The second part talked about how to be with or against a moslem groub in Islam. Also talked about the importance of holly Islamic places such as the holly mosque witch is known as Al-Aqsa mosque where it has a spiriful feeling due to most profits have landed on it and our profit Mohammad walked from his mosque in Al-Medina at Saudi Arabia to Al-Aqsa mosque in Jerusalem.

The research has worn people leaning and linking un-accepted life interest by showing a big layied back a part form the moslem group which is known as "Al-monafkeen".

The research went through honin famous war and how it ended by writing down the final relationship agreement between moslems and non moslems; who have considered that their own holly book like Jewish and Cristians.

Also the research went through the famous Moata and Tabook war by showing the big vectory which will be achieved when freeing the aquiped land from non moslem aquapant who have a bad believes and mission.

The research ended by giving important conclusions and recommendations.